المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
الدراسات العليا
قسم الدعوة والاحتساب

جهود الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ في الدعوة والاحتساب

إعداد
خالد بن راشد بن مساعد العبدان
المعيد في قسم الدعوة والاحتساب

إشراف
فضيلة الدكتور/ حمد بن ناصر العمار
وكيل كلية الدعوة والإعلام

العام الجامعي
١٤١٨-١٤١٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[١].

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾[٢].

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾[٣][٤].

---

(١) سورة آل عمران، الآية:١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية:١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

(٤) هذه الخطبة تسمى خطبة الحاجة، وكان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه.

أخرج الحديث مسلم في كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، صحيح مسلم-مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ٥٩٣/٢، رقم٨٦٨ ،ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ب.ت.ط. والنسائي في كتاب: الجمعة، باب: كيفية الخطبة، صحيح سنن النسائي- محمد ناصر الدين الألباني ٣٠٣/١، ٣٠٤، رقم ١٣٣١، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت. وانظر: خطبة الحاجة-محمد ناصر الدين الألباني، ١٠ وما بعدها، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٧هـ.

أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى وظيفة عظيمة كُلِّف جميع الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالقيام بها، وخير من قام بها وحملها نبينا محمد ﷺ وخَلَفه في القيام بها خلفاؤه الراشدون، وصحابته الكرام -رضي الله عنهم أجمعين-، فقاموا بالأمانة خير قيام، وتبعهم على ذلك علماء ربانيون، ودعاة مصلحون توارثوا هذا العلم جيلاً بعد جيل، ولا يزال هذا التوارث قائماً إلى قيام الساعة.

وقد برز في القرن الثالث عشر الهجري عالم جهبذ، وفقيه مجتهد، وداعية مصلح، اجتهد في طلب العلم وتحصيله من علماء عصره فحصّل علماً غزيراً في زهرة شبابه، وتولى القضاء العامّ في بلاده، وهو لم يبلغ الأربعين من عمره، وكان لهذا العالم أثر في الدفاع عن العقيدة ونشر الدعوة ، وكان من أسباب ذلك- بفضل الله تعالى- رسوخه في العلم، والقوة والتمكين، اللذان أوتيهما من خلال توليه منصب القضاء العام، وقد نشر بذلك مذهب السلف الصالح، وقام بدعوة أصناف المدعوين، وتحدث عن قضايا مهمة من قضايا الدعوة إلى الله كما قام بالاحتساب أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، هذا الإمام هو محمد بن علي الشوكاني-رحمه الله- الذي ولد عام ١١٧٣هـ، وتوفي عام ١٢٥٠هـ، قضى معظم حياته في العلم والدعوة والاحتساب.

* **تعريف مفردات البحث:**

* **تعريف الجهود:**

جاء في لسان العرب: «الجَهْد والجُهْد: الطاقة، تقول: اجهد جهدك؛ وقيل: الجَهد المشقة، والجُهد الطاقة... والجهد بلوغك غاية الأمر الذي لا تألو على الجهد فيه»[(١)].

---

(١) انظر: لسان العرب -ابن منظور، اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، مادة (جهد) ٣٩٥/٢، ط١، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

وجاء في مفردات غريب القرآن: «وقال تعالى: ﴿والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾[1] وقال تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾[2].... والاجتهاد: أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة»[3].

وفي النهاية في غريب الحديث والأثر: «يقال: جهد الرجل في الشيء: أي جد فيه وبالغ»[4].

• تعريف الجهود في الاصطلاح:

والمقصود بالجهود في مجال الدعوة والاحتساب: الأعمال التي يقوم بها الداعية والمحتسب باذلاً طاقته وقدرته في سبيل دعوة الناس إلى الله تعالى، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

• التعريف بالإمام الشوكاني رحمه الله:

أولاً- نسبه ومولده:

«هو الإمام محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء»[5].

ولد -رحمه الله- «في وسط نهار يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي

---

(١) سورة التوبة، الآية:٧٩.

(٢) سورة النحل، الآية:٣٨.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن-الراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني١٠١، ط، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ب.ت.ط.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر- أبو السعادات ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، مادة (جهد) ٣١٩/١، ط، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، ب.ت.ط.

(٥) الأعلام، خير الدين الزركلي ٢٩٨/٦،ط.١٠ دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م.

القعدة سنة ١١٧٣»[١]، في هجرة شوكان[٢] «من بلاد خولان باليمن»[٣].

ثانياً- وفاته:

توفي الإمام الشوكاني -رحمه الله- «في جمادى الآخرة سنة ١٢٥٠هـ خمسين ومائتين وألف، وقبر بخزيمة المقبرة المشهورة بصنعاء»[٤].

ثالثاً- مؤلفاته:

ألف الإمام الشوكاني -رحمه الله- مؤلفات كثيرة في فنون شتى كالتفسير، والحديث، والفقه، والأصول، وغيرها من الفنون، وقد أوصلها بعضهم إلى مائة وأربعة عشر مؤلَّفاً[٥]، ومنهم من أوصلها إلى ثمانية وسبعين ومائتي مؤلَّف، أكثرها مخطوط والقليل منها مطبوع[٦].

ومن أهم مؤلفات الإمام الشوكاني -رحمه الله-:

١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير.

٢- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار.

٣- الدراري المضيئة شرح الدرر البهية.

٤- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة.

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع- محمد بن علي الشوكاني ٢/٢١٥،ط. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ب.ت.ط.

(٢) انظر: المرجع السابق٢/٢١٥.

(٣) الأعلام-الزركلي٦/٢٩٨.

(٤) البدر الطالع-الشوكاني، ٢/٢٢٥ (الهامش).

(٥) انظر: الأعلام- الزركلي ٦/٢٩٨.

(٦) انظر: الإمام الشوكاني حياته وفكره - د. عبد الغني الشرجي، ٢٢٩، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٥- الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد.

٦- الدر النضيد في إخلاص التوحيد.

٧- القول المفيد في حكم التقليد.

٨- أدب الطلب ومنتهى الأرب.

٩- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول.

١٠- السيل الجرار على حدائق الأزهار(١).

١١- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات.

١٢- تحفة الذاكرين شرح عدة الحصن الحصين.

١٣- التحف في مذهب السلف.

١٤- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع(٢).

١٥- الدرر البهية في المسائل الفقهية(٣).

١٦- قطر الولي على حديث الولي، أو (ولاية الله والطريق إليها).

• تعريف الدعوة:

الدعوة في اللغة:

جاء في لسان العرب: «دعا الرجل دعواً ودعاء، ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلاناً أي صحت به، واستدعيته.... وتداعى القوم: دعا بعضهم بعضاً حتى يجتمعوا.... والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داع»(٤).

---

(١) انظر: البدر الطالع- الشوكاني ٢١٩/٢، ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) انظر: الأعلام-الزركلي ٢٩٨/٦.

(٣) الدراري المضيئة شرح الدرر البهية- محمد بن علي الشوكاني ٥، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

(٤) انظر: لسان العرب-ابن منظور، مادة (دعا) ٣٦٠/٤، ٣٦١.

الدعوة في الاصطلاح:

«يقصد بالاصطلاح هنا: الاصطلاح الشرعي، فالدعوة إذا أطلقت فالمراد بها الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى»[١].

والدعوة تطلق ويراد بها معنيان:

المعنى الأول: الدعوة بمعنى الدين الإسلامي.

المعنى الثاني: الدعوة بمعنى النشر والبلاغ.

أما على المعنى الأول وهو الدين الإسلامي فيمكن التعريف ببعض التعريفات منها:

١- الدعوة الإسلامية هي الخضوع لله والانقياد بتعاليمه بلا قيد ولا شرط.

٢- الدعوة الإسلامية هي الدين الذي ارتضاه الله للعالمين، وأنزل تعاليمه وحياً على رسول الله ﷺ وحفظها في القرآن الكريم وبينها في السنة النبوية[٢].

أما على المعنى الثاني وهو النشر والبلاغ -وهو المقصود في هذه الدراسة- فقد عرفها العلماء بعدة تعريفات:

١- فمن العلماء من عرفها بقوله: «الدعوة إلى الله هي: الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان

---

(١) الداعي إلى الله (تكوينه-مسؤوليته) د. زيد بن عبد الكريم الزيد١١، ط١، دار العاصمة، الرياض١٤١٥هـ.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها- د. أحمد غلوش١٠-١٣، ط٢، الناشرون: دار الكتب الإسلامية، ودار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

بالقدر خيره وشره ، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه»[١].

٢- ومن العلماء من عرفها بقوله: «حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل»[٢].

٣- ومنهم عرفها بأنها: «تبليغ الناس الإسلام، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة»[٣].

٤- ومنهم من عرف الدعوة بقوله: «العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق»[٤].

٥- ومنهم من عرفها بأنها: «جمع الناس على الخير، ودلالتهم على الرشد، بأمرهم

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ١٥/١٥٧، ١٥٨، ط مكتبة المعارف، الرباط- المغرب. أشرف على الطباعة والإخراج: المكتب التعليمي السعودي بالمغرب، ب.ت.ط.

(٢) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة-علي بن محفوظ ١٧، ط٥، دار الاعتصام ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.

(٣) المدخل إلى علم الدعوة-محمد أبو الفتح البيانوني١٧، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

(٤) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها- د. أحمد أحمد غلوش ١٠،

وللتوسع في تعريف الدعوة في الاصطلاح انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة- د. حمد بن ناصر العمار ٢٠-٢٦، ط١، مركز الدراسات والإعلام/ دار إشبيليا، الرياض ١٤١٦هـ-١٩٩٦. ونصوص الدعوة في القرآن الكريم دراسة تأصيلية- د. حمد بن ناصر العمار ١٥-٢٠، ط١، مركز الدراسات والإعلام/ دار إشبيليا ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

بالمعروف ونهيهم عن المنكر، قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[1]»[2].

وهذه التعريفات -بفضل الله تعالى- لا اختلاف بينها فهي كلها تبين أن المقصود بالدعوة: الدعوة إلى الله تعالى، وإلى دين الإسلام الذي اختاره الله واصطفاه وجعله عقيدة وشريعة وأخلاقاً.

والدعوة إلى الله تعالى مجالاتها واسعة، فهي تكون بدروس العلم، وببيان حجج الإسلام، ودفع الشبه عنه، ونشر محاسنه بين الأجانب عنه، وبمجالس الوعظ، والتذكير لتعريف المسلمين وغير المسلمين ذلك[3].

• تعريف الاحتساب:

الاحتساب في اللغة:

جاء في لسان العرب: «الاحتساب من الحَسْب: كالاعتداد من العدِّ؛ وإنما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله: احتسبه؛ لأن له حينئذ أن يعتد عمله، فجعل في حال مباشرة الفعل، كأنه معتد به»[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) أسس الدعوة وآداب الدعاة – محمد السيد الوكيل ٩، ط الناشر: دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، ب. ت. ط.

(٣) انظر: الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية- عبد الحميد بن باديس، ضبط وتعليق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري ١٢، ١٣، ط دار المنار، الرياض ب.ت.ط.

(٤) لسان العرب-ابن منظور، مادة (حسب) ٣/١٦٤.

ومن معاني الاحتساب: الإنكار، والظن[١]، وطلب الأجر[٢].

الاحتساب في الاصطلاح:

عرفت الحسبة في الاصطلاح بعدة تعريفات منها:

١-«الحسبة: هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله»[٣].

٢- «الحسبة : عبارة عن المنع عن منكر لحق الله، صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر»[٤].

٣- «أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله وإصلاح بين

---

(١) انظر: القاموس المحيط-الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مادة (حسب) ٩٥، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(٢) انظر: لسان العرب- ابن منظور، مادة (حسب) ٣/١٦٤.

(٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية-أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، خرج أحاديثه وعلق عليه: خالد بن عبد اللطيف السبع العلي٣٩١، ط، دار الكتاب العربي ب.ت.ط.، والأحكام السلطانية -أبو يعلى الحنبلي، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي٢٨٤، ط، دار الوطن، الرياض ب.ت.ط.

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبو حامد الغزالي، تحقيق: سيد إبراهيم٤١، ط دار الحديث، القاهرة ب.ت.ط.

الناس»[١].

٤- «فاعلية المجتمع في الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله تطبيقا للشرع الإسلامي»[٢].

وسأعتني في رسالتي هذه -بإذن الله- بدراسة دعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله- على معنى النشر والبلاغ بدراسة أصناف المدعوين في دعوته، وقضايا الدعوة عنده -رحمه الله- أما في جانب الاحتساب فسيكون الحديث -بتوفيق الله- عن جهوده في الأمر بالمعروف الذي تُرك، والنهي عن المنكر الذي فُعل، وهذه الدراسة تكشف ما بذله الإمام الشوكاني -رحمه الله- من جهد وطاقة في القيام بالدعوة والاحتساب.

---

(١) معالم القربة في أحكام الحسبة- ابن الأخوة القرشي، تحقيق: د. محمد محمود شعبان، وصديق أحمد المطيعي٥١ ط،الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م. ب.ط.، ونهاية الرتبة في طلب الحسبة-عبد الرحمن بن نصر الشيرزي، تحقيق: د. السيد الباز العريني٦ ط٢، دار الثقافة، بيروت ١٤١٠هـ-١٩٨١م.

(٢) أصول الحسبة في الإسلام دراسة تأصيلية مقارنة- د. محمد كمال الدين إمام ١٦، ط١، دار الهداية، مصر ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م. وللتوسع في تعريف الحسبة في الاصطلاح انظر: الحسبة تعريفها، ومشروعيتها، ووجوبها-د. فضل إلهي١٠-٢٠، ط٢، إدارة ترجمان الإسلام، باكستان، وحقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأركانه ومجالاته- د. حمد ابن ناصر العمار ١٤-١٦، ط١، مركز الدراسات والإعلام/ دار إشبيليا، الرياض ١٤١٧هـ-١٩٩٧.

• أهمية الموضوع:

تظهر أهمية هذا الموضوع في أنه يتناول الحديث عن شخصية بارزة لها مكانتها لدى المسلمين الذين يعرفون قدر الإمام الشوكاني -رحمه الله - والمهام التي قام بها ومؤلفاته التي ألفها في كثير من فروع العلم المختلفة.

ولدراسة سيرة هذا الإمام وسير أمثاله من العلماء والدعاة والتعرف على جهودهم في الدعوة والاحتساب والتأليف والتعليم فوائد متعددة منها:

١- أن يعرف الدعاة المعاصرون قدر علماء الإسلام السابقين ومنهم الإمام الشوكاني -رحمه الله- وينزلوهم المكانة اللائقة بهم[١].

٢- أن يعرف الجيل الجديد جهود الأئمة السابقين في الدعوة إلى الله تعالى، وتبليغ دينه، وما به امتازت دعوتهم، وما كان لها من الآثار والفوائد.

٣- أن تتواصى الأجيال بتكريم الأئمة الأعلام والدعاء لهم.[٢]

والإمام الشوكاني -رحمه الله- من العلماء الذين نذروا أنفسهم للعلم، والتعليم، والدعوة إلى الله تعالى، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد «كانت أمور الدعوة والإصلاح من أهم واجباته التي اضطلع بها، فقد بذل في سبيل ذلك نفسه ونفيس ما يملك، وضحى بكل ما يدخر من جهد وطاقة لأجلها، فهو لم يهمل يوماً أمر نشر الدعوة إلى الله، وإقامة الإصلاح بين الناس، بل ظل يدأب ويكافح من

---

(١) انظر: مناقب الإمام أحمد بن حنبل-أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي٢٧ ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، مصر ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

(٢) المرجع السابق ٢.

أجلها، ويعلم طلبته هذه المبادئ؛ ليصبحوا دعاة مصلحين كلٌّ في بلده وقومه، كما ألَّف العديد من الكتب والرسائل في النصح والتوجيه، وفي الرد على المقلدين والمعاندين، وأصدر الفتاوى التي تنير السبيل أمام المسترشدين وتوجههم الوجهة الصحيحة في دينهم ودنياهم.

وقد كان تأليف الكتب والرسائل ونشرها بين الناس من أهم الوسائل الناجحة للدعوة، ومن أكبر أدوات الإصلاح، ولم يكن في جزيرة العرب وبلاد المسلمين حين ذاك من هو أنشط من الإمام الشوكاني -رحمه الله-- في هذا المجال، وقد انتشرت كتبه ورسائله في حياته وبعد وفاته في جميع الأقطار الإسلامية واطلع عليها الدارسون من المسلمين فاستفادوا منها وعملوا بما جاء فيها»[١]

وقد عده أحد علماء اليمن مجتهد الزمان، ومجدد القرن الثالث عشر، فقال في قصيدة له:

وأنك عالم القطر المسمى   ومجتهد الزمان بلا مراء
وأن مجدد المائة التي نحـ   ـن فيها لهو أنت بلا امتراء[٢]

• أسباب اختيار الموضوع:

للأهمية السابقة التي ذكرتها آنفاً اخترت البحث في هذه الشخصية بالإضافة إلى الأسباب الآتية:

---

(١) الإمام محمد بن علي الشوكاني أديباً شاعراً- بقلم: أحمد بن حافظ الحكمي ٢١٨، ٢١٩، مستلّة من مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد السابع ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

(٢) البيتان، من قصيدة طويلة للعلامة الأديب عبد الرحمن بن يحيى الآنسي، وهي في البدر الطالع-الشوكاني ١/٣٤٣-٣٤٦.

١- أن الإمام الشوكاني -رحمه الله- عالم من العلماء المجتهدين ومصلح وداعية له نشاطه الواضح في الدعوة والاحتساب.

٢- التعرف على جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب وعوامل نجاح دعوته وآثارها.

٣- إسهامي -قدر الاستطاعة- ببحث يضيف جديداً إلى سير الدعاة المبرزين العاملين من أمثال الإمام الشوكاني -رحمه الله- وإثراء المكتبة الإسلامية بجهود ذلك الإمام ليعم نفعها.

٤- أن الإمام الشوكاني -رحمه الله- من الدعاة الذين تدرس سيرهم في مادة سير الدعاة في العصر الحديث في قسم الدعوة والاحتساب في كلية الدعوة والإعلام.

٥- لا توجد كتابة علمية أكاديمية -حسب علمي- عنيت بإبراز جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب.

• **الدراسات السابقة:**

الدراسات والمؤلفات التي تحدثت عن الإمام الشوكاني -رحمه الله- كثيرة ومتعددة، وقد تناولته من جوانب متعددة، ومن أبرز الدراسات التي تناولت علمه وفكره:

١- دراسة الدكتور عبد الله نومسوك (١٤١٢هـ).

عنوان الرسالة: منهج الإمام الشوكاني في العقيدة[١].

موضوع الرسالة: هذه الرسالة تقع في ٨٩٠ صفحة، وتبحث في موضوع

---

(١) منهج الإمام الشوكاني في العقيدة - الدكتور عبد الله نومسوك، رسالة دكتوراه مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، قسم العقيدة، ١٤١٢هـ، ط١، مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ..

منهج الإمام الشوكاني في العقيدة، وقد ذكر المؤلف من أسباب اختياره لهذا الموضوع أموراً منها:

١- أن الإمام الشوكاني من أشهر العلماء المتأخرين الذين لهم أثر بالغ في اليقظة الإسلامية المعاصرة.

٢- أن أبرز الجوانب التي أسهم الشوكاني في إصلاحها وبذل جهوده في الدعوة إليه هو جانب العقيدة.

وقد تحدث المؤلف في هذه الرسالة عن حياة الإمام الشوكاني -رحمه الله- والحالة السياسية، والحالة الدينية، والحالة الاجتماعية، والحالة العلمية في العصر الذي عاش فيه الإمام الشوكاني -رحمه الله-.

أما مضمون البحث في هذه الرسالة فهو في الموضوعين التاليين:

١- الباب الأول: منهج الإمام الشوكاني في الإيمان بالله.

٢- الباب الثاني: منهج الإمام الشوكاني في الإيمان بالنبوات والمعاد.

وجعل تحت كل باب فصولاً ومباحث تتعلق بموضوع الباب.

الموقف من الدراسة:

هذه الدراسة يدور موضوعها حول منهج الإمام الشوكاني -رحمه الله- في العقيدة، وتناول فيها المؤلف كثيراً من القضايا المتعلقة بمنهجه فيها وتوسع فيها، بينما موضوع بحثي يتعلق بالجوانب الدعوية والحسبية من خلال مؤلفات ورسائل الإمام الشوكاني -رحمه الله- وهذه الدراسة تفيدني -بإذن الله- في موضوع جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة إلى الله خصوصاً قضايا الدعوة عنده -رحمه الله- ، وهذه الرسالة -أيضاً- تبين قيمة البحث في موضوع جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب، وإبراز هذه الجهود لأنه إمام مجدد ومصلح.

٢- دراسة الأستاذ خالد بن إبراهيم عبد الله الدبيان.

عنوان الرسالة: قضايا العقيدة عند الإمام الشوكاني[1].

موضوع البحث: تقع الرسالة في (٤٠٣) صفحة، ويتركز هذا البحث في بيان قضايا العقيدة عند الإمام الشوكاني -رحمه الله- كموقفه من صفات الباري والنبوات، والإيمان وغير تلك من القضايا في جانب العقيدة، وقد توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج منها:

١- أن الإمام الشوكاني عالم ملة ورجل عقيدة.

٢- يعتبر الإمام الشوكاني من مجددي عصره.

٣- ناصر الدعوة السلفية التي قادها الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-.

٤- قام الشوكاني بدعوة إصلاحية في اليمن.

٥- نصرته للمنهج السلفي والدعوة إليه.

الموقف من الدراسة:

يتضح من خلال ما سبق من عرض لموضوع البحث أنه يتعلق بجانب من الجوانب التي أولاها الإمام الشوكاني اهتمامه، بل هو أبرز جانب، ذلكم هو جانب العقيدة، وهذا يدل على أن الإمام الشوكاني -رحمه الله- صاحب دعوة إصلاحية إلى الله تعالى، والنتائج التي توصل إليها الباحث تؤكد قيمة البحث في دعوة هذا الإمام واحتسابه، ولكن الباحث لم يتكلم عن جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة إلى الله تعالى، ولا عن جهوده في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا عن عوامل نجاح جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- وآثارها في الدعوة والاحتساب، وهو مجال بحثي في هذا الموضوع.

---

(١) قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في قسم الثقافة الإسلامية في كلية التربية،جامعة الملك سعود، الرياض، عام١٤١٢هـ

٣- دراسة الدكتور عبد الغني قاسم الشرجي:

عنوان الرسالة: الآراء التربوية لمحمد بن علي الشوكاني[1].

موضوع الرسالة: تقع الرسالة في (٧٥٩) صفحة، وقد «اقتصر هذا البحث على دراسة الآراء التربوية للشوكاني، وتشمل أهداف التربية، المراحل التعليمية، طرق التدريس، وأساليب التعليم، إدارة التعليم وتمويله، وهذا يمثل الجانب التطبيقي للجانب النظري الوارد في الفصول التي تناولت المؤثرات والقوى التي تفاعل معها سواء أكانت أحداث ووقائع وخصائص عصره، أو عوامل نشأته، وما انطوت عليه من وسائل التطبيع والتربية «أسرته ، أساتذته، الفكر السابق له،...الخ» أو هو جوانب فكره المختلفة، بما في ذلك فكره التربوي العام»[2]. وقد تناول المؤلف في هذه الرسالة حياة الإمام الشوكاني -رحمه الله- والأحوال السائدة في عصره، كما تحدث عن حياته العلمية.

الموقف من الدراسة:

يتضح مما سبق أن موضوع الدراسة يتركز حول فكر الإمام الشوكاني -رحمه الله- وآرائه التربوية وطرق التدريس وأساليب التعاليم.... وهذا يمثل جانبا من جوانب شخصية الإمام الشوكاني -رحمه الله- وهو جانب التربية والتعليم، وليس هذا مجال بحثي، وإنما مجال بحثي كما أسلفت هو بيان جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة من حيث قضايا الدعوة وأصناف المدعوين عنده،

---

(١) الآراء التربوية لمحمد بن علي الشوكاني - د. عبد الغني قاسم الشرجي، بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراه في فلسفة التربية (أصول التربية) جامعة المنيا في مصر، كلية التربية، قسم أصول التربية، ١٩٨٥م، وقد طبعت الرسالة في كتاب بعنوان الإمام الشوكاني حياته وفكره، د. عبد الغني قاسم الشرجي.

(٢) الآراء التربوية لمحمد بن علي الشوكاني- د. عبد الغني قاسم الشرجي٣١.

وكذلك جهوده في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم إبراز عوامل نجاح جهوده في الدعوة والاحتساب وآثار هذه الجهود في الدعوة والاحتساب.

• **مشكلة البحث:**

يمكن تحديد مشكلة البحث في هذا الموضوع في التعرف على جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- الدعوية والحسبية، وإبراز ما يخفى على الكثير فيما يتعلق بأصناف المدعوين في دعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله- وقضايا الدعوة عنده وجهوده- -رحمه الله- في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإبراز عوامل نجاح جهود الإمام الشوكاني --رحمه الله- في الدعوة والاحتساب، وآثارها.

• **تساؤلات البحث:**

من خلال ما مر يمكن إثارة التساؤلات الآتية:

- ما أصناف المدعوين في دعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله-؟
- ما قضايا الدعوة عند الإمام الشوكاني -رحمه الله-؟
- ما جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الأمر بالمعروف؟
- ما جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في النهي عن المنكر؟
- ما عوامل نجاح جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب؟
- ما آثار جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب؟

• **منهج البحث:**

سوف أستخدم في هذا البحث -بإذن الله- منهجين من مناهج البحث العلمي:

١- المنهج التاريخي: «وهو منهج يستخدمه الباحثون الذين يريدون معرفة

الأحداث التي جرت في الماضي»[١].

وهذا المنهج استخدمته -بفضل الله- عند الحديث عن حياة الإمام الشوكاني -رحمه الله- وتكوينه العلمي، والأحوال السائدة في عصره.

٢- المنهج الاستقرائي: والاستقراء «هو تتبع الجزئيات كلها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً.... ولا يلزم من التتبع الاستقصاء، بل قد يكفي الباحث أن يدرس نماذج متنوعة يستنبط منها كليات عامة»[٢].

وقمت -بفضل الله- باستقراء الجهود الدعوية والحسبية للإمام الشوكاني -رحمه الله- من خلال الحديث عن أصناف المدعوين في دعوة الإمام الشوكاني وقضايا الدعوة عنده وجهوده في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعوامل نجاح جهود الإمام الشوكاني في الدعوة والاحتساب وآثارها.

وقد عنيت في رسالتي هذه ببعض الأمور من أهمها:

١- العناية بالنقل عن الإمام الشوكاني -رحمه الله- لأنه هو المعني بهذه الدراسة، ولذا فإني أسوق نصوصاً له كثيرة ومتعددة في كل مسألة أتحدث عنها وأسوقها.

٢- التعليق على كثير من المطالب والعناصر في هذه الرسالة خصوصاً إذا استدعى المقام ذلك، مع العناية بالفوائد الدعوية خصوصاً على الدعاة إلى الله تعالى.

٣- عند ورود المرجع لأول مرة فإني أكتب معلومات كاملة عنه، بذكر عنوان الكتاب، واسم المؤلف، واسم المحقق إن وجد، ورقم الطبعة، وتاريخ الطبع،

---

(١) البحث العلمي في العلوم السلوكية- د. فاخر عاقل ١٠١، ط١، دار العلم للملايين ١٩٧٩م.

(٢) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة- عبد الرحمن حبنكة الميداني ١٨٨و١٩٢، ط٣، دار القلم١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

وإذا لم يوجد رقم الطبعة فإني أرمز بحرفي: ب. ط.، وإذا لم يوجد تاريخ الطبع فإني أرمز بحرفي: ب.ت.، وإذا لم يوجدا جميعا فإني أرمز بالحروف: ب. ت. ط.، وإذا تكرر المرجع اكتفيت بذكر العنوان والمؤلف.

٤- عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من القرآن الكريم، وأرقامها.

٥- خرجت الأحاديث النبوية الواردة في الرسالة، وما كان في الصحيحين فلا حاجة لبيان درجته لتلقي العلماء لهذين الكتابين العظيمين بالقبول والصحة، وما كان في غيرهما فإني أذكر درجة الحديث وحكم بعض أهل العلم عليه، فما كان في المسند للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فإني أذكر حكم الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله- والشيخ حمزة الزين، -حفظه الله- وما كان في السنن الأربع فإني أذكر حكم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -حفظه الله- عليه.

٦- شرحت بعض الألفاظ الغريبة الواردة في الرسالة.

٧- ترجمت -في الغالب- لمن ورد في الرسالة من الأعلام سوى من كان من المشهورين كالخلفاء الأربعة، وكبار الصحابة والأئمة الأربعة لاشتهارهم وعدم الحاجة إلى ذلك.

٧- عملت فهارس في أخر الرسالة على النحو التالي:

أ/ فهرس الآيات القرآنية حسب ترتيب سور القرآن الكريم.

ب/ فهرس الأحاديث النبوية حسب الحروف الهجائية.

ج/ فهرس الأعلام المترجمين حسب الحروف الهجائية.

د/ فهرس المصادر والمراجع حسب الحروف الهجائية.

هـ/ فهرس الموضوعات.

• **تقسيم الدراسة:**

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة: وتحتوي على:

- تعريف مفردات البحث:

-تعريف الجهود

- ترجمة الإمام الشوكاني -رحمه الله-.

- تعريف الدعوة.

- تعريف الاحتساب.

- أهمية الموضوع.

- الدراسات السابقة.

- مشكلة البحث.

- تساؤلات البحث.

- تقسيم الدراسة.

الفصل التمهيدي: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأحوال السائدة في عصر الإمام الشوكاني -رحمه الله-.

المبحث الثاني: سيرة الإمام الشوكاني -رحمه الله-.

الفصل الأول: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة إلى الله. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أصناف المدعوين في دعوة الإمام الشوكاني-رحمه الله-.

المبحث الثاني: قضايا الدعوة عند الإمام الشوكاني-رحمه الله-.

الفصل الثاني: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الاحتساب. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله في الأمر بالمعروف.

المبحث الثاني: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في النهي عن المنكر.

الفصل الثالث: عوامل نجاح جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب وآثارها. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عوامل نجاح جهود الإمام الشوكاني-رحمه الله- في الدعوة والاحتساب.

المبحث الثاني: آثار جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب.

الخاتمة: وفيها ذكر أهم النتائج والتوصيات.

• الشكر والعرفان:

وإني إذ أقدم هذا الجهد المتواضع أتوجه بالحمد والشكر لمولي الفضل والإحسان، فأحمد الله تعالى وأشكره، إذ وفقني لإعداد هذا الرسالة وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله بقبول حسن، وأن يقيني فتنة القول وفتنة العمل، ثم أتوجه بالشكر لصاحبي الفضل والإحسان، بعد الله تعالى، والديّ الكريمين امتثالاً لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير﴾[1] ﴿ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾[2]، فقد كانا سبب إيجادي في هذه الحياة و توليا تربيتي وتعليمي فأسأل الله تعالى أن يمتعهما بالصحة والعافية ويطيل في عمرهما على طاعته، وأن يجزيهما عني خير الجزاء ﴿رب ارحمهما كما ربياني

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٢) سورة النمل، الآية: ١٩.

صغيراً﴾[١].

كما أتوجه بالشكر لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على ما تبذله من جهود في نشر العلم والدعوة إلى الله تعالى، وأتوجه بالشكر والتقدير لفضيلة مشرفي الدكتور حمد بن ناصر العمار وكيل كلية الدعوة والإعلام الأستاذ المساعد في قسم الدعوة والاحتساب -حفظه الله ورعاه- فلقد حباني بالتوجيه والإرشاد، وفتح لي قلبه، وأعطاني من نفيس وقته وكان له الفضل بعد الله تعالى في إخراج هذه الرسالة وإنجازها، وأشكر فضيلة عميد الكلية الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، على حرصه الدؤوب على كل ما يحقق الخير والمصلحة لهذه الكلية ومنسوبيها، ولا أنسى أن أتوجه بالشكر والتقدير لكل من أسهم معي في إعداد هذه الرسالة بالتوجيه والنصح والإفادة، كما أشكر صاحبي الفضيلة المناقشين على تكرمهما بمناقشتي وإفادتي بعلمهما وتوجيهاتهما.

وأخيراً لا أدعي الكمال في هذه الرسالة فكل عمل بشري يعتريه النقص والخلل

وما أبرئ نفسي إنني بشر   أسهو وأخطئ ما لم يحمني قدر
ولا ترى عذراً أولى بذي زلل   من أن يقول مقراً إنني بشر[٢]

والحمدلله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(١) سورة الإسراء، الآية:٢٤.

(٢) الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية- د. عمر بن عبد العزيز المترك، اعتنى بإخراجه وترجم لمؤلفه: د. بكر بن عبد الله أبو زيد٢، ط٢، دار العاصمة، الرياض١٤١٧هـ

الفصل التمهيدي

المبحث الأول
الأحوال السائدة في عصر الإمام الشوكاني -رحمه الله-

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة الدينية.

المطلب الثالث: الحالة العلمية.

المطلب الرابع: الحالة الاجتماعية.

المطلب الأول

الحالة السياسية

١- الدول التي تتزعم العالم الإسلامي في القرن الثالث عشر الهجري:

امتدت الفترة التي عاشها الإمام الشوكاني -رحمه الله- من عام ١١٧٣هـ حتى عام ١٢٥٠هـ[١]، وبهذا يكون قد عاش معظم حياته في القرن الثالث عشر الهجري، وفي هذا القرن تولى القضاء العام في بلاد اليمن[٢]، وذاع صيته وعلت شهرته.

وقد كان للمسلمين فيه خمس دول: الدولة العثمانية التركية، والدولة القاجارية [٣] بفارس، ودولة السعديين بمراكش، ودولة محمد علي باشا[٤] في مصر، والدولة السعودية في نجد[٥].

«فأما الدولة العثمانية التركية فقد عرفت بين دول أوروبا في هذا القرن بالرجل المريض، وكانت قد اتفقت في القرن السابق على تقسيمها، ولكنها في هذا القرن تضاربت أطماعها فيها فكانت كل دولة منها تنتزع ما يمكنها انتزاعه منها في غفلة الدول الأخرى»[٦].

---

(١) انظر: الأعلام - الزركلي ٦/٢٩٨.

(٢) انظر: المرجع السابق ٦/٢٩٨.

(٣) نسبة إلى أغا محمد مؤسس الأسرة القاجارية الذي أصبح رجل فارس الأول والشاه في ١٧٧٩م، الشعوب الإسلامية - د. عبد العزيز نوار٣٣٧، ط دار النهضة العربية، ١٩٧٣م ب.ط.

(٤) محمد علي باشا بن إبراهيم أغا بن علي، مؤسس آخر دولة ملكية بمصر، ألباني الأصل، مستعرب، تولى مصر عام ١٢٢٠. الأعلام - الزركلي ٦/ ٢٩٨.

(٥) انظر: المجددون في الإسلام - عبد المتعال الصعيدي،٤٤٦، ط مكتبة الآداب، ب. ت.ط.

(٦) المرجع السابق، ٤٤٦.

«وقد فقدت الدولة العثمانية في هذا القرن أكبر أملاكها في أوروبا، وفقدت الجزائر في المغرب باستيلاء فرنسا عليها سنة ١٢٤٦هـ =١٨٣٠م...»[١].

هذا فيما يتعلق بالدولة العثمانية التركية.

«وأما الدولة القاجارية بفارس فإنها كانت تعاني من الفساد في هذا القرن ما تعانيه الدولة العثمانية التركية، وكان لدولتي روسيا وإنجلترا أطماع في بلادها، فقامت حروب بينها وبينهما بسببها، وكانت هذه الحروب تنتهي بفوزهما عليها»[٢].

«وأما دولة السعديين بمراكش فإنها في هذا القرن كانت في حال أسوأ من حال الدولتين السابقتين؛ لأن فرنسا فصلت بينها وبين باقي دول المغرب باستيلائها في هذا القرن على الجزائر وتونس، وكان للمسلمين في المغرب سفن تنافس السفن الأوروبية، فانتهى عهد سفنهم في هذا القرن وكان آخر عهدهم بها سنة ١٢٤٠هـ =١٨٢٤م»[٣]

«وأما دولة علي باشا بمصر فقد نشأت في هذا القرن سنة ١٢٢٠هـ =١٨٠٥م وكان هذا بعد أن أتى إلى مصر جندياً في الحملة التي أتت لإخراج الفرنسيين منها»[٤]، «وقد وضع نصب عينيه أن ينشئ له دولة قوية حديثة بمصر، فقام بإصلاحات كثيرة... ولما رأى أوروبا تحاول تقسيم بلاد الدولة العثمانية التركية على دولها، رأى أنه أحق منها بهذا الميراث الإسلامي، فطمع في بلادها كما طمعوا فيها ... وقد انتهز فرصة وقوع خلاف بينه وبين والي الشام، وشنها حرباً عنيفة على

---

(١) المجددون في الإسلام، عبد المتعال الصعيدي، ٤٤٧.

(٢) المرجع السابق ٤٤٧.

(٣) المرجع السابق ٤٤٧.

(٤) المرجع السابق ٤٤٧.

هذه الدولة حتى كاد يستولي في هذه الحرب على بلادها، وينشئ دولة قوية حديثة فيها، فحالت أوروبا بينه وبين الوصول إلى هذا الغرض، وعقدت صلحاً بين الفريقين سنة١٢٥٦هـ= ١٨٨٢م، فذهبت إصلاحاته بموته، ومكثت مصر بعده تتأخر مرة وتنهض أخرى، وتقوم فيها الفتن والاضطرابات إلى أن احتلتها إنجلترا سنة ١٣٠٠هـ =١٨٨٢م»[١].

٢- الحملة الفرنسية على الديار المصرية وموقف الإمام الشوكاني -رحمه الله- منها:

من الأحداث التي ابتلي بها العالم الإسلامي في القرن الثالث عشر الهجري استيلاء فرنسا على مصر، ووصولهم إلى القاهرة، وحكمهم على من بتلك الديار من المسلمين. ويصور الإمام الشوكاني -رحمه الله- هذه المصيبة «بالرزية العظمى والمصيبة الكبرى والبلية التي تبكي لها عيون الإسلام والمسلمين وهي استيلاء طائفة من الفرنج يقال لهم الفرنسيس على الديار المصرية جميعها، ووصولهم إلى القاهرة وحكمهم على من بتلك الديار من المسلمين، وهذا خطب لم يصب الإسلام بمثله، فإن مصر ما زالت بأيدي المسلمين منذ فتحت في زمن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى وقتنا الحاضر، ولم نجد في شيء من الكتب التاريخية ما يدل على أنه قد دخل مدينة مصر دولة كفرية... وما زالت تلك المدينة وسائر بلادها محروسة عن الدول الكفرية...»[٢].

٣- حالة نجد في عهد الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- :

انطلقت دعوة التوحيد في نجد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- ١١١٥-١٢٠٦هـ «ومن أهم أهداف تلك الدعوة: إفراد الله بالعبادة، ومحاربة

---

(١) المجددون في الإسلام - عبد المتعال الصعيدي٤٤٨.

(٢) انظر: البدر الطالع - الشوكاني، ٢/٨ ، ٩.

الشرك بجميع أنواعه، وسد الذرائع المؤدية إليه، والقضاء على البدع في الدين، وتطبيق الشريعة في كل أمور الحياة، وذلك في ظل دولة قادرة على تحقيق تلك الأهداف»[١].

ويمكن تحديد هدف التربية في منهج هذه الدعوة الإصلاحية في العناصر التاليه:[٢]

١- بناء الفرد المسلم في مختلف جوانب شخصيته.

٢- تكوين المجتمع المسلم.

٣- إحياء روح الجهاد في سبيل الله.

٤- إقامة قيادة سياسية تؤمن بالإصلاح، وتعمل على تحقيقه، والحكم بما أنزل الله.

٥- العناية بتأكيد الرابطة بين شؤون الدين وأمور الدنيا معاً.

٦- تنمية مبدأ الولاء لله، ولرسوله، وللمؤمنين.

٧- إحياء مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٨- العمل على تحقيق التوحيد، وبيان فضله، ودعوة الناس إلى تطهير الاعتقاد.

٩- محاربة البدع والانحرافات في الدين.

١٠- تجلية المفاهيم الإسلامية مما أحاط بها من غموض أو نقص أو تحريف.

١١- التأكيد على المحافظة على فرائض الدين، وتعليم المسلم ما لا تتم هذه الفرائض إلا به.

---

(١) محاضرات وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية - د. عبد الله الصالح العثيمين، ٦٣، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(٢) انظر: حركة التجديد والإصلاح في نجد في العصر الحديث - د. عبد الله بن محمد العجلان ٨٩، ٩٠، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٢- تعظيم الكتاب العزيز، والسنة النبوية الشريفة، والاعتماد عليها في أخذ الأحكام الشرعية.

١٣- نشر العلوم الإسلامية والعربية، وتوسيع آثارها في الحياة.

١٤- نشر الدعوة للإسلام في صورته النقية البسيطة.

وقد قويت هذه الدولة في عهد الإمام محمد بن سعود - رحمه الله- ومن بعده ابنه عبد العزيز[١] -رحمه الله- «فقد واصل جهود أبيه حتى وحد جميع أقاليم نجد حاضرة وبادية، في مستهل القرن الثالث عشر من الهجرة... وظلت الدولة السعودية تزداد قوة واتساعاً في اتجاهات مختلفة»[٢].

«وقد دفع نجاح الدولة السعودية الأولى القادة العثمانيين إلى أن يجردوا ضدها عدة حملات عسكرية، ومع أنهم فشلوا في كثير من تلك الحملات إلا أنهم نجحوا آخر الأمر في القضاء على تلك الدولة عن طريق حاكم مصر، محمد علي باشا، وذلك سنة١٢٣٣هـ- ١٨١٨م.

وبانتهاء الدولة السعودية الأولى؛ دبت الفوضى في البلاد، خاصة في منطقة نجد، وضعف الأمن بدرجة كبيرة ، فقامت محاولات لإعادة توحيدها، وبعد سبع

---

(١) عبد العزيز بن محمد بن سعود: إمام من أمراء آل سعود في الدولة السعودية الأولى، ولي بعد وفاة أبيه سنة١١٧٩هـ، واتسع نطاق الدولة في أيامه، وكان مغواراً شديد البأس، مات قتيلاً - رحمه الله- في منتصف عام١٢١٨هـ، قتله رجل شيعي فارسي وهو يصلي. الأعلام - الزركلي، ٢٧/٤، والتاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول- صديق حسن خان القنوجي، ٣٠٩، ط١، مكتبة دار السلام، الرياض، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م

(٢) محاضرات وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية- د. عبد الله الصالح العثيمين،٦٤، ٦٥.

سنوات تكللت المحاولات بالنجاح على يد الإمام تركي بن عبد الله آل سعود[١] الذي اتخذ الرياض عاصمة لدولته الجديدة، واستطاع ذلك الإمام أن يوحد نجداً والمنطقة الشرقية، وظلت الدولة السعودية الثانية قائمة بدرجات مختلفة من القوة والضعف حوالي سبعين عاماً»[٢].

٤- أئمة اليمن في عصر الإمام الشوكاني - رحمه الله -:

عاصر الإمام الشوكاني -رحمه الله- حكم أربعة أئمة من أئمة اليمن وهم:

١- المهدي: عباس بن الحسن بن القاسم:

وقد ولد سنة ١١٣١هـ، وتوفي عام١١٨٩هـ، وله من العمر ٥٨ عاماً[٣]، «وكانت سيرته حسنة، وكان معه من الفضل والزهد ما لا مزيد عليه وكان المهدي عباس من دأبه تقريب أهل العلم والفضل والتدبير، ونظم الأمور على منهاج الشرع المنير»[٤].

---

(١) تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود (...-١٢٤٩هـ ...-١٨٣٣م): إمام من أمراء نجد، وليها بعد مقتل ابن عمه مشاري بن سعود، وبولاية تركي انتقل الحكم في آل سعود، من سلالة عبد العزيز بن محمد إلى سلالة أخيه عبد الله بن محمد، وبقي في هؤلاء إلى اليوم، اغتاله ابن عمه مشاري بن عبد العزيز بن سعود، وهو ابن أخيه أيضاً. الأعلام - الزركلي، ٢/٨٤.

(٢) محاضرات وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية - د. عبد الله العثيمين، ٩١-٩٢.

(٣) تاريخ اليمن المسمى (فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن)- عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليماني، ٥٨، ط، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٦هـ ب ط، وانظر: ترجمته في البدر الطالع- الشوكاني ١/٣١٠-٣١٣، والأعلام- الزركلي ٣/٢٦٠.

(٤) تاريخ اليمن- الواسعي، ٥٨.

بويع بالإمامة بعد وفاة والده سنة ١١٦١[(١)].

وقد أثنى عليه الإمام الشوكاني -رحمه الله- في البدر الطالع بقوله: «وكان إماماً فطناً ذكياً عادلاً قوي التدبير عالي الهمة منقاداً إلى الخير مائلاً إلى أهل العلم محباً للعدل منصفاً للمظلوم سيوساً حازماً مطلعاً على أحوال رعيته»[(٢)]، ووصفه بأنه «آخر من كان منهم نكالاً على القبوريين وعلى القبور الموضوعة على غير الصفة المشروعة»[(٣)].

٢- المنصور علي بن العباس:

ولد سنة ١١٥١هـ، وتوفي سنة ١٢٢٤هـ وله من العمر ٧٣ سنة[(٤)].

«سلك مسلك الملوك، وجعل له ثلاثة وزراء ولاهم جميع الأمور، ولم يشتغل بشيء من أمور مملكته إلا بالعماير والإصلاحات في صنعاء وحولها من المحلات المشهورة، وكان دأبه الاحتجاب والميل إلى مجالسة النساء من الحرائر والإماء، وكان من دأبه الكرم والضيافات والتفقد للأرامل وذوي الحاجات، استمرت إمارته في سعادة وإقبال إلى سنة ١٢١٦هـ، ثم تلاشت عليه الأمور بخروج التهايم وثغوره إلى الخوارج»[(٥)].

---

(١) انظر: البدر الطالع - الشوكاني، ٣١٠/١.

(٢) المرجع السابق ٣١٠/١، ٣١١.

(٣) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد - محمد بن علي الشوكاني، علق عليه وخرج أحاديثه: أبوعبد الله الحلبي١٢٧ ، ط١، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ.

(٤) تاريخ اليمن - الواسعي، ٥٩، وانظر ترجمته في البدر الطالع - الشوكاني، ٤٥٩/١، والأعلام - الزركلي، ٢٩٨/٤.

(٥) تاريخ اليمن - الواسعي، ٦٠.

بويع بالإمامة بعد وفاة والده سنة ١١٨٩هـ[1]، وقد ولي الإمام الشوكاني -رحمه الله- القضاء في عهد هذا الإمام عام ١٢٠٩هـ بعد وفاة القاضي العام[2].

٣- المتوكل أحمد بن المنصور علي بن العباس:

ولد «في أول شهر محرم ١١٧٠هـ سبعين ومائة وألف، وهو أكبر أولاد أبيه»[3] بويع له بالإمامة سنة ١٢٢٤هـ وكان أول من بايعه الإمام الشوكاني. توفي -رحمه الله- عام ١٢٣١هـ [4].

وكان الشوكاني -رحمه الله- القاضي العام في زمنه كما كان في زمن أبيه المنصور، وقد أثنى عليه الشوكاني -رحمه الله- بقوله: «وهو ميمون النقيبة، ما باشر حرباً من الحروب إلا وكان الغلب له»[5].

٤- المهدي عبدالله بن المتوكل أحمد:

«ولد سنة ١٢٠٨هـ ...وهو أكبر أولاد أبيه»[6].

بويع له بالإمامة سنة ١٢٣١هـ بعد وفاة والده وكان الذي بايعه هو الإمام

---

(١) انظر: البدر الطالع- الشوكاني، ٤٦١/١.

(٢) واسمه يحيى بن صالح السحولي، انظر: المرجع السابق ٤٦٤/١-٤٦٥.

(٣) المرجع السابق، ٧٧/١.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٧٨/١.

(٥) المرجع السابق، ٧٨/١، وانظر: ترجمته في تاريخ اليمن- الواسعي، ٦٠، ٦١، والأعلام - الزركلي، ١٨٢/١.

(٦) انظر: البدر الطالع - الشوكاني، ٣٧٦/١، وانظر: تاريخ اليمن- الواسعي ٦١-٦٢، والأعلام- الزركلي ٦٩/٤.

الشوكاني -رحمه الله-[١].

واستمر الإمام الشوكاني -رحمه الله- قاضياً في إمامة المهدي عبد الله، وتوفي قبل وفاة المهدي بعام واحد[٢].

وكان الإمام المهدي ضعيف السيرة «ومن ضعف سيرته: أن كل وقت له وزير، وبعد مدة يسيرة يعزله ويعذبه؛ فمن هنالك اختلت المملكة، وأصاب الدولةَ الضعفُ وفسادُ الأمور، كلما تولى وزير نظر إلى مصلحة نفسه، ولم ينظر إلى مصلحة نظام الملك، مع حصول الإياس من البقاء فيما هو فيه، فيجمع له مالاً على أي جهة كانت، والوزراء كانوا يعزلون من تحتهم من العمال وكل واحد من العمال لم ينظر إلا إلى مصلحة نفسه فبذلك اختل نظام الملك وكل يوم إلى ضعف»[٣]

٥- علاقة اليمن مع دولة الأشراف في مكة:

«أما أشراف مكة والحجاز فقد عاصر الشوكاني عدداً منهم: الشريف مساعد بن سعيد[٤] (ت ١١٨٤هـ)، وولده سرور بن مساعد[٥] (ت ١٢٠٢هـ)

---

(١) انظر: البدر الطالع- الشوكاني، ٣٧٧/١.

(٢) توفي المهدي عام ١٢٥١هـ انظر: المرجع السابق ٣٧٧/١، والأعلام - الزركلي ٦٩/٤، وتوفي الشوكاني في عام ١٢٥٠هـ انظر البدر الطالع - الشوكاني، ٢٢٥/٢، والأعلام- الزركلي، ٢٩٨،٦.

(٣) انظر: تاريخ اليمن -الواسعي، ٦١-٦٢.

(٤) مساعد بن سعيد الحسني: شريف ممن تولوا إمارة مكة في العهد العثماني، وليها بعد موت أخيه مسعود سنة١١٦٥هـ، واستمر إلى سنة١١٧٢هـ ثم عزل. الأعلام - الزركلي، ٢١٢/٧.

(٥) سرور بن مساعد بن سعيد: شريف حسني من أمراء مكة ثار على عمه (أميرها) أحمد ابن سعيد أربع عشرة مرة، ونشبت بينهما فتن وحروب انتهت باستيلاء سرور على الإمارة سنة ١١٨٥هـ واستمر فيها إلى أن توفي بمكة.

وغالب بن مساعد[١] (ت ١٢٣١هـ)»[٢].

وكان بين الشريف غالب وبين الإمام المنصور مراسلات وخطابات[٣]، وكان الذي يتولى الرد على هذه الخطابات الإمام الشوكاني -رحمه الله- على لسان الإمام المنصور[٤]، «وفي هذه الرسائل دليل على حسن العلاقة والتعاون الكامل بين أشراف الحجاز ودولة اليمن في مجال السياسة والاقتصاد ومحاربة العدو المشترك»[٥].

٦- علاقة اليمن مع دولة آل سعود:

كان بين الإمام سعود بن عبد العزيز[٦] -رحمه الله- وبين إمام اليمن المنصور بالله، وولده المتوكل مكاتبات تنبئ عن التعاون، وحسن العلاقة بين الجانبين.

---

(١) غالب بن مساعد بن سعيد الحسني: من أمراء مكة، وليها بعد وفاة أخيه سرور سنة١٢٠٢هـ، وفي أيامه قوي الإمام سعود بن عبد العزيز بنجد، وهاجمت جيوشه الحجاز فقاتلها الشريف وتقهقر إلى جدة، ثم أظهر الطاعة لسعود حتى كان كأحد عماله، توفي في سلانيك منفياً، الأعلام - الزركلي، ١١٥/٥.

(٢) منهج الإمام الشوكاني في العقيدة - د. عبد الله نومسوك، ٣٤.

(٣) انظر: هذه الخطابات في: البدر الطالع - الشوكاني، ٢/ ٨-٢٣.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٢/ ٢٠.

(٥) الإمام الشوكاني مفسراً - د. محمد بن حسن الغماري، ٣٣، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

(٦) سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، إمام من أمراء نجد يعرف بسعود الكبير، وليها يوم مقتل أبيه بالدرعية، سنة١٢١٨هـ، وكان موفقاً يقظاً لم تهزم له راية -رحمه الله- . الأعلام - الزركلي، ٣/ ٩٠.

فقد ذكر الشوكاني -رحمه الله- أنه «وصل من صاحب نجد المذكور مجلدان لطيفان أرسل بهما إلى حضرة مولانا الإمام[(١)] حفظه الله أحدهما: يشتمل على رسائل لمحمد بن عبد الوهاب كلها في الإرشاد إلى إخلاص التوحيد، والتنفير من الشرك الذي يفعله المعتقدون في القبر. وهي رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب والسنة. والمجلد الآخر يتضمن الرد على جماعة من المقصرين من فقهاء صنعاء وصعدة ذاكروه في مسائل محققة تدل على أن المجيب من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة، وقد هدم عليهم جميع ما بنوه وأبطل جيمع ما دونوه؛ لأنهم مقصرون متعصبون، فصار ما فعلوه خزياً عليهم وعلى أهل صنعاء وصعدة، وهكذا من تصدر ولم يعرف مقدار نفسه. وأرسل صاحب نجد مع الكتابين المذكورين بمكاتبة منه إلى سيدي المولى الإمام فدفع حفظه الله [(٢)] جميع ذلك إليّ فأجبت عن كتابه الذي كتب إلى مولانا الإمام حفظه الله على لسانه[(٣)]، بما معناه أن الجماعة الذين أرسلوا إليه بالمذاكرة لا ندري من هم وكلامهم يدل على أنهم جهال والأصل والجواب موجودان في مجموعي»[(٤)].

وقال -رحمه الله- في موضع آخر: «وما زال الوافدون من سعود يفدون إلينا إلى صنعاء إلى حضرة الإمام المنصور، وإلى حضرة ولده الإمام المتوكل بكتيب إليهما بالدعوة إلى التوحيد، وهدم القباب المشيدة، والقباب المرتفعة، ويكتب إليَّ أيضاً مع ما يصل من الكتب إلى الإمامين، ثم وقع الهدم للقباب، والقبور المشيدة في

---

(١) يعني الإمام المنصور.

(٢) يعني الإمام المنصور.

(٣) يعني على لسان الإمام المنصور.

(٤) البدر الطالع - الشوكاني، ٧/١.

صنعاء وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها في جهة ذمار وما يتصل بها»[١].

وقد أثنى الإمام الشوكاني -رحمه الله- على الإمام سعود بن عبد العزيز -رحمه الله- ودعوته دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- بقوله: «فإن صاحب نجد تبلغ عنه قوة عظيمة لا يقوم لمثلها صاحب الترجمة[٢]، فقد سمعنا أنه قد استولى على بلاد الحسا والقطيف وبلاد الدواسر وغالب بلاد الحجاز، ومن دخل تحت حوزته أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام ودخل في طاعته من عرب الشام الساكنين ما بين الحجاز وصعدة غالبهم إما رغبةً وإما رهبةً وصاروا مقيمين لفرائض الدين بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئاً ولا يقومون بشيء من واجباته إلا مجرد التكلم بلفظ الشهادتين على ما في لفظهم بها من عوج»[٣].

وتبين لي من خلال ما ذكر إعجاب الشوكاني -رحمه الله- بالدعوة السلفية التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب بمساعدة الإمام محمد بن سعود -رحمهما الله- وقام بنشرها أبناؤهما ومن جاء بعدهما، ومما يدل على صدق إعجابه بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب القصيدة التي قالها في رثائه ومطلعها:

مصاب دهى قلبي فأذكى غلائلي وأصمى بسهم الافتجاع مقاتلي[٤]

---

(١) البدر الطالع - الشوكاني، ١/٢٦٢، ٢٦٣.

(٢) هو الشريف غالب، انظر المرجع السابق، ٢/٤-٥.

(٣) المرجع السابق، ٢/٥.

(٤) انظر تمام القصيدة في القصيدة اللامية في رثاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب للقاضي محمد بن علي الشوكاني، تحقيق وتقديم: الدكتور عبد الله بن محمد أبو داهش، ٢٢٩-٢٤٢، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الرابع، رجب١٤١١هـ.

وهذا الإعجاب لم يمنع الإمام الشوكاني من توجيه النقد لبعض آراء وتصرفات أئمة هذه الدعوة السلفية[(١)].

فبراير ١٩٩١م، وانظر الأبيات الأولى منها في ديوان الشوكاني (أسلاك الجوهر)، والحياة الفكرية والسياسية في عصره، تحقيق ودراسة: د. حسين بن عبد الله العمري، ١٦٠، الهامش، ط٢، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، سورية-دمشق ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م، وانظر: الإمام محمد بن علي الشوكاني أديباً شاعراً، بقلم أحمد بن حافظ الحكمي، ٣٤٦،، حيث نقل مقدمة القصيدة عن التمثيل على المقدمات والخواتيم في قصائد الشوكاني.

(١) انظر: البدر الطالع - الشوكاني، ٢/٥-٦.

المطلب الثاني

الحالة الدينية

انتشرت في عصر الإمام الشوكاني -رحمه الله- عدة فرق ومذاهب ومن أهمها:

١- الزيدية:

والزيدية فرقة من فرق الرافضة(١)، وهي من الفرق المنتشرة في اليمن.

«وإنما سموا زيدية لتمسكهم بقول «زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب»(٢)، وكان زيد بن علي -رحمه الله - يفضل عليًّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- على سائر أصحاب رسول الله ﷺ، ويتولى أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما- ويرى الخروج على أئمة الجور، فلما ظهر بالكوفة في أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن على أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- فأنكر ذلك على

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق -عبد القاهر البغدادي، اعتنى بها وعلق عليها: الشيخ إبراهيم رمضان، ٣٠، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

(٢) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٧٩-١٢٢هـ-٦٩٨-٧٤٠م) الإمام أبو الحسين العلوي الهاشمي القرشي ويقال له زيد الشهيد، عده الجاحظ من خطباء بني هاشم وقال أبو حنيفة: ما رأيت أفقه منه ولا أسرع جواباً ولا أبين قولاً، كانت إقامته بالكوفة، وقرأ على واصل بن عطاء (رأس المعتزلة) واقتبس منه علم الاعتزال، ضيق عليه هشام بن عبد الملك وكان الوالي على العراق يومئذ يوسف الثقفي، توفي مقتولاً. الأعلام - الزركلي٣/٥٩، وانظر: تاريخ اليمن - الواسعي١٦، ومقدمة ابن خلدون- عبد الرحمن ابن محمد بن خلدون، تصحيح وفهرسة: أبي عبد الله السعد المندوه ١/٢٠٩، ٢١٢، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت- لبنان، المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

من سمعه منه فتفرق عنه الذين بايعوه، فقال لهم رفضتموني، فيقال: إنهم سموا «الرافضة لقول زيد لهم رفضتموني»[(١)].

«وإن مذهب الإمام زيد -رحمه الله- أقرب المذاهب إلى الجماعة[(٢)] في الإمامة، وهو مختلط في الفروع بمذهب الجماعة»[(٣)].

وقد قامت الدولة الزيدية في اليمن «وقد أقامها الهادي[(٤)] واستمرت قائمة إلى حوالي سنة ١٣٨٠هـ»[(٥)].

والإمام الشوكاني -رحمه الله- درس هذا المذهب وتفقه عليه إلا أنه لم يلبث

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين - أبو الحسن الأشعري، عني بتصحيحه هلموت ريتر، ٦٥، ط١، ب ت وانظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم،٣٦/١٣.

(٢) قال الإمام ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله- في شرح العقيدة الطحاوية: «الجماعة: جماعة المسلمين وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين» شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز الحنفي، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له: د. عبد الله ابن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرنؤوط ٥٤٤/٢، ط٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

(٣) الوحدة الإسلامية - محمد أبو زهرة، ١٨٥، ط دار الفكر العربي، ب ت. ط

(٤) الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، مولده بالمدينة سنة٢٤٥، وكان خروجه إلى اليمن سنة٢٨٠هـ، ودخل صنعاء وصعدة، ووقعت بينه وبين عمال بني العباس حروب ووقائع، وخطب للإمام الهادي بمكة سبع سنين، وفاته٢٩٨هـ تاريخ اليمن - الواسعي، ٢١.

(٥) الوحدة الإسلامية - محمد أبو زهرة، ١٩٥.

أن تخلى عن التقليد والتمذهب وأصبح لا يتقيد بفرقة من الفرق أو مذهب من المذاهب، بل اعتمد اعتماداً مباشراً على الكتاب والسنة، وأصبح من المجتهدين في البحث عن الحكم الشرعي، والأصل العقائدي من خلال الأدلة والبراهين ، ويتجلى ذلك في خروجه على المذهب الزيدي ومخالفته له في مسائل كثيرة»[(١)].

٢- الرافضة:

الرافضة فرقة من فرق الشيعة[(٢)]، «وهم الذين غلوا في حب علي رضي الله عنه، حتى قالت طائفة منهم بألوهيته، وحملهم ذلك على سب أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- حتى إن بعضهم كفَّر أبا بكر وعمرَ -رضي الله عنهما-»[(٣)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وأما لفظ (الرافضة) فهذا اللفظ أول ما ظهر في الإسلام لما خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية، في خلافة هشام بن عبد الملك[(٤)]، واتبعه الشيعة، فسئل عن أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- فتولاهما وترحم عليهما، فرفضه قوم ، فقال: رفضتموني رفضتموني

---

(١) منهج الإمام الشوكاني في العقيدة - د. عبد الله نومسوك ٤١.

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية١٣/٣٦.

(٣) انظر معجم البدع - رائد بن صبري بن أبي علفة، حرف الفاء ٤٤٥، ط١، دار العاصمة، الرياض١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(٤) هشام بن عبد الملك بن مروان (٧١-١٢٥هـ ،٦٩٠-٧٤٣م)، من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولد في دمشق وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد سنة١٠٥هـ، وخرج عليه زيد بن علي بن الحسين سنة١٢٠هـ، بأربعة عشر ألفاً من أهل الكوفة، فوجه إليه من قتله وفل جمعه. انظر: الأعلام - الزركلي ٨/٨٦

فسموا الرافضة»[١].

«وقد اعتقد جماعة من الرافضة أن أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما- كانا كافرين، وقال بعضهم: ارتدا بعد موت رسول الله ﷺ: ومنهم من يقول بالتبري من غير علي -رضي الله عنه-... وغلوُّ الرافضة في حب علي -رضي الله عنه- حملهم على أن وضعوا أحاديث كثيرة في فضائله أكثرها تشينه وتؤذيه... ولهم مذاهب في الفقه ابتدعوها وخرافات خالفت الإجماع... ومقابح الرافضة أكثر من أن تحصر»[٢].

«وقد أجمعت الرافضة على إثبات الإمامة عقلاً وأن إمامة علي -رضي الله عنه- وتقديمه ثابتة نصاً، وأن الأئمة معصومون: لا يجوز عليهم الغلط والسهو والخطأ، وأنكروا إمامة المفضول والاختيار، وقالوا بتفضيل علي -رضي الله عنه- على سائر الصحابة -رضي الله عنهم-، وأنه الإمام بعد رسول الله ﷺ، وتبرؤوا من أبي بكر وعمر، وكثير من الصحابة -رضي الله عنهم- إلا فرقة الزيدية...»[٣].

«وقد عاش الشوكاني -رحمه الله- الانحرافات والاضطرابات والفتن التي أحدثتها الرافضة في عصره، فكان موقفه منهم موقفاً شديداً، فقد حذر منهم،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٣/٣٥، ٣٦.

(٢) تلبيس إبليس- أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ١١٢-١١٥، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، وانظر: معجم البدع - رائد بن صبري بن أبي علفة،٤٤٦-٤٤٨.

(٣) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان - أبو الفضل عباس بن منصور السكسكي الحنبلي، تحقيق: الدكتور بسام علي سلامة العموش، ٦٥، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء- الأردن ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، و الملل والنحل -محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ١/١٤٦، ١٤٧، ط دار المعرفة، بيروت-لبنان، ب ت.ط.

ووضح خطرهم، وكشف فضائحهم، في عديد من كتبه»[١].

ومما يبين موقفه منهم قوله -رحمه الله- :«انظر الرافضة فإنك تجد أكثر ما لديهم وأعظم ما يشتغلون به ويكتبونه ويحفظونه مثالب الصحابة -رضي الله عنهم- المكذوبة عليهم؛ ليتوصلوا بذلك إلى ما هو غاية لديهم من السب والثلب لهم، -صانهم الله وكبت مبغضهم-، ثم يعتبرون الناس جميعاً بهذه المسألة، فمن وافقهم فيها فهو المسلم حقاً، المحق، وإن فعل ما فعل، ومن خالفهم في هذه المسألة فهو المبطل المبتدع، وإن كان على جانب من الورع وحظ من التقوى لا يقادر قدرهما»[٢].

وقال أيضاً: «ولم أجد أهل ملة من الملل ولا فرقة من الفرق الإسلامية -أشدَّ بهتاً، وأعظم كذباً، وأكثر افتراءً من الرافضة، فإنهم لا يبالون بما يقولون من الزور كائناً ما كان، ومن كان مشاركاً لهم في نوع من أنواع الرفض -وإن قل- كان فيه مشابهة لهم بقدر ما يشاركهم فيه».[٣]

ومما يوضح بجلاء موقف الإمام الشوكاني -رحمه الله- من هذه الفرقة تأليفه رسالة بعنوان: إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي ﷺ، قصد بها الرد على الروافض، وبيان موقف آل النبي ﷺ من صحابته - عليه الصلاة والسلام[٤]-، وقد واجه بسببها تعصباً وتحزباً من الرافضة وردوا عليه وعظمت الفتنة

---

(١) منهج الشوكاني في العقيدة -د. عبد الله نومسوك ٤٤.

(٢) أدب الطلب ومنتهى الأرب- محمد بن علي الشوكاني، علق عليه وخرج أحاديثه: محمد صبحي حسن حلاق ٧٥، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١. ١٤١٥هـ، توزيع: دار المعراج للنشر والتوزيع، الرياض.

(٣) المرجع السابق٧٩.

(٤) انظر: إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي صلى الله عليه وسلم- محمد بن علي الشوكاني، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه أبو عبيدة مشهور بن حسن ابن سلمان، ٥٠، ط١، دار المنار، الرياض، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

بسببها على الإمام الشوكاني -رحمه الله- وانتشرت هذه الرسالة في الأقطار اليمنية[1].

٣- الصوفية:

عاش الإمام الشوكاني -رحمه الله- فترة كثر فيها التصوف وانتشر في العالم الإسلامي عامة وفي اليمن -بلده- خاصة.

وقبل التعرف على بعض بدع الصوفية ينبغي التعريف بالصوفية، فـ «التصوف: حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي عقب اتساع الفتوحات وازدياد الرخاء الاقتصادي؛ كردة فعل مضادة للانغماس في الترف الحضاري مما حمل بعضهم على الزهد الذي تطور بهم حتى صار لهم طريقة مميزة معروفة باسم (الصوفية) إذ كانوا يتوخون تربية النفس، والسمو بها؛ بغية الوصول إلى معرفة الله بالكشف والمشاهدة، لا عن طريق التقليد، أو الاستدلال، لكنهم جنحوا في المسار بعد ذلك حتى تداخلت طريقتهم مع فلسفات هندية وفارسية ويونانية مختلفة»[2].

وقد اختلف في سبب تسميتهم بهذا الاسم على أقوال عدة[3].

«وقد انتشرت الصوفية في اليمن بشكل محدود في الجزء الذي تقطنه الشافعية وأغلبهم قبوريون، وللشوكاني -رحمه الله- جولة طويلة معهم، خاصة في كتبه الثلاثة: شرح الصدور في تحريم رفع القبور، والدر النضيد في إخلاص كلمة

---

(١) انظر: البدر الطالع - الشوكاني، ١/٢٣٣ , ٢٣٤.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ٣٤١، ط٣، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١/٥-٧، وذكر -رحمه الله- أن المعروف أنه نسبة إلى لبس الصوف.

التوحيد، وقطر الولي على حديث الولي أو (ولاية الله والطريق إليها)، بالإضافة إلى رسالته المخطوطة الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد[١]. فقد نقد الشوكاني -رحمه الله- في هذه الكتب سلوك الصوفية والقبوريين وعقائدهم، وما ابتدعوه في الدين من البدع المنكرة وبين المفاسد التي تترتب عليها».

وقد ظهرت بدع كثيرة من الصوفية منها ما يلي[٢]:

١- الزهد الصوفي.

٢- العزلة.

٣- الولاية الصوفية.

٤- عقيدة الاتحاد بين المخلوق والخالق.

٥- رفع التكاليف الشرعية.

وقد بين الإمام الشوكاني -رحمه الله- موقفه من الصوفية وفساد منهجهم ووضح موقفه من هذه البدع الآنفة الذكر.

---

(١) هذه رسالة طبعت بتحقيق وتخريج محمد صبحي حسن حلاق، في دار الهجرة في صنعاء، عام١٤١١هـ

(٢) انظر: منهج الإمام الشوكاني في العقيدة- د. عبد الله نومسوك، ٥٦٢-٥٦٧.

المطلب الثالث

الحالة العلمية

كان المذهب الزيدي هو السائد في عصر الإمام الشوكاني -رحمه الله- لأسباب منها تركز الزيدية في اليمن حتى أصبحت في العصر الحاضر تمثل ثلثي السكان فيها[١].

ومما يؤكد هذه القضية أن دراسة الشوكاني -رحمه الله- الأولى كانت على الفقه الزيدي حيث درس كتاب الأزهار[٢].

أما عن حركة التأليف فإنها قد نشطت في عصر الشوكاني خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر نشاطاً ملحوظاً، ومن درس حالة اليمن يجد أنها كانت في نهضة علمية كبرى في جميع الفنون، منذ القرن الثالث عشر الهجري إلى عصر الشوكاني، كما أن عناية الهادوية[٣]، -وهم فرقة من الزيدية- بالكتب والتأليف كانت

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ٢٦١.

(٢) كتاب الأزهار من تأليف علي بن أحمد بن يحيى الملقب بالمهدي، ألفه فترة بقائه في السجن من عام ٧٩٤ حتى عام ٨٠١هـ، وقد شرحه الإمام الشوكاني -رحمه الله- بكتاب السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، انظر: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار- محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمود إبراهم زايد ١/١٠، ط دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ب ت. ط.

(٣) نسبة إلى الإمام الهادي يحيى بن الحسين الذي ولد عام٢٥٥هـ بالمدينة المنورة، وخرج إلى اليمن سنة ٢٨٠هـ، وملك ما بين صنعاء وصعدة ثمانية عشر عاماً، وقد سمي الذين قلدوه (بالهدوية) نسبة إليه، كما سمي أتباع الشافعي بالشافعية، وأبي حنيفة بالحنفية الخ، وفقههم فقه الهدوية. انظر: قطر الولي على حديث الولي - محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د. إبراهيم هلال، ٢٣، هامش ٤، ط دار الكتب الحديثة ب ت ط.

كبيرة ولا يكاد يرشح إمام للخلافة إلا إذا كان مجتهداً وله تآليف لأن ذلك من شرط الإمامة عندهم التي يجب توفرها في البيعة للإمام، وبدونها لا تجب طاعته ولا تنعقد بيعته، بل لا بد أن يبين اجتهاداته في مؤلَّف، ويناقش الإمام من قبل هيئة كبار العلماء في عصره، وكان هذا حافزاً قوياً لكثرة التآليف في اليمن، إضافة إلى أن المذهب الزيدي يدعو للاجتهاد والتحرر من التقليد»[١].

ومما يؤكد نشاط الحركة العلمية في اليمن أن الدولة الزيدية كانت تكرم العلماء وتعطيهم الجوائز الثمينة تشجيعاً لهم على العلم ومواصلة البحث، ومن الأمثلة على ذلك طلب الإمام المنصور بالله للعالم الطبيب محمد عابد السندي[٢] حيث إنه صاحب «يد طولى في علم الطب، ومعرفة متقنة بالنحو والصرف، وفقه الحنفية وأصوله، ومشاركة في سائر العلوم وفهم صحيح سريع، وكان وصوله إلى صنعاء سنة ١٢١٣هـ»[٣].

وذكر الشوكاني -رحمه الله- أن الخليفة قرر له معلوماً نافعاً وكساه وناله من فائض عطاه وكان ذلك بعد عودته إلى الحديدة في شهر شوال ١٢١٣هـ[٤].

ورغم أن المذهب الزيدي بهذه الصفة من الدعوة إلى الاجتهاد، ونبذ التقليد إلا أن هناك بعض العلماء من الزيدية قد وقعوا في التعصب المذهبي والجمود والتقليد بل أدى بهم الأمر إلى محاربة الإمام الشوكاني والإنكار عليه لكونه من دعاة

---

(١) الإمام الشوكاني مفسراً- د. محمد الغماري، ٥٤.

(٢) محمد عابد بن علي السندي، ولد عام ١١٩٠ تقريباً، وكان له حظ في العلم كان وصوله إلى صنعاء سنة ١٢١٣هـ . انظر: البدر الطالع -الشوكاني، ٢/٢٢٧.

(٣) انظر: البدر الطالع - الشوكاني ٢/٢٢٧.

(٤) انظر: المرجع السابق ٢/٢٢٧.

الاجتهاد ونبذ التقليد حتى قال -رحمه الله- فيهم: «وهذا شأن هذه الديار وأهلها والعالم المنصف في غربة لا يزال يكابد شدائد ويجاهد واحداً بعد واحد ولله الأمر من قبل ومن بعد»[١].

وقال -رحمه الله- في موضع آخر: «إن الزيدية مع كثرة فضلائهم ووجود أعيان منهم في كل مكرمة على تعاقب الأعصار لهم عناية كاملة ورغبة وافرة في دفن محاسن أكابرهم وطمس آثار مفاخرهم، فلا يرفعون إلى ما يصدر عن أعيانهم من نظم، أو نثر، أو تصنيف رأساً، وهذا مع توفر رغباتهم إلى الاطلاع على ما يصدر من غيرهم، والاشتغال الكامل بمعرفة أحوال سائر الطوائف، والإكباب على كتبهم التاريخية وغيرها. وإني لأكثر التعجب من اختصاص المذكورين بهذه الخصلة التي كانت سبباً لدفن سابقهم ولاحقهم، وغمط رفيع قدر عالمهم، وفاضلهم، وشاعرهم، وسائر أكابرهم ولهذا أهملهم المصنفون في التاريخ على العموم»[٢].

---

(١) البدر الطالع - الشوكاني ٣٩٥/١.

(٢) المرجع السابق ٥٩/١ . ٦٠.

المطلب الرابع
الحالة الاجتماعية

«لقد أدى اضطراب الحالة السياسية والدينية إلى تدهور الأحوال الاجتماعية»[١]، «لقد كان لهذه الحالة السياسية والدينية المضطربة المتناحرة أثرها السيء على الحياة العامة بما حملته من الفرقة والانقسام، وبما صاحبها من الفتن والمنازعات بين العشائر والقبائل»[٢].

«وكثيراً ما كان المجتمع الصنعاني ونظامه يتعرض للاهتزاز، بل ويتعرض أحياناً للمجاعة حتى الموت من جراء غزو القبائل التي كان بحثها عن المزيد من المقررات المالية هو الدافع الكبير من الغزو مغلفة ذلك بستار الحفاظ والدفاع عن المذهب السائد للدولة»[٣].

وقد قسم الإمام الشوكاني -رحمه الله- المجتمع اليمني إلى ثلاثة أقسام، وبيَّنَ واقع كل قسم، وهو بهذا يصور الحالة الاجتماعية في اليمن وهذه الأقسام هي:

«القسم الأول: رعايا يأتمرون بأمر الدولة، وينتهون بنهيها لا يقدرون على الخروج عن كل ما يرد عليهم من أمر ونهي كائن من كان.

القسم الثاني: طوائف خارجون عن أوامر الدولة، متغلبون في بلادهم.

القسم الثالث: أهل المدن كصنعاء وذمار، وهم داخلون تحت أوامر الدولة، ومن جملة من يصدق عليهم اسم الرعية، ولكنهم يتميزون عن سائر الرعايا بما سيأتي ذكره.

فأما القسم الأول : وهم الرعايا فأكثرهم بل كلهم إلا النادر الشاذ لا يحسنون

---

(١) الإمام الشوكاني حياته وفكره - د. عبدالغني قاسم الشرجي، ١٠٥.

(٢) الإمام الشوكاني مفسراً - د. محمد الغماري، ٥٢.

(٣) انظر: الإمام الشوكاني حياته وفكره - د. عبد الغني قاسم الشرجي، ١٠٦.

الصلاة، ولا يعرفون ما لا تصلح إلا به ولا تتم بدونه من أذكارها وأركانها وشرائطها وفرائضها، بل لا يوجد منهم من يتلو سورة الفاتحة مجزئةً، إلا في أندر الأحوال، ومع هذا فالإخلال بها والتساهل فيها قد صار دأبهم وديدنهم[١]...»[٢].

أما القسم الثاني وهم أهل البلاد الخارجة عن أوامر الدولة ونواهيها فإن «الأمر فيهم أشد وأفظع، فإنهم جميعاً لا يحسنون الصلاة ولا القراءة، ومن كان يقرأ فيهم فقراءته غير صحيحة ولسانه غير صالح.

وبالجملة فالفرائض الشرعية بأسرها من غير فرق بين أركان الإسلام الخمسة وغيرها مهجورة عندهم، متروكة، بل كلمة الشهادة التي هي مفتاح الإسلام لا ينطق بها الناطق منهم إلا على عوض، ومع هذه ففيهم من المصائب العظيمة، والقبائح الوخيمة والبلايا الجسيمة أمور غير موجودة في القسم الأول...»[٣].

«أما القسم الثالث من الأقسام الثلاثة التي ذكرناها: وهم الساكنون في المدن وإن كانوا أبعد الناس من الشر وأقربهم من الخير، لكن غالبهم وجمهورهم عامة جهال يهملون كثيراً مما أوجبه الله عليهم من الفرائض جهلاً وتساهلاً، فمن ذلك أنهم يصلون غالب الصلوات في غير أوقاتها... ومع هذا فهم لا يحسنون أركان الصلاة ولا أذكارها إلا الشاذ النادر منهم، ويتعاملون في بيعهم وشرائهم معاملات يخالفون فيها المسلك الشرعي وكثيراً ما يقع منهم الربا، ويتكلمون بالألفاظ الكفرية،

---

(١) الديدن والديدان، والديددان: العادة، القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة (ددن)، ١٥٤٣.

(٢) الدواء العاجل في دفع العدو الصائل - محمد بن علي الشوكاني، خرج أحاديثه وعلق عليه: خالد بن عبد اللطيف السبع العلمي، ٦٠، ضمن الرسائل السلفية، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

(٣) المرجع السابق ٦٧.

وينهمك كثير منهم في معاصي صغيرة وكبيرة...»[١].

هذا تصوير من الإمام الشوكاني -رحمه الله- للحالة الاجتماعية التي كان عليها عامة أهل اليمن في عصره.

ولم ينس -رحمه الله- تصوير واقع العلماء والقضاة في هذا المجتمع فيصف العلماء بالمبالغة في مداراة[٢] العامة مما أدى إلى استخفاف العامة بهم فيقول: «ولكن أهل العلم يخافون على أنفسهم ويحمون أعراضهم فيسكتون عن العامة، وكثير منهم كان يصوبهم مداراةً لهم. وهذه الدسيسة هي الموجبة لاضطهاد علماء اليمن، وتسلط العامة عليهم، وخمول ذكرهم، وسقوط مراتبهم؛ لأنهم يكتمون الحق، فإذا تكلم به واحد منهم وثارت عليه العامة صانعوهم وداهنوهم[٣]، وأوهموهم أنهم

---

(١) الدواء العاجل - الشوكاني ٧٢.

(٢)المداراة هي: الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه، انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها محمد فؤاد عبد الباقي ٦٤٧/١٠، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٣) المداهنة: معاشرة الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، انظر: المرجع السابق ٦٤٧/١، «والمداهنة خلق قذر لا ينحط فيه إلا من خف في العلم وزنه، أو من نشأ نشأة صغار ومهانة». الدعوة إلى الإصلاح على ضوء الكتاب والسنة وعبر تاريخ الأمة- محمد الخضر حسين، حققها وعلق عليها: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري ١٠٢، ط١، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١٧هـ، وانظر: في الفرق بين المداراة والمداهنة: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء - أبو حاتم محمد بن حيان البستي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوَّض ١١٣، ط٢، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة- الرياض ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

على الصواب فيتجرؤون بهذه الذريعة على وضع مقادير العلماء، وهضم شأنهم ولو تكلموا بالصواب، أو نصروا من يتكلم به، أو عرفوا العامة إذا سألوهم الحق، وزجروهم عن الاشتغال بما ليس من شأنهم لكانوا يداً واحدة على الحق، ولم يستطع العامة ومن يلتحق بهم من جملة المتفقهة إثارة شيء من الفتن فإنا لله وإنا إليه راجعون»(١).

أما القضاة فإن الشوكاني -رحمه الله- يصف تهافت كثير منهم على تولي منصب القضاء، بقوله: «وقد كثر التتابع من الجهلة في هذا المنصب الشريف واشتروه بالأموال ممن هو أجهل منهم حتى عمت البلوى جميع الأقطار اليمنية»(٢)

---

(١) البدر الطالع -الشوكاني، ١/٢٣٤.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار - محمد بن علي الشوكاني٩/١٦٦، ط دار الجيل، بيروت- لبنان، ١٩٧٣م. ب.ط.

الفصل التمهيدي

المبحث الثاني
سيرة الإمام الشوكاني -رحمه الله-

المطلب الأول: نسبه ونشأته.

المطلب الثاني: طلبه للعلم.

المطلب الثالث: أعماله.

المطلب الرابع: آثاره العلمية.

المطلب الخامس: وفاته ومكانته.

المطلب السادس: عقيدته ومذهبه الفقهي.

المطلب الأول
نسبه ونشأته

«محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني»[1].

وقد أورد الإمام الشوكاني -رحمه الله- نسب والده إلى آدم عليه السلام[2].

وعرف والد الإمام الشوكاني في صنعاء بالشوكاني نسبة «إلى شوكان وهي قرية من قرى السحامية إحدى قبائل خولان بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم، وهي أحد المواضع التي يطلق عليها شوكان»[3].

وذكر الإمام الشوكاني -رحمه الله- «أن نسبة والده إلى شوكان ليست حقيقية؛ لأن وطنه ووطن سلفه وقرابته هو مكان عدني شوكان، بينه وبينها جبل كبير مستطيل يقال له الهجرة، وبعضهم يقول له هجرة شوكان، فمن هذه الحيثية كان انتساب أهله إلى شوكان.

وهذه الهجرة معمورة بأهل الفضل والصلاح والدين من قديم الأزمان لا يخلو وجود عالم منهم في كل زمن، ولكنه يكون تارة في بعض البطون، وتارة في بطن آخر، ولهم عند سلف الأئمة جلالة عظيمة وفيهم رؤساء كبار ناصروا الأئمة لا سيما في حروب الأتراك»[4].

«ولد -رحمه الله- في وسط نهار يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي

---

(١) البدر الطالع - الشوكاني ٢/٢١٤، وانظر: الأعلام - خير الدين الزركلي ٦/٢٩٨.

(٢) انظر: البدر الطالع - الشوكاني ١/٤٧٨، ٤٧٩.

(٣) انظر: المرجع السابق ١/٤٨٠.

(٤) انظر: المرجع السابق ١/٤٨٠.

القعدة سنة١١٧٣هـ»[١]، في هجرة شوكان[٢] «من بلاد خولان باليمن»[٣]، وقد نشأ نشأة صالحة في بيئة دينية حيث تولى أبوه تربيته -وكان عالماً قاضياً- يقول عن والده: «ولقد بلغ معي إلى حد من البر والشفقة، والإعانة على طلب العلم، والقيام بما أحتاج إليه مبلغاً عظيماً بحيث لم يكن لي شغلة بغير الطلب، فجزاه الله خيراً وكافأه بالحسنى»[٤].

ويصف الإمام الشوكاني -رحمه الله- نفسه فيقول: «وكان منجمعاً عن بني الدنيا ولم يقف بباب أمير ولا قاض، ولا صحب أحداً من أهل الدنيا ولا خضع لمطلب من مطالبها، بل كان مشتغلاً في جميع أوقاته بالعلم درساً وتدريساً، وإفتاءً وتصنيفاً عائشاً في كنف والده -رحمه الله- راغباً في مجالسة أهل العلم والأدب، وملاقاتهم والاستفادة منهم، وإفادتهم»[٥].

وكان الإمام الشوكاني -رحمه الله- «محباً للمعيشة الأنيقة، وللملبس الفاخر من الثياب مع انسجام طبع، ورقة، وجمود على الأمر الديني»[٦].

«نشأ رحمه الله- بصنعاء وقرأ القرآن على جماعة من المعلمين وختمه على

---

(١) انظر: البدر الطالع- الشوكاني ٤١٥/٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ٤٨١/٢.

(٣) الأعلام - الزركلي ٢٩٨/٦.

(٤) البدر الطالع - الشوكاني ٤٨٤/١.

(٥) المرجع السابق ٢٢٤/٢.

(٦) درر نحور العين لسيرة الإمام المنصور وأعلام دولته الميامين -لطف الله حجاف ٢٤٠ مخطوط، جامعة الملك سعود، المكتبة المركزية، قسم المخطوطات، ف رقم٧٠٣، نسخة مصورة عن الأصل المحفوظ في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء تحت رقم٨٦..

الفقيه حسن بن عبد الله الهبل[١]، وجوده على جماعة من مشايخ القرآن بصنعاء، ثم حفظ (الأزهار) للإمام المهدي، ومختصر الفرائض للعصيفري، والملحة للحريري، والكافية والشافية لابن الحاجب، والتهذيب للتفتازاني، والتلخيص للقزويني، ومنظومة الجزاز في العروض، وآداب البحث للعضد، ورسالة الوضع له أيضاً، وكان حفظه لهذه المختصرات قبل الشروع في الطلب وبعضها بعد ذلك، ثم قبل شروعه في الطلب كان كثير الاشتغال بمطالعة كتب التاريخ ومجاميع الأدب من أيام كونه في المكتب فطالع كتباً عدة ومجاميع كثيرة»[٢].

---

(١) بحثت في عدد من المراجع فلم أجد له ترجمة.

(٢) البدر الطالع - الشوكاني ٢/٢١٥.

المطلب الثاني

طلبه للعلم

اجتهد الإمام الشوكاني -رحمه الله- في طلب العلم، واعتنى به عناية عظيمة من صغره امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾[(١)]، وقد مر عند الحديث عن نشأته أنه قرأ كثيراً من الكتب ودرس على بعض المشايخ قبل شروعه في الطلب «ثم شرع في الطلب وقرأ على والده علي بن محمد[(٢)] -رحمه الله- في شرح الأزهار وشرح الناظري لمختصر العصيفري، وقرأ في شرح الأزهار أيضاً على السيد العلامة عبد الرحمن بن قاسم المداني، والعلامة أحمد بن عامر الحدائي، والعلامة أحمد بن محمد الحرازي، وبه انتفع في الفقه وعليه تخرج وطالت ملازمته له نحو ثلاث عشرة سنة، وكرَّر عليه قراءة شرح الأزهار وحواشيه وقرأ عليه بيان ابن مظفر وشرح الناظري وحواشيه.

وفي أيام قراءته في الفروع شرع في قراءة النحو فقرأ الملحة وشرحها على السيد العلامة إسماعيل بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد، وقواعد الإعراب وشرحها للأزهري والحواشي جميعاً على العلامة عبد الله ابن إسماعيل النهمي...»[(٣)].

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ولد سنة ١١٣٠هـ تقريباً في هجرة شوكان، وعرف في صنعاء بالشوكاني، ونشأ بها فحفظ القرآن ثم ارتحل إلى صنعاء لطلب العلم، وبرع في علم الفقه والفرائض، ودرّس وأفتى في صنعاء. ولاه المهدي القضاء بالجهات الخولانية، ثم اعتذر عنه فولاه القضاء بصنعاء، واستقر بها هو وأهله، توفي سنة ١٢١١هـ -رحمه الله-. انظر: البدر الطالع- الشوكاني ١/٤٧٨-٤٨٥.

(٣) البدر الطالع - الشوكاني ٢/٢١٥، ٢١٦.

وقد ذكر -رحمه الله- في ترجمته كثيراً من الكتب التي قرأها وأسماء المشايخ الذين قرأ عليهم، وكانت دراسته «في صنعاء ولم يرحل منها لطلب العلم خارج صنعاء لأعذار أحدهما عدم الإذن من الأبوين، وقد درَّس في جميع ما تقدم ذكره وأخذه عنه الطلبة وتكرَّر أخذهم عنه في كل يوم من تلك الكتب، وكثيراً ما كان يقرأ على مشايخه، فإذا فرغ من كتاب قراءةً أخذه عنه تلامذته، بل ربما اجتمعوا على الأخذ عنه قبل أن يفرغ من قراءة الكتاب على شيخه، وكان يبلغ دروسه في اليوم والليلة إلى نحو ثلاثة عشر درساً، ومنها ما يأخذه عن مشايخه، ومنها ما يأخذه عنه تلامذته، واستمرَّ على ذلك مدة حتى لم يبق عند أحد من شيوخه ما لم يكن من جملة ما قد قرأه صاحب الترجمة»[1].

مشايخه:

تتلمذ الإمام الشوكاني -رحمه الله- على كثير من العلماء والمشايخ «ومشايخه ينيفون على العشرين»[2].

وهؤلاء المشايخ أصحاب علوم متنوعة، وفنون مختلفة ولكل واحد منهم سمات وميزات.

وقد ذكر الإمام الشوكاني -رحمه الله- جملة من هؤلاء المشايخ وترجم لهم. وأسوق هنا أسماء من ترجم لهم، ثم أذكر تراجم جملة من أبرزهم ممن تلقى عنهم وأفاد من علمهم والمشايخ هم:

١- أحمد بن عامر الحدائي[3].

---

(١) البدر الطالع - الشوكاني ٢/٢١٨.

(٢) نفحات العنبر بفضلاء اليمن الذين في القرن الثاني عشر -إبراهيم بن عبد الله الحوثي ١/٦٠، ٦١ مخطوط، جامعة الملك سعود، المكتبة المركزية، قسم المخطوطات، رقم٧٩٤١، ع ب..

(٣) البدر الطالع - الشوكاني ١/٦٢.

٢- أحمد بن محمد الحرازي[(١)].

٣- إسماعيل بن الحسن بن أحمد[(٢)]

٤- الحسن بن إسماعيل المغربي[(٣)]

٥- السيد الحسين بن يوسف بن الحسين بن أحمد زبارة[(٤)].

٦- عبد الرحمن بن الحسن الأكوع[(٥)].

٧- السيد عبد الرحمن بن قاسم المداني[(٦)].

٨- عبد الله بن إسماعيل النهمي[(٧)].

٩- عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن الإمام المتوكل على الله[(٨)]

١٠- عبد القادر بن أحمد الكوكباني[(٩)].

١١- السيد علي بن إبراهيم بن عامر[(١٠)]

---

(١) البدر الطالع- الشوكاني ٩٦/١.

(٢) المرجع السابق ١٤٥/١.

(٣) المرجع السابق ١٩٥/١.

(٤) المرجع السابق٢٣٧/١.

(٥) المرجع السابق ٣٣٥/١.

(٦) المرجع السابق ٣٣٦/١.

(٧) المرجع السابق ٣٧٩/١.

(٨) المرجع السابق ٣٨٠/١.

(٩) المرجع السابق ٣٦٠/١.

(١٠) المرجع السابق ٤١٦/١.

١٢- والده علي بن محمد الشوكاني[١]

١٣- علي بن هادي عرهب[٢]

١٤- القاسم بن يحيى الخولاني[٣].

١٥- هادي بن حسين القارني[٤].

١٦- يحيى بن محمد الحوثي[٥].

١٧- يوسف ب محمد بن علاء الدين المزجاجي[٦].

ولعل أبرز من استفاد منهم الإمام الشوكاني -رحمه الله ولزمهم ثلاثة من العلماء الكبار وهم:

١- الحسن بن إسماعيل المغربي:

ترجم له الإمام الشوكاني -رحمه الله- بقوله: «هو شيخ شيوخ العصر، ولد بعد سنة ١١٤٠هـ، ونشأ بصنعاء، وقرأ على جملة من أعيان علماء صنعاء منهم: العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، والعلامة الحسن بن إسماعيل الشامي، وغير واحد في فنون: كالنحو، والصرف، والمنطق، والمعاني، والبيان، والحديث، والتفسير، والفقه. وانتفع به الطلبة في جميع هذه الفنون، وأخذ عنه أعيان العلماء، وتخرجوا به، وصاروا مبرزين في حياته. وكان -رحمه الله- زاهداً ورعاً عفيفاً

---

(١) البدر الطالع - الشوكاني ٤٧٨/١.

(٢) المرجع السابق٤٩٩/١.

(٣) المرجع السابق ٥٣/٢.

(٤) المرجع السابق ٣١٩/٢.

(٥) المرجع السابق ٣٤٤/٢.

(٦) المرجع السابق ٣٥٦/٢.

متواضعاً متقشفاً لا يعد نفسه في العلماء ولا يرى له حقاً على تلامذته فضلا عن غيرهم، ولا يتصنع في ملبوس، بل يقتصر على عمامة صغيرة وقميص وسراويل وثوب يضعه على جنبه... وخطب للقضاء في أيام شبابه فلم يساعد بل صمم على الامتناع... وكان إذا سأله سائل أحاله في الجواب على أحد تلامذته، وإذا أشكل عليه شيء في الدرس، أو فيما يتعلق بالعمل سأل عنه غير مبال سواء كان المسؤول عنه خفياً أو جلياً؛ لأنه جبل على التواضع، ومع هذا ففي تلامذته القاعدين بين يديه نحو عشرة مجتهدين والبعض منهم يصنف في أنواع العلوم إذ ذاك وهو لا يزداد إلا تواضعاً»[1].

ويذكر الإمام الشوكاني -رحمه الله- الكتب التي قرأها على شيخه الحسن بن إسماعيل المغربي -رحمه الله- فيقول: «قرأت عليه -رحمه الله- في المطول وحواشيه، والعضد وحواشيه من أولها إلى آخرها، والكشاف وبعض حواشيه من أوله إلى آخره إلا فوتاً يسيراً، وبعض الرسالة الشمسية وشرحها للقطب وحاشيتها للشريف، وبعض تنقيح الأنظار في علوم الحديث، وقطعة من صحيح مسلم، وقطعة من شرحه للنووي، وجميع سنن أبي داود، ومختصر المنذري عليها، وبعض شرح ابن رسلان والخطابي لها، وشرح بلوغ المرام لجده إلا قليلاً من أوائله»[2].

ويعترف الإمام الشوكاني بأنه من جملة من أرشده إلى شرح المنتقى فيقول: «وهو من جملة من أرشدني إلى شرح المنتقى وشرعت في حياته بل شرحت أكثره وأتممته بعد موته»[3].

وبيَّنَ الإمام الشوكاني -رحمه الله- اهتمام شيخه به فقال: «وكان كثيراً ما

---

(١) البدر الطالع - الشوكاني ١/١٩٥، ١٩٦،

(٢) المرجع السابق ١/١٩٦.

(٣) المرجع السابق ١/١٩٧.

يتحدث في غيبتي أنه يخشى عليّ من عوارض العلم الموجبة للاشتغال عنه فما أصدق حدسه وأوقع فراسته! فإني ابتليت بالقضاء بعد موته بدون سنة، وانفلتت روحه الطاهرة إلى جوار الله في يوم الثلاثاء ثالث وعشرين ذي الحجة سنة ١٢٠٨هـ ورثيته بقصيدة أولها:

كذا فليكن رزء(١) العلا والعوالم ومن مثل ذا ينهد ركن المعالم»(٢)

٢- أحمد بن محمد الحرازي:

وصفه الإمام الشوكاني -رحمه الله- بأنه «شيخ شيوخ الفروع بلا مدافع»(٣).

«نشأ بذمار... وبرز في الفقه والفرائض، وارتحل في أول شبابه إلى مدينة صنعاء فاتصل بجماعة من أكابر أهلها كالقاضي العلامة أحمد بن محمد قاطن، والقاضي العلامة إسماعيل بن يحيى الصديق، ثم أقرأ الطلبة في جامع صنعاء في شرح الأزهار لابن مفتاح وفيما عليه من الحواشي الواسعة، وفي بيان ابن مظفر وفي شرح الناظري على الفرائض، وعكف عليه الطلبة وانتفعوا به وتنافسوا في الأخذ عنه وصارت تلامذته شيوخاً ومفتين»(٤).

«وقد لازمته في الفروع نحو ثلاث عشرة سنة وانتفعت به وتخرجت عليه وقرأت عليه في الأزهار وشرحه وحواشيه ثلاث دفعات، الدفعتين الأوليين اقتصرنا على ما تدعو إليه الحاجة، والدفعة الثالثة استكملنا الدقيق والجليل من ذلك مع بحث وتحقيق، ثم قرأت عليه الفرائض للعصيفري وشرحها للناظري وما عليه من الحواشي، وقرأت

---

(١) الرزيئة: المصيبة. القاموس المحيط- الفيروزآبادي، مادة، (رزأ) ٥٢.

(٢) البدر الطالع - الشوكاني ١٩٧/١.

(٣) المرجع السابق ٩٦/١.

(٤) انظر: المرجع السابق ٩٦/١.

عليه بيان ابن مظفر وحواشيه، وكانت هذه القراءة قراءة بحث وإتقان وتحرير وتدقيق»[١].

٣- عبد القادر بن أحمد الكوكباني:

«نشأ بكوكبان فقرأ على من به من العلماء ثم ارتحل إلى صنعاء فأخذ عن أكابر علمائها... ثم ارتحل إلى مدينة ذمار وهي إذ ذاك مشحونة بعلماء الفقه والفرائض فأخذ عن شيوخها الفقه والفرائض، ثم تردد في جميع مدائن اليمن وأخذ عن كل من لقيه من العلماء، ثم ارتحل إلى مكة والمدينة فأخذ عن علماء الحرمين... وبقي مهاجراً[٢] في الحرمين نحو عامين، ثم عاد إلى كوكبان وصنعاء، ثم استوطن كوكبان واستقر هنالك ينشر العلم ويفيد الطالبين»[٣].

أما عن دراسة الإمام الشوكاني - رحمه الله- عليه فقد تحدث الإمام الشوكاني عن ذلك بقوله: «وأخذت عنه في علوم عدة فقرأت عليه صحيح

---

(١) البدر الطالع - الشوكاني ٩٧/١.

(٢) قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «الهجرة الترك، والهجرة إلى الشيء الانتقال إليه عن غيره، وفي الشرع: ترك ما نهى الله عنه، وقد وقعت في الإسلام على وجهين: الأول- الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن كما في هجرة الحبشة وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة. الثاني- الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان وذلك بعد أن استقر النبي ﷺ بالمدينة وهاجر إليه من أمكنه ذلك من المسلمين» فتح الباري- ابن حجر٢/١، وبهذا يتبين أن هجرة الكوكباني إلى الحرمين هجرة لغوية وليست هجرة شرعية، والله أعلم.

(٣) انظر: البدر الطالع - الشوكاني ٣٦٠/١، ٣٦١.

مسلم[١] من أوله إلى آخره بلا فوت مع بعض شرحه للنووي، وبعض صحيح البخاري[٢] مع بعض شرحه فتح الباري، وبعض جامع الأصول[٣] لابن الأثير،

---

(١) ألفه الإمام مسلم بن الحجاج -رحمه الله- جمع فيه ما صح عنده عن رسول الله ﷺ قال ابن الصلاح -رحمه الله- جميع ما حكم مسلم-رحمه الله- بصحته في هذا الكتاب فهو مقطوع بصحته. قال الإمام مسلم -رحمه الله-ما وضعت شيئاً في كتابي هذا المسند إلا بحجة، وما أسقطت منه شيئاً إلا بحجة.

وعدد أحاديثه بالمكرر ٧٢٧٥ حديث، وبحذف المكرر نحو ٤٠٠٠ حديث، وهو في المرتبة الثانية بعد صحيح البخاري -رحمه الله-.

انظر: صحيح مسلم بشرح النووي -النووي ٣٨/١، ط١ مؤسسة قرطبة ١٤١٢هـ-١٩٩١م، وتذكرة الحفاظ - محمد بن أحمد الذهبي ٥٩٠/٢ ط دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ب ت ط ومصطلح الحديث- الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٥٥ ط٣ دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

(٢)ألفه الإمام محمد بن إسماعيل البخاري وسماه (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) وجمعه من ستمائة ألف حديث، وقد التزم فيه الصحة، واتفق الجمهور على أنه أصح الصحيحين وأكثرهما فوائد، وعدد أحاديثه بالمكرر ٧٣٩٧، وبحذف المكرر ٢٦٠٢ كما حرر ذلك الحافظ ابن حجر -رحمه الله-.

انظر هدي الساري مقدمة فتح الباري - ابن حجر٧، وتهذيب الأسماء واللغات - يحيى بن شرف النووي، المجلد الأول ٧٣/١، ط دار ابن تيمية، القاهرة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ب ط، ومصطلح الحديث-ابن عثيمين ٥٤.

(٣) ألفه أبو السعادات المبارك محمد بن الأثير الجزري، جمع فيه الكتب الستة عدا سنن ابن ماجه فإنه جعل بدلاً عنه موطأ الإمام مالك، فحذف الأسانيد ورتب الكتب على الأبواب وشرح غريب الأحاديث.

انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ -محمد بن الأثير الجزري، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد القادر الأرنؤوط ٤٨/٢ ، ٤٩، ٥٦، ٦٥، ط مكتبة الحلواني، مطبعة ملاح، مكتبة دار البيان ١٣٩٨هـ-١٩٦٩م ب ط.

وسنن الترمذي(١) من أولها إلى آخرها بلا فوت، وبعض سنن ابن ماجه(٢)،

(١) ألفه الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي وقد اشتهر بالنسبة إلى مؤلفه، فيقال جامع الترمذي، ويقال له السنن أيضاً والأول أكثر.

ألفه الترمذي -رحمه الله- على أبواب الفقه وأودع فيه الصحيح والحسن والضعيف مبيناً درجة كل حديث في موضعه مع بيان وجه الضعف.

انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي- محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، المقدمة ٢٩١/٢، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ومصطلح الحديث -ابن عثيمين ٦٠.

(٢) ألفه الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه وعدد كتب سننه اثنان وثلاثون كتاباً، وفيه ألف وخمسمائة باب وجملة ما فيها أربعة آلاف حديث، وهو سادس الصحاح الستة، قال عنه الذهبي: سنن أبي عبد الله كتاب حسن لولا ما كدره من أحاديث واهية ليست بالكثيرة.

وقال محمد فؤاد عبد الباقي: في سنن ابن ماجه ١٣٣٩ أحاديث زائدة على ما جاء في الكتب الخمسة.

انظر: تذكرة الحفاظ -الذهبي ٦٣٦/٢، وتحفة الأحوذي -المباركفوري المقدمة ١٠٨/١، وسنن ابن ماجه - محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، حققه وصنع فهارسه بالكمبيوتر: محمد مصطفى الأعظمي ١٥، ط١، شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة، الرياض، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣، ومصطلح الحديث -ابن عثيمين، ٦٢.

وبعض الموطأ[١]... وكانت القراءات جميعها يجري فيها من المباحث الجارية على نمط الاجتهاد في الإصدار والإيراد ما تشد إليه الرحال، وربما انجر البحث إلى تحرير رسائل مطولة ووقع من هذا كثير وكنت أحرر ما يظهر لي في بعض المسائل وأعرضه عليه، فإن وافق ما لديه من اجتهاده في تلك المسألة قرظه تارة بالنظم الفائق، وتارة بالنثر الرائق، وإن لم يوافق كتب عليه ثم أكتب على ما كتبه»[٢].

ويصف الشوكاني سعة علم شيخه الكوكباني وتبحره بقوله: «وكان -رحمه الله- متبحراً في جميع المعارف العلمية على اختلاف أنواعها يعرف كلَّ فن منها معرفةً يظن من باحثه فيه أنه لا يحسن سواه. والحاصل أنه من عجائب الزمن ومحاسن اليمن يرجع إليه أهل كل فن في فنهم الذي لا يحسنون سواه فيفيدهم ثم ينفرد عن الناس بفنون لا يعرفون أسماءها فضلا عن زيادة على ذلك، وله في الأدب يد طولى فإنه ينظم القصيدة الفائقة في لحظة مختطفة بحيث لا يصدق بذلك إلا من له به مزيد اختبار»[٣].

---

(١) ألفه الإمام مالك بن أنس -رحمه الله- وهو أول كتاب حمل هذا الاسم ومعناه الممهد، وهو أول الكتب وضعت فيها الأحاديث مصنفة ومبوبة، كما أنه أول كتاب ألف في الحديث والفقه معا، ألفه الإمام مالك في أربعين سنة.

وقد روى الموطأ عن الإمام مالك عدد كثير من الرواة ولكن أكثر الروايات شهرة رواية يحيى بن يحيى الليثي.

انظر: موطأ الإمام مالك رواية يحيى بن يحيى الليثي -إعداد أحمد راتب عرموش ١١، ١٢ ط٦، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية، وانظر سير أعلام النبلاء- محمد بن أحمد الذهبي ٨/٨٣، ٨٤، ط١١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(٢) البدر الطالع -الشوكاني ١/٣٦٢، ٣٦٣.

(٣) المرجع السابق ١/٣٦٣.

ثم بين فضله على سائر شيوخه وإشارته عليه بشرح المنتقى بقوله: «ولم آخذ عن أحد يساويه في مجموع علومه... وهو -رحمه الله- من جملة من رغبني في تأليف شرح على المنتقى فشرعت فيه في حياته»[1].

---

(١) البدر الطالع- الشوكاني ١/٣٦٥.

المطلب الثالث

أعماله

تولى الإمام الشوكاني -رحمه الله- عدداً من الأعمال المهمة التي تنبئ عن سعة علمه وجلالة قدره وثقة أئمة اليمن فيه ومن هذه الأعمال:

١- التدريس:

من الأعمال المهمة التي شغلت فترة كبيرة من حياة الإمام الشوكاني القيام بالتدريس، وكانت بدايته في التدريس مبكرة حيث كان يُدرِّس الطلاب وهو ما زال في مرحلة الطلب على الأشياخ.

«وكثيراً ما كان يقرأ على مشايخه فإذا فرغ من كتاب قراءةً أخذه عنه تلامذته، بل ربما اجتمعوا على الأخذ عنه قبل أن يفرغ من قراءة الكتاب على شيخه»[(١)]، وقد ملأ يومه بالدروس العلمية تلقيناً وتدريساً «وكان يبلغ دروسه في اليوم والليلة إلى نحو ثلاثة عشر درساً منها ما يأخذه عن مشايخه ومنها ما يأخذه عنه تلامذته واستمر على ذلك، مدة حتى لم يبق عند أحد من شيوخه ما لم يكن من جملة ما قد قرأه صاحب الترجمة، بل انفرد بمقروءات بالنسبة إلى كل واحد منهم على انفراد إلا شيخه العلامة عبد القاد بن أحمد فإنه مات ولم يكن قد استوفى ما عنده. ثم إن صاحب الترجمة فرغ نفسه لإفادة الطلبة فكانوا يأخذون عنه في كل يوم زيادة على عشرة دروس في فنون متعددة واجتمع منها في بعض الأوقات التفسير، والحديث، والأصول، والنحو، والصرف، والمعاني، والبيان، والمنطق، والفقه، والجدل، والعروض»[(٢)].

ويصفه صاحب نيل الوطر بقوله: «وله رغبة ومحبة في العلم ما رأيت أنشط

---

(١) البدر الطالع - الشوكاني ٢١٨/٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ٢١٨/٢، ٢١٩.

منه في التدريس»[١].

ويصفه صاحب درر نحور العين بقوله: «وله رغبة في العلم ونقله يُعظِّم الطالب ويرغبه في سلوك جادة الاجتهاد، والعمل بما جاء عن سيد العباد ﷺ»[٢].

٢- الإفتاء:

برز الإمام الشوكاني -رحمه الله- في مجال الإفتاء في وقت مبكر من عمره، وكان هذا بفضل الله تعالى، ثم بما حصل من علوم متنوعة في بداية حياته، وملازمته للعلماء، وتفرغه لطلب العلم «وكان في أيام قراءته على الشيوخ وإقرائه لتلاميذه يفتي أهل مدينة صنعاء، بل ومن وفد إليها، بل ترد عليه الفتاوى من الديار التهامية وشيوخه إذ ذاك أحياء، وكادت الفتيا تدور عليه من عوام الناس وخواصهم واستمر يفتي من نحو العشرين من عمره فما بعد ذلك»[٣].

ومن احتسابه -رحمه الله- في الإفتاء أنه كان يفتي الناس مجاناً «وكان لا يأخذ على الفتيا شيئاً تنزهاً، فإذا عوتب في ذلك قال: أنا أخذت العلم بلا ثمن فأريد إنفاقه كذلك»[٤].

وقد وصف أحد العلماء فتاواه بقوله: «وفتاواه هي عمدة الخاص والعام وأقواله

---

(١) نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر -محمد بن محمد زبارة ٢٩٨/٢،ط. المطبعة السلفية ومكتبها، القاهرة ١٣٥٠هـ. ب. ط.

(٢) درر نحور العين لسير الإمام المنصور وأعلام دولته الميامين -لطف الله جحاف ٢٣٨ مخطوط.

(٣) البدر الطالع -الشوكاني ٢١٩/٢.

(٤) المرجع السابق ٢١٩/٢.

في معترك الخلاف قاطعة للشجار والخصام»[١].

وقال عنه أيضاً: «وصار معتمداً في الفتيا معولاً عليه فيه يقصد لأجله من الأقطار ويعتمد فتاواه عند جميع الحكام والنظائر»[٢].

وفتاواه مجموعة في أربعة مجلدات كما ذكر ذلك الشوكاني -رحمه الله- حيث قال: «وقد جمع من رسائله ثلاث مجلدات كبار ثم لحق بعد ذلك قدر مجلد وسمى الجميع (الفتح الرباني في فتاوى الشوكاني) وجميع ذلك رسائل مستقلة وأبحاث مطولة»[٣].

٣- القضاء العام:

تولى الإمام الشوكاني -رحمه الله- القضاء العام سنة ١٢٠٩هـ وعندما تحدث صاحب كتاب درر نحور العين عن حوادث سنة ١٢٠٩هـ قال: «وفيها نصب الإمام لفصل الأحكام شيخنا المحقق في المعقول والمنقول المجتهد العالم الرباني محمد بن علي الشوكاني في العشر الأول من شهر رجب»[٤].

«وكان دخوله في القضاء وهو ما بين الثلاثين والأربعين»[٥].

ويروي الإمام الشوكاني قصة توليه القضاء فيقول: «ولما كان في شهر رجب (١٢٠٩) مات قاضيه المتقدم ذكره[٦]، وكان صدراً من الصدور وعارفاً بقوانين

---

(١) نفحات العنبر بفضلاء اليمن الذين في القرن الثاني عشر-إبراهيم الحوثي ٥٦مخطوط.

(٢) المرجع السابق ٥٩.

(٣) انظر: البدر الطالع - الشوكاني ٢/٢٢٣.

(٤) درر نحور العين لسيرة الإمام المنصور -لطف الله جحاف ٢٣٧ مخطوط.

(٥) البدر الطالع - الشوكاني ٢/٢٢٤.

(٦) يعني القاضي العام في عهد الإمام المنصور، وهو يحيى السحولي.

الأمـور... فلمـا مـات في ذلك التـاريخ وكنت إذ ذاك مـشـتـغـلاً بالتـدريس فـي علوم الاجتـهاد، والإفتـاء، والتصنيف منجمعاً عن الناس لا سيمـا أهل الأمر وأرباب الدولة فإني لا أتصل بأحد منهم كائنا من كان ولم يكن لي رغبة في سـوى العلوم... فلم أشـعر إلا بطلاَّب لي من الخليفة بعد موت القاضي المذكور بنحو أسـبـوع، فعزمت إلى مقامه العـالي، فذكر لي أنه قد رجح قيامي مقام القاضي المذكور، فاعتذرت له بما كنت فيه من الاشتغال بالعلم، فقال: القيام بالأمرين ممكن، وليس المراد إلا القيام بفصل ما يصل من الخصومات إلى ديوانه العالي في يومي اجتماع الحكام فيه، فقلت: سيقع مني الاستخارة لله، والاستشارة لأهل الفضل، وما اختاره الله ففيه الخير، فلما فارقته ما زلت مترددا نحو أسبوع ولكنه وفد إليّ غالب من ينتسب إلى العلم في مدينة صنعاء وأجمعوا على أن الإجابة واجبة، وأنهم يخشون أن يدخل في هذا المنصب الذي إليه مرجع الأحكام الشرعية في جميع الأقطار اليمنية من لا يوثق بدينه وعلمه، وأكثروا من هذا، وأرسلوا إليّ بالرسائل المطولة، فقبلت مستعيناً بالله ومتكلاً عليه. ولم يقع التوقف على مباشرة الخصومات في اليومين فقط بل انثال[1] الناس من كل محل فاستغرقت في ذلك جميع الأوقات إلا لحظات يسيرة قد كنت أفرغتها للنظر في شيء من كتب العلم، أو لشيء من التحصيل وتتميم ما قد كنت شرعت فيه، واشتغل الذهن شغلة كبيرة وتكدر الخاطر تكدرا زائداً»[2].

وكان الشوكاني -رحمه الله- قد اشترط على الإمام شرطاً لتولي هذه المهمة «والتزم الخليفة جميع شروطه مما يتعلق بتلك الوظيفة، ومنها أنه لا يطلق من كان في حبس القاضي لا من عند الخليفة ولا من غيره، وأنه إذا حبس أحداً فلا يطلب

---

(١) انثال: انصب، وانثال عليه القول: تتابع، وكثر فلم يدر بأيه يبدأ. القاموس المحيط -الفيروز أبادي مادة (ثول) ١٢٥٨.

(٢) انظر: البدر الطالع - الشوكاني ١/٤٦٤، ٤٦٥.

إلى عند أحد من ولاة الأمر والحكام إلا بإذن القاضي... ومنها أنه يطلق المحبوس من حبس غيره كائناً من كان إذا تبين له أنه مظلوم إلى غير ذلك من الشروط»[١]، «ولبث في القضاء نحو أربعين سنة»[٢].

---

(١) انظر:نفحات العنبر بفضلاء اليمن الذين في القرن الثاني عشر -إبراهيم الحوثي ٦٢ مخطوط.

(٢) المرجع السابق ٦٧.

المطلب الرابع
آثاره العلمية

الإمام الشوكاني -رحمه الله- شخصية إسلامية فذة، وعالم من العلماء المجتهدين، نذر نفسه ووقته للعلم، والتعليم، والإفتاء، والقضاء، والتأليف محتسباً في ذلك الأجر من الله تعالى، فإن الله تعالى يقول: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾(١) قاصداً إعلاء كلمة الله، ونشر منهج السلف الصالح -أحسبه كذلك والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً- وقد خلف تراثاً ضخماً وثروة عظيمة تتمثل في جانبين هما: المؤلفات، والتلاميذ.

الجانب الأول: المؤلفات:

من أشرف الأعمال التي قام بها الإمام الشوكاني -رحمه الله- وأجلِّ الآثار التي خلفها: مؤلفاته العظيمة ورسائله الكثيرة المتنوعة في شتى العلوم والفنون، وقد وصفها أحد العلماء بقوله: «وله مصنفات تدلك على قوة الساعد، وسعة الاطلاع لا يدع القول المحرر من حجة توضح المحجة رزق السعادة في تصانيفه مع القضاء، وكاد الإجماع يقوم على حسنها»(٢).

وقد استفاد من طريقة أحد شيوخه(٣) حيث قال عنه: «وكتب من نفائس الكتب بخطه شيئاً كثيراً، وكنت أعجب من سرعة ما يتحصل له من ذلك مع شغله بالتدريس فسألته بعض الأيام عن هذا فقال إنه لا يترك النسخ يوماً واحداً وإذا عرض ما يمنع فعل من النسخ شيئاً يسيراً ولو سطراً أو سطرين، فلزمت قاعدته

---

(١) سورة ص، الآية: ٨٦.

(٢) درر نحور العين لسيرة الإمام المنصور -لطف الله جحاف ٢٣٨ مخطوط.

(٣) وهو السيد علي بن إبراهيم بن عامر. انظر:البدر الطالع - الشوكاني ١/٤١٦-٤٢٠.

هذه فرأيت في ذلك منفعة عظيمة»[١].

وقد حصر بعض الباحثين مؤلفات الإمام الشوكاني -رحمه الله- فوجد أنها «قد بلغت (٢٧٨ مؤلَّفاً) مخطوطاً ومطبوعاً (٢٤٠ مخطوطاً، ٣٨ مطبوعاً)»[٢]، وذكر الشوكاني منها ستة وتسعين مؤلفاً[٣]، وزيد في هامش كتابه البدر الطالع على ما ذكره سبعة كتب[٤] ليصبح مجموع ما ذكر في كتابه البدر الطالع ثلاثة ومائة مؤلَّف.

وسأذكر منها المؤلفات المطبوعة التي تيسر لي التعرف عليها والاطلاع عليها دون ذكر المخطوطة لكثرتها ولأن كثيراً من الباحثين قد ذكرها أو أكثرها.

وأذكر الكتب المطبوعة مصنفةً حسب التخصصات على النحو التالي:

* أولاً- التفسير وعلوم القرآن:

١- إشكال السائل في الجواب على تفسير تقدير القمر منازل.

٢- الإيضاح لمعنى التوبة والإصلاح.

٣- جواب السائل عن تفسير تقدير القمر منازل.

٤- جواب سؤال عن نكتة التكرار في قوله تعالى: **﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين﴾**[٥].

٥- جواب سؤال يتعلق بما ورد فيما أظهر الخضر.

٦- جواب عن سؤال كيف أن الفاء في قوله تعالى: **﴿فانظر إلى طعامك**

---

(١) البدر الطالع- الشوكاني ٤٢٠/١.

(٢) الإمام الشوكاني حياته وفكره- عبد الغني الشرجي ٢٢٩.

(٣) انظر البدر الطالع - الشوكاني ٢١٩/٢-٢٢٣.

(٤) انظر المرجع السابق ٢٢٣/٢.

(٥) سورة الزمر، الآيتان: ١١، ١٢.

وشرابك لم يتسنه﴾[١] واقعة في موقع الدليل.

٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير.

* ثانياً- التوحيد وعلم الكلام:

٨- الأجوبة الشوكانية عن الأسئلة الحفظية[٢].

٩- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات.

١٠- إرشاد السائل إلى دلائل المسائل.

١١- إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي ﷺ.

١٢- أطفال المسلمين في الجنة.

١٣- بحث في أن إجابة الدعاء لا ينافي سبق القضاء.

١٤- التحف في مذاهب السلف.

١٥- تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل.

١٦- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد.

١٧- شرح الصدور بتحريم رفع القبور.

١٨- الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد.

١٩- العقد الثمين في إثبات وصاية أمير المؤمنين [علي بن أبي طالب رضي الله عنه].

* ثالثاً- الحديث:

٢٠- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين.

٢١- رفع البأس عن حديث النفس والهم والوسواس.

٢٢- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٢) هذه الرسالة والرسالة العاشرة تحويان مسائل في العقيدة، والفقه وأصوله فأعدت ذكرهما في فن الفقه، وفي فن أصول الفقه.

٢٣- قطر الولي على حديث الولي.

٢٤- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار.

* رابعاً- الفقه:

٢٥- الأجوبة الشوكانية عن الأسئلة الحفظية.

٢٦- إرشاد السائل إلى دلائل المسائل.

٢٧- بحث في أمناء الشريعة.

٢٨- البحث المسفر عن تحريم كل مسكر ومفتر.

٢٩- بلوغ المنى في حكم الاستمنى.

٣٠- الدراري المضيئة شرح الدرر البهية.

٣١- الدرر البهية في المسائل الفقهية.

٣٢- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار.

٣٣- عقود الزبرجد في جيد مسائل علامة ضمد[(١)].

---

(١) هذه الرسالة تحتوي على عشر مسائل:

الأولى: في كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كتابة.

الثانية: في ركعتي تحية المسجد.

الثالثة: في بيع الرجاء وزيادة الثمن لمجرد الأجل.

الرابعة: في الرضاع.

الخامسة: في التعزير بالمال.

السادسة: في كيفية لبسه صلى الله عليه وسلم.

السابعة: في الدعوى والإقرار والرجوع للمصالحة.

الثامنة: في وضع اليد وادعاء الملكية.

التاسعة: في استقراء الملكية بعد موت الإنسان. =

٣٤- المسك الفايح في حط الجوايح.

٣٥- وبل الغمام على شفاء الأوام.

* خامساً- أصول الفقه:

٣٦- الأجوبة الشوكانية عن الأسئلة الحفظية.

٣٧- إرشاد السائل إلى دلائل المسائل.

٣٨- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول.

٣٩- القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد.

* سادساً- التصوف والسلوك:

٤٠- جواب سؤال عن الصبر والحلم.

٤١- رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة.

* سابعاً- التاريخ:

٤٢- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع.

٤٣- در السحابة في مناقب القرابة والصحابة.

* ثامناً- الأدب:

٤٤- أسلاك الجوهر في نظم مجدد القرن الثالث عشر، ديوان شعر جمعه ولده أحمد بن محمد.

= العاشرة: في الرد على القول بعصمة علي -رضي الله عنه- وأهل بيته.

انظر: أمناء الشريعة -محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د. إبراهيم إبراهيم هلال٢٧١، ط ، الناشر: دار النهضة العربية، القاهرة، ب.ت.ط.

* تاسعاً- علوم السياسة ونظام الدواوين:

٤٥- الدواء العاجل في دفع العدو الصائل.

٤٦- رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين.

* عاشراً- المعارف العامة:

٤٧- أدب الطلب ومنتهى الأرب(١).

الجانب الثاني: التلاميذ:

اشتغل الإمام الشوكاني -رحمه الله- بالتدريس، وفرغ نفسه لإفادة الطلبة، فكانوا يأخذون عنه دروساً كثيرة في اليوم الواحد كما قال عن نفسه: «وكنت أدرِّس الطلبة في اليوم الواحد نحو ثلاثة عشر درساً»(٢).

وقد تخرج على يديه كثير من التلاميذ الذين نبغوا في فنون متعددة وصار لهم أثر بارز في مجتمعهم من خلال المناصب التي تولوها.

وقد ترجم الإمام الشوكاني -رحمه الله- لجملة من هؤلاء ومنهم:

١- أخوه يحيى بن علي الشوكاني(٣).

٢- عبد الرحمن الضمدي(٤).

---

(١) أفاد الباحث في تصنيف معظم هذه المؤلفات من كتاب: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن-عبد الله بن محمد الحبشي،ط.المكتبة العصرية، صيدا بيروت ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م ب ط .

(٢) البدر الطالع - الشوكاني ٤٦٤/١.

(٣) انظر: المرجع السابق ٣٣٨/٢-٣٤٠.

(٤) انظر: المرجع السابق ٣٣٨/١-٣٤٠.

٣- أحمد بن عبد الله الضمدي(١).

٤- محمد بن علي العمراني(٢).

٥- محمد بن أحمد السودي(٣).

٦- لطف الله جحاف(٤).

وسأذكر تراجم لثلاثة من هؤلاء ليتبين فضل الإمام الشوكاني، وسعة علمه من خلال الاطلاع على الكتب التي قرئت عليه وتعلمها هؤلاء الطلبة منه:

١- أخوه يحيى بن علي الشوكاني:

تحدث الإمام الشوكاني عن أخيه فقال: «ولد يوم الأربعاء من شهر رجب ١١٩٠هـ بصنعاء، ونشأ بها، وقرأ على جماعة من المتصدرين بجامع صنعاء: كالعلامة محمد بن علي السودي... وقرأ عليّ في مصنفاتي وغيرها. وصار الآن يقرئ الطلبة في علوم متعددة آلية وتفسيرية وحديثية: كالأمهات وغيرها، وقد سمع مني الأمهات وغيرها من كتب الحديث، وسمع مني تفسير الزمخشري والمطول وحواشيهما والرضي في النحو وغير ذلك... وسمع مني من مؤلفاتي السيل الجرار، ونيل الأوطار، وتحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، وتفسيري المسمى: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير... وقد برع في كثير من العلوم...»(٥).

---

(١) انظر: البدر الطالع- الشوكاني ١/٧٦، ٧٧.

(٢) انظر: المرجع السابق ٢/٢١٠.

(٣) انظر: المرجع السابق ٢/١٠٣-١٠٦.

(٤) انظر: المرجع السابق ٢/٦٠-٧٠.

(٥) انظر: المرجع السابق ٢/٣٣٨-٣٤٠.

٢- عبد الرحمن بن أحمد الضمدي

ترجم له الشوكاني بقوله: «ولد سنة ١١٨٠هـ تقريباً بصبيا، ونشأ بها، وقرأ على والده وغيره من أهل صبيا، ثم رحل إلى صنعاء سنة ١٢٠٢هـ فأخذ عن أكابر علمائها: كشيخنا السيد العلامة عبد القادر بن أحمد، والسيد العلامة علي بن عبدالله الجلال... وأخذ عني في فنون متعددة واختص بي اختصاصاً كاملاً... وقد برع في النحو، والصرف، والمنطق، والمعاني، والبيان، والأصول، والتفسير، والحديث في أقرب مدة لحسن فهمه، وجودة تصوره، وكمال إدراكه، وقوة ذهنه... وقد أجزته بكل ما يجوز لي روايته. وهو مشارك لي في السماع من أكابر شيوخي، وله قدرة على النظم والنثر، وملكة كاملة في جميع العلوم عقلاً ونقلاً، ولا يقلد أحداً بل يجتهد برأيه وهو حقيق بذلك»[١].

٣- محمد بن أحمد السودي:

ترجم له الإمام الشوكاني -رحمه الله- في البدر الطالع بقوله: «ولد في ليلة الجمعة مستهل جمادى الآخرة سنة ١١٧٨هـ، وحفظ القرآن ثم لا زمني منذ ابتداء طلبه إلى انتهائه فقرأ عليّ في النحو الملحة وشرحها لبحرق وشرحها للفاكهي وشرحها للسيد المفتي...، وقرأ عليّ من كتب الأصول (الكافل) لابن بهران وشرحه لابن لقمان، و(غاية السؤل) لابن الإمام وشرحها له وحاشيتها لسيلان، و(مختصر المنتهى) وشرحه للعضد وحاشيته للسعد و(الكشاف) وحاشيته للسعد، و(النخبة) وشرحها لابن حجر، وآداب البحث، ورسالة الوضع، والبخاري، ومسلم، وسنن أبي داود، والترمذي، والهدي لابن القيم، وجامع الأصول... وقد برع في جميع الفنون المتقدم سردها ، وفاق الأقران، ودرس الطلبة بالجامع المقدس، وهو الآن من أعيان

---

(١) البدر الطالع- الشوكاني ٣١٨/١-٣٢٠.

علماء صنعاء ومن أعظم المفيدين للطلبة، وله ذهن وقاد، وفهم إلى تصور الدقائق منقاد... وقد صار الآن قاضياً من قضاة مدينة صنعاء، وللناس إليه رغوب، وله قدرة على فصل الخصومات وإيضاح المهمات»[1].

---

(١) البدر الطالع- الشوكاني ١٠٣/٢-١٠٦.

المطلب الخامس

وفاته ومكانته

أولاً- وفاته:

عاش الإمام الشوكاني -رحمه الله- من عام ١١٧٣هـ حتى عام ١٢٥٠هـ، وكانت حياته حافلة بالجد والاجتهاد، والتحصيل العلمي، والقيام بالوظائف الدينية من تدريس وإفتاء وقضاء.

وكانت وفاته -رحمه الله- في جمادى الآخرة سنة ١٢٥٠هـ ، وقبر بخزيمة المقبرة المشهورة بصنعاء»[١] رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

ثانياً- مكانته:

لقد تبوأ الإمام الشوكاني -رحمه الله- مكانة عظيمة في القطر اليمني، وفي الأقطار الأخرى بفضل الله تعالى، ثم بتفوقه العلمي ونبوغه في فنون شتى من العلوم والمعارف الإسلامية، وتعرف عليه المسلمون من خلال مصنفاته المهمة النافعة التي تدرس في بعض الجامعات الإسلامية، وهي في الوقت نفسه مراجع للباحثين والعلماء والمتخصصين فضلاً عن المبتدئين في العلم، وكان هذا محل إعجاب من معاصريه وغيرهم.

فقد وصفه صاحب نفحات العنبر بقوله: «مفتي المسلمين، ومفيد الأنام، إمام العلوم والمعارف والمتفيء ظليل ظلها الوارف، المشرقة بالتحقيق أقماره وشموسه، والزاخرة بالعلم عبابه وقاموسه، مجتهد الزمان، وواسطة عقد الرؤساء والعلماء الأعيان، جامع شمل العلوم العقلية والنقلية، مقتطف ثمرات الفرعية من الأصلية...»[٢].

---

(١) البدر الطالع- الشوكاني ٢/٢٢٥ (الهامش).

(٢) نفحات العنبر بفضلاء اليمن الذين في القرن الثاني عشر-إبراهيم الحوثي ٥٥، ٥٦ مخطوط.

ووصفه صاحب درر نحور العين بقوله: «شيخنا المحقق في المعقول والمنقول الجهبذ المجتهد العالم الرباني محمد بن علي الشوكاني»[١].

وتحدث عنه صاحب التاج المكلل فقال: «ولقد فتح رب العالمين سبحانه من بحر فضل كرمه الواسع على هذا القاضي الإمام بثلاثة أمور، لا أعلم أنها في هذا الزمان الأخير جمعت لغيره:

١- الأول: سعة التبحر في العلوم على اختلاف أجناسها وأنواعها وأصنافها.

٢- الثاني: سعة التلاميذ المحققين والنبلاء المدققين أولي الأفهام الخارقة، والفضائل الفائقة الحقيق أن ينشد عن حضور جمعهم الغفير، والمشاهدة غوصهم على جواهر المعاني التي استخرجها من بحر الحقائق غير يسير.

٣- الثالث: سعة التصانيف المحررة والرسائل والجوابات المحبرة التي تسامي في كثرتها الجهابذة الفحول، وبلغ من تنقيحها وتحقيقها كل غاية وسول»[٢].

ووصفه صاحب معجم المؤلفين بقوله: «مفسر، محدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، أديب نحويٌّ، منطقيٌّ، متكلم، حكيم»[٣].

---

(١) درر نحور العين لسيرة الإمام المنصور وأعلام دولته الميامين -لطف الله جحاف ٢٣٧ مخطوط.

(٢) انظر: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول -صديق حسن خان ٤٦٠.

(٣) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية -عمر رضا كحالة ٥٣/١١ ط دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ب ت ط.

المطلب السادس

عقيدته ومذهبه الفقهي

أولاً- عقيدته:

الإمام الشوكاني -رحمه الله- عالم من علماء أهل السنة والجماعة و«مذهبه في الاعتقاد هو مذهب أهل السنة والجماعة إلا في مسائل قليلة جداً»[١].

ومما يبين تمسكه بمنهج أهل السنة والجماعة وسلامة عقيدته قوله -رحمه الله-: «إنه لا ينبغي لعالم أن يدين بغير ما دان به السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، من الوقوف على ما تقتضيه أدلة الكتاب والسنة، وإبراز الصفات كما جاءت، ورد علم المتشابه إلى الله سبحانه، وعدم الاعتداد بشيء من تلك القواعد المدوَّنة في هذا العلم[٢]، المبنية على شفا جرف هارٍ من أدلة العقل التي لا تعقل، ولا تثبت إلا بمجرد الدعاوى والافتراء على العقل بما يطابق الهوى، ولا سيما إذا كانت مخالفة لأدلة الشرع الثابتة في الحديث والسنة، فإنها حينئذ خرافة[٣]، ولعبة لاعب فلا سبيل للعباد يتوصلون به إلى معرفة ما يتعلق بالرب سبحانه، وبالوعد والوعيد، والجنة والنار، والمبدأ والمعاد، إلا ما جاءت به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه عن

---

(١) منهج الإمام الشوكاني في العقيدة، د. عبد الله نومسوك ١٢٤.

(٢) علم الكلام.

(٣) خرافة: اسم رجل من عذرة استهوته الجن؛ فكان يحدث بما رأى، فكذبوه وقالوا: حديث خرافة، وأجروه على كل ما يكذبونه من الأحاديث، وعلى كل ما يستملح ويتعجب منه. النهاية في غريب الحديث والأثر-ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، مادة (خرف)٢/٢٥، ط المكتبة العلمية، بيروت - لبنان ب ت ط.

الله سبحانه، وليس للعقول وصول إلى تلك الأمور»[١].

وبيّن -رحمه الله- أن الفرقة الناجية: «ليسوا بعض هذه المذاهب الإسلامية بل هو من تمسك بالشريعة المطهرة واهتدى بهدي المصطفى ﷺ على أي مذهب كان وفي أي عصر وجد»[٢].

ومما يوضح تمسك الإمام الشوكاني -رحمه الله- بمذهب السلف قوله: «إن الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة، هو ما كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، وقد كانوا -رحمهم الله- وأرشدنا إلى الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم، يُمِرُّون أدلة الصفات على ظاهرها لا يتكلفون علم ما لا يعلمون، ولا يتأولون»[٣].

ويخبر الإمام الشوكاني- رحمه الله- باشتغاله بعلم الكلام ثم باقتناعه بعد ذلك بمذهب السلف، ومحبته له مع كونه على مذهب السلف أثناء اشتغاله بهذا الفن فيقول: «وها أنا أخبرك عن نفسي وأوضح لك ما وقعت فيه في أمسي، فإني في أيام الطلب وعنفوان الشباب شُغِلْتُ بهذا العلم الذي سموه علم الكلام، وتارة علم التوحيد، وتارة علم أصول الدين، وأكببت على مؤلَّفات الطوائف المختلفة منهم، ورمت الرجوع بفائدة، والعود بعائدة، فلم أظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة، وكان ذلك من الأسباب التي حببت إليّ مذهب السلف على أني كنت قبل ذلك عليه، ولكني أردت أن أزداد منه بصيرة وبه شغفاً، وقلت عند ذلك في تلك المذاهب:

وغاية ما حصلتـه من مباحـثي ومن نظري من بعد طول التدبر
هو الوقف ما بين الطريقين حيرة فما علم من لم يلـق غير التحـير

---

(١) أدب الطلب ومنتهى الأرب- الشوكاني ١٢٨، ١٢٩.

(٢) البدر الطالع- الشوكاني ١/٨٣.

(٣) التحف في مذاهب السلف- محمد بن علي الشوكاني، حققه وعلق عليه شريف محمد فؤاد هزاع ٩، ط١، دار فجر للتراث، شبين الكوم ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

على أنني قد خضت منه غماره   وما قنعت نفسي بغير التبحر»[١].

ومما يوضح عقيدة الإمام الشوكاني -رحمه الله- السلفية تأليفه لرسائل في العقيدة الصحيحة وبيان ما يضادها، ومن هذه الرسائل رسالة: شرح الصدور في تحريم رفع القبور، أنكر فيها بدعة رفع القبور وبين اتفاق العلماء على أن رفع القبور بدعة ورد على من ادعى جوازه.

ومن الرسائل أيضاً رسالة: التحف في مذاهب السلف بيَّن فيها منهج أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى وهو إمرار أدلة الصفات على ظاهرها لا يتكلفون علم ما لا يعلمون ولا يتأولون[٢].

ومن الرسائل أيضاً رسالة: الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، وهي جواب سؤال «عن التوسل بالأموات المشهورين بالفضل، وكذلك الأحياء، والاستعانة بهم ومناجاتهم عند الحاجة، من نحو: على الله وعليك يا فلان ، وأنا بالله وبك، وما يشابه ذلك، وتعظيم قبورهم، واعتقاد أن لهم قدرة على قضاء حوائج المحتاجين، وإنجاح طلبات السائلين، وما حكم من فعل شيئاً من ذلك؟ وهل يجوز قصد قبور الصالحين لتأدية الزيارة ودعاء الله عندها من غير استعانة؟ بل بالتوسل بهم فقط؟»[٣] وغير ذلك كثير مما يبين صحة عقيدته وسلامة منهجه -رحمه الله-.

غير أن الإمام الشوكاني -رحمه الله- بشر يصيب ويخطئ، وقد أخذ عليه الوقوع في بعض التأويلات في آيات الصفات، إضافة إلى نقله في تفسيره لبعض الروايات الموضوعة والضعيفة التي وضعتها طوائف من الشيعة؛ لنصرة ما ذهبوا

---

(١) التحف في مذاهب السلف- الشوكاني ٢٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ٩

(٣) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد -الشوكاني٨

إليه مما يخالف مذهب السلف الصالح[١] دون التنبيه إليها.

ومن الروايات التي أوردها دون التنبيه إليها رواية ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: تصدق علي -رضي الله عنه- بخاتم وهو راكع، فقال النبي ﷺ للسائل من أعطاك هذا الخاتم؟ قال: ذاك الراكع، فأنزل الله فيه: ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾[٢][٣].

وهناك روايات أخرى ذكرها في تفسيره ولم يعلق عليها ولم يبين درجتها[٤] «ونحن نربأ به أن يكون مُورِداً لنصوص تؤيد ما ذهب إليه الشيعة عمداً منه ولكن فاته التنبيه عليها»[٥].

ومع ذلك فإن الإمام الشوكاني -رحمه الله- نبه على بعض الروايات في علي -رضي الله عنه- في كتابه الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة[٦]. وهذا

---

(١) انظر: عذب الغدير في بيان التأويلات في كتاب فتح القدير للشوكاني - د. محمد بن عبدالرحمن الخميس ١٢ ط١ دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١٤هـ.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٣) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - محمد بن علي الشوكاني ٥٣ ط دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان ١٤٠٣هـ-١٩٨٣ ب ط.

(٤) انظر: -على سبيل المثال- تفسيره للآية رقم ٦٧ من سورة المائدة في قصة غدير خم. فتح القدير -الشوكاني ٢/٦٠.

(٥) عذب الغدير في بيان التأويلات في كتاب فتح القدير للشوكاني -د. محمد عبد الرحمن الخميس ١٣.

(٦) انظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة -محمد بن علي الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ٣٤٢-٣٩٧ ط٢ المكتب الإسلامي- بيروت ١٣٩٢هـ.

الكتاب من الكتب التي ألَّفها الإمام الشوكاني -رحمه الله- في آخر حياته[١] إذ ألفه عام ١٢٤٨هـ[٢].

أما تأويله لبعض الصفات فمن النماذج على ذلك:

تفسيره لقوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿غير المغضوب عليهم﴾[٣]

«فقد فسر الغضب بلازم معناها وأثرها وهي العقوبة وهذا تعطيل لهذه الصفة»[٤]. وهنا يجدر التنبيه إلى أن وقوع الإمام الشوكاني -رحمه الله- في هذه الأخطاء لا يعني الغض من قدره أو انتقاصه «فهذا اجتهاده وإن كان قد أخطأ في مواضع لكنه أحسن في أكثر منها»[٥].

ثانياً- مذهبه الفقهي:

سبق عند الحديث عن الزيدية في الحالة الدينية والحالة العلمية أن الإمام الشوكاني -رحمه الله- درس مذهب الزيدية، وتفقه عليه[٦]، وأن دراسته الأولى

---

(١) انظر: منهج الإمام الشوكاني في العقيدة -د. عبد لله نومسوك ١٣٢.

(٢)انظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة -الشوكاني ٥١٢.

(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

(٤) عذب الغدير في بيان التأويلات في كتاب فتح القدير للشوكاني -د. محمد بن عبدالرحمن الخميس ٢١.

(٥) انظر: المرجع السابق ١٢ وقد ساق المؤلف -حفظه الله- في رسالته هذه ثمانية عشر مثالاً على تأويل الإمام الشوكاني -رحمه الله- بعض الصفات على خلاف الظاهر، وعلى خلاف منهج السلف، وبيَّن في رسالته هذه مكانة الإمام الشوكاني -رحمه الله- وأمثاله من أهل العلم المحققين وأن أخطاءهم ما هي إلا قطرات في بحر حسناتهم وصوابهم.

(٦) انظر: ص ٣٨ من هذه الرسالة.

كانت على الفقه الزيدي حيث درس كتاب الأزهار[1] و«عمدة زيدية اليمن في جميع جهاته على الأزهار»[2] غير أن الشوكاني -رحمه الله- بلغ من العلم منزلة رفيعة و«استمر يفتي من نحو العشرين من عمره»[3] بل «ترك التقليد واجتهد رأيه اجتهاداً مطلقاً غير مقيَّد وهو قبل الثلاثين»[4].

وبيَّنَ -رحمه الله- وجوب الاجتهاد على من رزقه الله آلته وحدد ذلك بقوله: «والذي أدين الله به أنه لا رخصة لمن علم من لغة العرب ما يفهم به كتاب الله بعد أن يقيم لسانه بشيء من علم النحو والصرف، وشطر من مهمات كليات أصول الفقه، في ترك العمل بما يفهمه من آيات الكتاب العزيز، ثم إذا انضم إلى ذلك الاطلاع على كتب السنة المطهرة التي جمعها الأئمة المعتبرون وعمل بها المتقدمون والمتأخرون: كالصحيحين وما يلتحق بهما مما التزم فيه مصنفوه الصحة، أو جمعوا فيه بين الصحيح وغيره مع البيان لما هو صحيح ولما هو حسن ولما هو ضعيف، وجب العمل بما كان كذلك من السنة ولا يحل التمسك بما يخالفه من الرأي سواء كان قائله واحداً أو جماعة أو الجمهور... فالحاصل أن من بلغ في العلم إلى رتبة يفهم بها تراكيب كتاب الله، ويرجح بها بين ما ورد مختلفاً من تفسير السلف الصالح ويهتدي به إلى كتب السنة التي يعرف بها ما هو صحيح وما ليس بصحيح فهو مجتهد لا يحل له أن يقلد غيره كائناً من كان في مسألة من مسائل الدين، بل يستروي النصوص من أهل الرواية ويتمرن في علم الدراية بأهل الدراية ويقتصر من

---

(١) انظر: ص٤٤ من هذه الرسالة.

(٢) البدر الطالع ١/١٢٣

(٣) المرجع السابق ٢/٢١٩.

(٤) المرجع السابق ٢/٢٢٤.

كل فن على مقدار الحاجة. والمقدار الكافي من تلك الفنون هو ما يتصل به إلى الفهم والتمييز»[1].

وكتابه القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد برهان واضح على دعوته للاجتهاد ونبذ التقليد ورد شبه المقلدة، وفيه بيان واضح لمفهوم التقليد، ومما جاء فيه قوله -رحمه الله-: «فحاصل التقليد: أن المقلد لا يسأل عن كتاب الله ولا عن سنة رسوله ﷺ، بل يسأل عن مذهب إمامه فقط، فإذا جاوز ذلك إلى السؤال عن الكتاب والسنة، فليس بمقلد. وهذا يسلمه كل مقلد ولا ينكره»[2].

وهو بهذا ينكر التمذهب ويطَّرِح مذهب الزيدية ويتَّبِع الدليل ويعمل به وقد «خالف الشوكاني مذهب قومه في مسائل كثيرة جداً، منها مسائل فروعية، والبعض أصولية، لا يتسع هذا المقام لبسطها»[3].

وإليك بعضَ الأمثلة:

١- خالف الزيدية في شروط الإمامة حيث يشترطون أن يكون علوياً فاطمياً بينما يرى الشوكاني -رحمه الله- صحتها في سائر بطون قريش[4].

٢- خالف الزيدية في جواز رفع قبور الفضلاء وبيّن تحريم رفع القبور وأنه لا وجه لتخصيص قبور الفضلاء بهذا المنكر[5].

---

(١) البدر الطالع- الشوكاني ٢/ ٨٥، ٨٦.

(٢) انظر: القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد - محمد بن علي الشوكاني، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت ٣٠ ط مكتبة القرآن، القاهرة ب ت ط.

(٣) منهج الإمام الشوكاني في العقيدة -د. عبد الله نومسوك ١٢٢، ١٢٣.

(٤) انظر: السيل الجرار -الشوكاني ٤/ ٥٠٦.

(٥) انظر: المرجع السابق ١/ ٣٦٧، ٣٦٨.

٣- خالف الزيدية في اشتراط إقامة الجمعة مع إمام عادل وبيّن أنه لا دليل على هذا الاشتراط[١].

٤- خالف الزيدية في قولهم في الأذان [حيّ على خير العمل] وقال -رحمه الله- في إنكاره: «ولم يثبت رفع هذا اللفظ إلى رسول الله ﷺ في شيء من كتب الحديث على اختلاف أنواعها»[٢].

فتبين بهذا اطِّراحُ الإمام الشوكاني -رحمه الله- للمذهب الزيدي سواء في الاعتقاد أم في الفقه، وأنه يسير مع الدليل حيث سار.

ومما يؤكد هذا تأليفه لكتاب السيل الجرار الذي هو نقد لكتاب الأزهار عمدة الزيدية كما مر آنفاً[٣].

---

(١) السيل الجرار - الشوكاني ١/٢٩٧.

(٢) المرجع السابق ١/٢٠٥.

(٣) للتوسع في هذا الموضوع انظر: المرجع السابق بكامله، ومنهج الإمام الشوكاني في العقيدة -د. عبد الله نومسوك ١١٨-١٣٧.

الفصل الأول
جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة إلى الله

المبحث الأول: أصناف المدعوين في دعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله-

المطلب الأول: دعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله- للحكام والولاة.

المطلب الثاني: دعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله- للعلماء.

المطلب الثالث: دعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله- لطلاب العلم.

المطلب الأول

دعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله- للحكام والولاة.

اعتنى الإمام الشوكاني -رحمه الله- بدعوة الحكام والولاة ونصحهم[١] عملاً بقوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة...الآية﴾[٢] وهم في مقدمة أصناف المدعوين في دعوته -رحمه الله-، وقبل الحديث عن دعوته لهذا الصنف أشير إلى نظرة الإمام الشوكاني للإمامة، وبيانه للموقف الشرعي من الحكام، وكيفية التعامل معهم.

قال -رحمه الله- في تعليقه على قول صاحب الأزهار: «فصل: يجب على المسلمين نصب إمام» :«أقول: قد أطال أهل العلم الكلام على هذه المسألة في الأصول والفروع، واختلفوا في وجوب نصب الإمام: هل هو قطعي أو ظني؟ وهل هو شرعي فقط؟ أو شرعي وعقلي؟ وجاؤوا بحجج ساقطة وأدلة خارجة عن محل

---

(١) قال الرازي: نَصَحه ونَصَح له يَنصَح بالفتح فيهما نُصْحاً بالضم ونَصَاحة بالفتح وهو باللام أفصح... ورجل ناصح الجيب أي نقي القلب، والناصح الخالص من كل شيء. انظر مختار الصحاح- محمد بن أبي بكر الرازي ٦٦٢ مادة (نصح) ط١ دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٣م، وقال الأصفهاني: النصح تحري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه... وهو من قولهم نصحت له الود أي أخلصته، وناصح العسل خالصه. انظر: المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني، مادة (نصح)٤٩٤.

وفي الاصطلاح: كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم -أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٢٢ ط٤ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

النزاع، والحاصل أنهم أطالوا في غير طائل، ويغني عن هذا كله أن هذه الإمامة قد ثبتت عن رسول الله ﷺ الإرشاد إليها والإشارة إلى منصبها... وثبت كتاباً وسنة الأمر بطاعة الأئمة... ووقعت منه الإشارة إلى من سيقوم بعده، ثم إن الصحابة -رضي الله عنهم- لما مات رسول الله ﷺ قدموا أمر الإمامة ومبايعة الإمام على كل شيء، حتى إنهم اشتغلوا بذلك عن تجهيزه ﷺ، ثم لما مات أبو بكر -رضي الله عنه- عهد إلى عمر -رضي الله عنه-، ثم عهد عمر إلى النفر المعروفين، ثم لما قتل عثمان -رضي الله عنه- بايعوا علياً -رضي الله عنه- وبعده الحسن[1] -رضي الله عنه- ثم استمر المسلمون على هذه الطريقة حيث كان السلطان واحداً وأمر الأمة مجتمعاً، ثم لما اتسعت أقطار الإسلام، ووقع الاختلاف بين أهله، واستولى على كل قطر من الأقطار سلطان اتفق أهله على أنه إذا مات بادروا بتنصيب من يقوم مقامه، وهذا معلوم لا يخالف فيه أحد، بل هو إجماع المسلمين أجمعين منذ قبض رسول الله ﷺ إلى هذه الغاية، فما هو مرتبط بالسلطان من مصالح الدين والدنيا، ولو لم يكن منهم إلا جمعهم على جهاد عدوهم ، وتأمين سبلهم وإنصاف مظلومهم

---

(١) الحسن بن علي بن أبي طالب ريحانة رسول الله ﷺ، وسبطه، وسيد شباب أهل الجنة، ولد سنة ثلاث من الهجرة، وكان يشبه جده الرسول ﷺ، وقد كان رسول الله ﷺ يحبه حباً شديداً، وربما مص لسانه واعتنقه وداعبه، وقد كان سيداً وسيماً جميلاً عاقلاً رزيناً جواداً خيّراً ديّناً، وقد بايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠ هـ وخلع نفسه وسلم الأمر لمعاوية -رضي الله عنه- سنة ٤١هـ توفي عام ٥٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء -الذهبي ٣/٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٣، والبداية والنهاية - أبو الفداء ابن كثير، دقق أصوله وحققه: د. أحمد أبو ملحم، د. علي نجيب عطوي، فؤاد السيد، مهدي ناصر الدين، علي عبد الساتر ٨/٣٤، ط دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ب.ت.ط. والأعلام -الزركلي ٢/١٩٩، ٢٠٠.

من ظالمه، وأمرهم بما أمرهم الله به، ونهيهم عما نهاهم الله عنه، ونشر السنن، وإماتة البدع، وإقامة حدود الله، فمشروعية نصب السلطان هي من هذه الحيثية»[١].

وقال -رحمه الله- في قول صاحب الأزهار: «ويؤدب من يثبط عنه»:

«فالواجب دفعه عن هذا التثبيط، فإن كف وإلا كان مستحقاً لتغليظ العقوبة، والحيلولة بينه وبين من صار يسعى لديه بالتثبيط بحبس أو غيره، لأنه مرتكب لمحرم عظيم، وساعٍ في إثارة فتنة تراق بسببها الدماء، وتهتك عندها الحُرُم، وفي هذا التثبيط نزع ليده من طاعة الإمام»[٢].

وبيَّن الإمام الشوكاني -رحمه الله- الموقف الشرعي عند حصول غلط من الإمام فقال: «ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصحه، ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد، بل كما ورد في الحديث أنه يأخذ بيده، ويخلو به، ويبذل له النصيحة، ولا يذل سلطان الله»[٣]. كما أنه يجب نصحه باللين والرفق كما قال تعالى آمراً موسى وهارون عليهما السلام عند دعوتهما لفرعون: ﴿فقولا له قولاً

---

(١) انظر: السيل الجرار - الشوكاني ٤/٥٠٣، ٥٠٤.

(٢) المرجع السابق ٤/٥١٤.

(٣) المرجع السابق ٤/٥٥٦. ولعله رحمه الله يشير إلى ما أخرجه الإمام أحمد -رحمه الله- من حديث هشام بن حكيم بن حزام -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يُبْدِ له علانية ولكن لِيأخذْ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه» قال الشيخ حمزة الزين: إسناده صحيح. المسند للإمام أحمد ابن حنبل- شرحه وصنع فهارسه: أحمد شاكر، وحمزة أحمد الزين ١٢/١٣٦ رقم ١٥٢٧٠، ط١ دار الحديث، القاهرة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م وللاستزادة انظر حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأركانه ومجالاته -د. حمد بن ناصر العمار ١٢٨ هامش ١.

لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾[١].

هذا فيما يتعلق بنظرة الإمام الشوكاني -رحمه الله- للإمامة، والموقف الشرعي من الحكام، وأما ما يتعلق بدعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله- للحكام والولاة فيتبين من خلال النقاط التالية:

١- دعوته الحكام لتفقد أحوال الرعية:

دعا الإمام الشوكاني -رحمه الله- من كانت له ولاية إلى تفقد أحوال العباد، وتأمل ما هم فيه من خير وشر «وهكذا من كان له متعلَّقٌ بأمر غيره من العباد إما عموماً أو خصوصاً فعليه أن يتفقد أحوالهم، ويتأمل ما هم فيه من خير وشر، فإن وجدهم منهمكين في الشر، واقعين في ظلمة المعاصي، غير مستنيرين بنور الحق، فهم واقعون في عقوبة الله لهم، وتسليطه عذابه عليهم، ولا سيما إذا كانوا لا يأتمرون لمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر. هذا على فرض أن داعي الخير لم يزل يدعوهم إليه، والناهي عن الشر لا يزال ينهاهم عنه. وهم مصممون على غيهم سادرون في جهلهم»[٢].

٢- دعوته إمام المسلمين إلى انتخاب العمال والقضاة ومحاسبتهم:

العمال والقضاة لهم مكانة في الدولة وموقعهم في الدولة المسلمة خطير؛ لأنهم نواب عن الإمام، ولذا فإن العناية باختيارهم مطلب شرعي، حتى لا يتولى أمور الناس من لا يحسن التصرف، ولا يقدر المصالح والمفاسد، ولا يكفي اختيارهم فقط، بل لا بد مع الاختيار من مراقبتهم ومحاسبتهم على أخطائهم التي يقعون فيها حتى تصلح الأحوال وتستقيم الأمور، وهذا ما دفع الإمام الشوكاني -رحمه الله- إلى دعوة إمام المسلمين إلى انتخاب العمال والقضاة ومحاسبتهم حيث قال-رحمه الله-:

---

(١) سورة طه، الآية: ٤٤.

(٢) الدواء العاجل في دفع العدو الصائل- الشوكاني ٥٩ ضمن الرسائل السلفية.

«وليس على إمام المسلمين ووزرائه إلا انتخاب العمال والقضاة، وإلزامهم بأن يكون معظم اشتغالهم بتدبير الرعايا، بما شرعه الله في العقائد والأموال والأبدان وفي الدين والدنيا، ثم بعد إلزامهم بذلك ينظرون من قام به من العمال والقضاة فيحسنون إلى من قام بهذا الأمر منهم، وبذل فيه وسعه، ويقرونه على ولايته، ويعزلون من لم يقم به، ويبذل فيه وسعه»[١].

٣- إشارته على الإمام بحبس أصحاب الفتنة:

وقع في عهدالإمام الشوكاني -رحمه الله- فتنة من بعض الرافضة المتظاهرين بالعلم من قراءة في كتب فضائل علي -رضي الله عنه- ويشوبون المناقب بذكر مثالب بعض الصحابة -رضي الله عنهم- فلما تفاقم شر أولئك المدرسين منع إمام العصر في ذلك الوقت -وهو الإمام المنصور علي بن العباس-[٢] منع صاحب الكرسي من الإملاء في الجامع، وأمره بالعود إلى المسجد الذي كان يملي فيه، ولما لم يحضر شيخهم ثاروا ثورة شيطانية ووقع منهم فتنة وأذى فأشار الإمام الشوكاني -رحمه الله- على الخليفة بأن يحبس أولئك المدرسين[٣]. قال رحمه الله: «ولما كان النهار جمع الخليفة أعوانه وطلبني واستشارني، فأشرت عليه بأن يحبس أولئك المدرسين الذين أثاروا الفتنة في الجامع، بسبب ما يصدر منهم من نكاية القلوب وإثارة العوام فحبسهم، ثم أشرت عليه بأن يتتبع أولئك الذين رجموا البيوت وفعلوا تلك الأفاعيل، ومن وجدوه حبسوه، ويأمر بتتبع جماعة من شياطين الفقهاء

---

(١) الدواء العاجل- الشوكاني ٧١.

(٢) انظر: أدب الطلب- الشوكاني ٩٢ الهامش.

(٣) انظر: المرجع السابق ٩١-٩٣.

المثيرين للفتنة ، ففعل وحبسوا جميعاً»[١].

٤- إشارته على أحد أولاد الخليفة:

بعد الفتنة التي أشرت إليها في النقطة السابقة -آنفاً- ما زال بعض أولاد الخليفة يردد على الشوكاني ذلك الأمر، ويرغبه في الرجوع عن الرأي الذي أشار به على الخليفة، ويذكر ما قد ألقاه إليه الوزير الرافضي من خشية ثورة الأجناد والعامة[٢] غيرَ أن الإمام الشوكاني -رحمه الله- كان مقتنعاً برأيه ومصراً على موقفه حيث قال: «فما زلت أعرِّفه بالصواب، وأذكر له أن هذه الفتنة لو لم تحسم يومنا هذا بحبس المثيرين لها لهلك غالب الناس في الليلة الواصلة، ونهبوا الأموال جهاراً، وأنه سيصل الأمر إلى الخليفة وأولاده، فضلاً عن غيرهم، وعرَّفته أنه ما سيثور بسبب ذلك أجناد ولا غيرهم، فإن هذا تسكين للفتنة، لا إثارة لها»[٣].

فقد كان الباعث للإمام الشوكاني -رحمه الله- على هذا الرأي خوفه على الناس من الهلاك ونهب الأموال، وأعظم من ذلك الوصول إلى الخليفة الذي به صلاح العباد، واستتباب الأمن وكذا أولاده، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الداعية في دعوته فهو لا يريد من ورائها سوى مرضاة الله ثم نصح المسلمين بإيصال

---

(١) أدب الطلب- الشوكاني ٩٣، ويظهر من هذه الحادثة ثقة الإمام المنصور -رحمه الله- في الإمام الشوكاني -رحمه الله- حيث استشاره في شأن أولئك فما كان من الإمام الشوكاني -رحمه الله- إلا أن صدع بالحق دون مداهنة فاستجاب الإمام المنصور لرأيه وقبل مشورته.

كما تظهر حكمة الإمام الشوكاني -رحمه الله- وبعد نظره حيث أشار بما يطفئ الفتنة ويخمد نارها فكان في رأيه -بفضل الله- خير ورحمة.

(٢) انظر: المرجع السابق ٩٣، ٩٤.

(٣) المرجع السابق ٩٤.

الخير إليهم ودفع الشر عنهم وبذا تقبل الدعوة وتؤتي ثمارها -بإذن الله-.

والإمام الشوكاني -رحمه الله- بدعوته للأئمة والحكام يمتثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة» قلنا لمن؟ قال «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[١]. ومن النصيحة لأئمة المسلمين «معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة ٧٤/١ رقم ٩٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٣/١.

المطلب الثاني

دعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله- للعلماء

العلماء ورثة الأنبياء -عليهم السلام- وهم الدعاة إلى الله، ودرجتهم عند الله رفيعة قال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾[1].

وقد أخذ الله عليهم الميثاق ببيان الحق :﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾[2]؛ ولذا فإن مسؤوليتهم عظيمة وأثرهم على الناس واضح وجلي، ومع ذلك فهم بشر يصيبون ويخطئون، وبحاجة إلى الدعوة والإرشاد والتوجيه ممن هو في مستواهم أو أعلى فالمؤمن مرآة أخيه.

وقد أدرك الإمام الشوكاني -رحمه الله- عظم شأن العلماء وخطورة دورهم في حياة الناس فوجههم إلى ما يصلحهم ودعاهم إلى ما يعينهم -بإذن الله- على القيام بواجبهم في تبليغ شرع الله ونصح عباده، وإخراجهم من الظلمات إلى النور -بإذن الله سبحانه-.

وقد تبين لي من خلال ما قرأته للشوكاني -رحمه الله- دعوته للعلماء من خلال النقاط التالية:

١- دعوته العالم إلى القيام بواجب الإرشاد:

من أوجب الأعمال التي يقوم بها العالم واجب الإرشاد والتوجيه، وهو مهمة الرسل -عليهم السلام- ومن زكاة العلم الذي منحه الله لهؤلاء العلماء؛ ولذا فإن الإمام الشوكاني -رحمه الله- يحض صاحب العلم على القيام بهذا الواجب حيث يقول: «وهكذا صاحب المعرفة، وحامل الحجة، وثاقب الفهم ، لو وطن نفسه على

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

الإرشاد، وتكلم بكلمة الحق، ونصر الله سبحانه، ونصر دينه، وقام في تبيين ما أمره الله بتبيينه؛ لحمد مسراه وشكر عاقبته، وأراه الله سبحانه من بدائع صنعه وعجائب وقايته وصدق ما وعد به من قوله: ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾[١] ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[٢] ما يزيده ثباتاً ويشد من عضده، ويقوي قلبه في نصرة الحق ومعاضدة أهله»[٣].

وقال رحمه الله- في موضع آخر: «فأنت أيها الحامل للعلم لا تزال بخير ما دمت قائماً بالحجة، مرشداً إليها، ناشراً لها، غير مستبدل بها عرضاً من أعراض الدنيا، أو مرضاة من أهلها»[٤]. ثم يرشد -رحمه الله- العالم إلى ما يستعين به على القيام بحجة الله، والبيان لما أنزله بقوله: «وها أنا أرشدك على ما تستعين به على القيام بحجة الله، والبيان لما أنزله، وإرشاد الناس إليه، على وجه لا تتعاظمه، وتقدر فيه ما كنت تقدره من تلك الأمور التي جبنت عند تصورها، وفَرِقْت[٥] بمجرد تخيلها، وهو أنك لا تأتي الناس بغتة، وتصك وجوههم مكافحة ومجاهرة، وتنعي عليهم ما هم فيه نعياً صراحاً، وتطلب منهم مفارقة ما ألفوه طلباً مضيَّقاً، وتقتضيه اقتضاء حثيثاً، بل اسلك معهم مسالك المتبصرين في جذب القلوب إلى ما يطلبه الله من عباده، ورغبهم في ثواب المنقادين إلى الشرع، المؤثرين للدليل على الرأي، وللحق على الباطل، فإن كانوا عامة فهم أسرع الناس انقياداً لك، وأقربهم امتثالاً لما تطلبه منهم،

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٠.

(٢) سورة محمد، الآية: ٧.

(٣) أدب الطلب - الشوكاني ٣٢.

(٤) المرجع السابق ٤٩.

(٥) الفَرَق: الخوف، مختار الصحاح -الرازي، مادة (فرق) ٥٠٠.

ولست تحتاج معهم إلى كثير مؤنة، بل اكتف معهم بترغيبهم في التعلم لأحكام الله، ثم علمهم ما علمك الله منها، على الوجه الذي جاءت به الرواية وصح فيه الدليل، فهم يقبلون ذلك منك قبولاً فطرياً، ويأخذونه أخذاً خِلْقِياً؛ لأن فطرتهم لم تتغير بالتقليد ولا تكدرت بالممارسة لعلم الرأي...»[١].

ويدعو الإمام الشوكاني -رحمه الله- أهل العلم إلى دعوة من وقع في الشرك جاهلاً باللين، فإن أبى فبالتخشين حيث يقول -رحمه الله- «فمن وقع في شيء من هذه الأنواع (أنواع الشرك) أو ما يشابهها جاهلاً فلا شك أنه أتي بتقصيره في طلب علم الشرع وسؤال أهله، ولكنه يجب على من آتاه الله من علمه، وارتضاه لحمل دينه، أن يبيِّن لهذا الجاهل ما شرعه الله لعباده مما جهله وخفي عليه علمه؛ وفاءً بما أخذه الله على الذين أوتوا الكتاب من البيان للناس، وألاَّ يكتموه عنه[٢]، فإن فرغ ذلك الجاهل بعد البيان عن الغواية، ورجع من طريق الضلالة، وإلى طريق الهداية، فقد وفّى العالم بما أوجبه الله عليه من البيان والتعليم ووفّى الجاهل بما أوجبه الله عليه من التعلُّم، وإن أبى إلا اللجاج[٣] والمشي على جادة الاعوجاج انتقل معه ذلك العالم من طريق التليين إلى طريق التخشين...»[٤].

---

(١) أدب الطلب – الشوكاني ٥٦.

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٣) اللجاج: التمادي في الخصومة، انظر: مختار الصحاح–الرازي مادة (لجج) ٥٩٢.

(٤) الإمام الشوكاني حياته وفكره– د. عبد الغني الشرجي، ٣٤٨، ٣٤٩ نقلاً عن مخطوطة: العذب النمير في جواب مسائل عالم بلاد عسير – الشوكاني ١٠.

٢- دعوته العالم لسلوك الحكمة في التعامل مع المتعصبين:

دعا الإمام الشوكاني -رحمه الله- العالم إلى الأسلوب الحكيم في التعامل مع المتعصبين فقال: «وأحسن ما يستعمله العالم مع هؤلاء (يعني المتعصبين) : ترغيبهم في العلم، وتعظيم أمره، والإكثار من مدح علوم الاجتهاد، وأن بها يعرف أهل العلم الحق من الباطل، ويميزون الصواب من الخطأ، وأن مجرد التقليد ليس من العلم الذي ينبغي عدُّ صاحبه من جملة أهل العلم»(١).

٣- دعوته العلماء للتأليف النافع:

بيَّن الإمام الشوكاني -رحمه الله- لأهل العلم ما ينبغي أن يكون عليه التأليف من أهل العلم فذكر أن «التأليف الذي ينبغي لأهل العلم الذين أخذ الله عليهم بيانه، وأقام لهم على وجوبه عليهم برهانه - هو أن ينصروا فيه الحق، ويخذلوا به الباطل، ويهدموا بحججه أركان البدع، ويقطعوا به حبائل التعصب، ويوضحوا فيها للناس ما نزل إليهم من البينات والهدى، ويبالغوا في إرشاد العباد إلى الإنصاف، ويحببوا إلى قلوبهم العمل بالكتاب والسنة، وينفروهم من اتباع محض الرأي، وزائف المقال، وكاسد(٢) الاجتهاد، ولا يمنعهم من ذلك ما خيله لهم الشيطان، ويسوله من أن هذا التصنيف لا ينفُقُ عند المقلدة، أو يكون سبباً لجلب فتنة، أو نزول مضرة، أو ذهاب جاه أو مال أو رئاسة، فإن الله ناصر دينه، ومتمم نوره، وحافظ شرعه، ومؤيد من يؤيده، وجاعلٌ لأهل الحق، ودعاة الشرع، والقائمين بالحجة سلطاناً وأنصاراً وأتباعاً، وإن كانوا في أرض قد انغمس أهلها في موجات البدع، وتكسعوا(٣) في متراكم

---

(١) انظر: أدب الطلب -الشوكاني ٥٨.

(٢) كسد: لم يَنْفُق. انظر: القاموس المحيط- الفيروزآبادي، مادة (كسد) ٤٠٢.

(٣) تكسع في ضلاله: ذهب كتسكع، لسان العرب -ابن منظور، مادة (كسع) ٩٤/١٢.

الضلال»[١].

٤- تحذيره العالم من الغفلة عما يقع بين المتقاربين في الفضائل:

بيَّن الإمام الشوكاني -رحمه الله- أن من الأسباب المانعة من الإنصاف: ما يقع من المنافسة بين المتقاربين في الفضائل، أو في الرئاسة الدينية، أو الدنيوية، ثم حذر المنصف من الغفلة عن هذا الأمر حتى لا يهلك. وفي هذا يقول: «ومن الأسباب المانعة من الإنصاف: ما يقع من المنافسة بين المتقاربين في الفضائل، أو في الرئاسة الدينية، أو الدنيوية، فإنه إذا نفخ الشيطان في أنفهما، وترقت المنافسة -بلغت إلى حد يحمل كلَّ واحد منهما على أن يرد ما جاء به الآخر إذا تمكن من ذلك، وإن كان صحيحاً، جارياً على منهج الصواب... فينبغي للمنصف ألاَّ يغفل عن هذا السبب؛ فإن النفس قد تنقبض عن كلام من كان منافساً في رتبة، معارضاً في فضيلة، وإن كان حقاً. وقد يحصل مع الناظر فيه زيادة على مجرد الانقباض؛ فيتكلم بلسانه أو يحرر بقلمه ما فيه معارضة للحق، ودفع للصواب، فيكون مؤثراً لحمية الجاهلية، وعصبية الطاغوت - على الشريعة المطهرة، وكفى بهذا؛ فإنه من الخذلان البيِّن، نسأل الله الهداية إلى سبيل الرشاد»[٢].

٥- دعوته العالم المجتهد إلى البحث عن مواقع الألفاظ العربية فيما كان راجعاً إلى العربية من أصول الفقه:

دعا الإمام الشوكاني -رحمه الله- العالم المجتهد إلى أن يبحث عن مواقع الألفاظ العربية وموارد أهلها فيما كان من أصول الفقه راجعاً إلى لغة العرب رجوعاً ظاهراً مكشوفاً فقال -رحمه الله-: «اعلم أن ما كان من أصول الفقه راجعاً إلى لغة العرب رجوعاً ظاهراً مكشوفاً كبناء العام على الخاص، وحمل المطلق على

---

(١) أدب الطلب - الشوكاني ٩٧، ٩٨.

(٢) انظر: المرجع السابق ١٠٨، ١٠٩.

المقيد، وردّ المجمل إلى المبين، وما يقتضيه الأمر والنهي ونحو هذه الأمور، فالواجب على المجتهد أن يبحث عن مواقع الألفاظ العربية، وموارد كلام أهلها، وما كانوا عليه في مثل ذلك، فما وافقه فهو الأحق بالقبول، والأولى بالرجوع إليه»[1].

٦- بيانه -رحمه الله- للعالم قيمة العلم الذي يحمله:

لا يخفى على كل ذي لب منزلة علم الشريعة من دين الله ومكانة أهل العلم حيث قال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾[2] وقال سبحانه: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[3]، وينبغي للعالم أن يقدر منزلة العلم الذي يحمله وأن يعلم أنه أشرف من كل متاع دنيوي مهما عظم هذا المتاع في عيون الناس، وليعلم أن الله قد شرف أهل العلم وفضّلهم على سائر الناس بهذا العلم الذي في صدورهم. وقد دعا الإمام الشوكاني -رحمه الله- العالم إلى أن يفطن لهذا الأمر ويعيره عنايته فقال -رحمه الله-: «فيا أيها العالم الصعلوك[4]، قد ظفرت برتبة أرفع من رتب الملوك، ونلت من المعالي أعلاها، ومن المناقب والفضائل أولاها بالشرف وأولاها، فإن كل المعالي الدنيوية وإن تناهت فليست باعتبار المعالي العلمية والشرف الحاصل بها في ورد ولا صدر، فإنه يحصل للعالم أولاً، وبالذات الفوز بالنعيم الأخروي الدائم السرمدي، الذي لا تعدل منه الدنيا بأسرها قيد شرط بل مقدار سوط، ويحصل له ثانياً وبالعَرَض من شرف الدنيا ما يصغر عنده كل شرف، ويتقاصر دونه كل مجد، ويتضاءل لديه كل

---

(١) أدب الطلب - الشوكاني ١١٠.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٤) الصعلوك: الفقير. مختار الصحاح -الرازي، مادة (صعلك) ٣٦٣.

فخر، وإن فهم مقدار ما في العلوم من العلو كان عند نفسه أعزَّ قدراً وأعلى محلاً، وأجلَّ رتبةً من الملوك، وإن كان متضايق المعيشة، يركب نعليه، ويلبس طمريه[1]، وقلت في هذا المعنى من أبيات :

قد كنت ذا طمرين أمرح في العلا   مرح الأغر[2] بجانب الميدان
ما كنت مضطـهـداً فأطلب رفعـة   أو خاملاً فأريد شهرة شاني[3][4]

٧- تحذيره العلماء (القضاة) من قبول الرشوة:

«القضاء عبادة من أشرف العبادات التي يتقرب بها إلى الله تعالى فهو إظهار للعدل، وبالعدل قامت السموات والأرض، وقد وصف الله نفسه بالحكم حيث قال: ﴿فالله يحكم بينهم﴾[5] ﴿والله يقضي بالحق﴾[6]﴿إن ربك يقضي بينهم﴾[7].

فالقضاء أرفع درجة استطاع البشر الارتقاء إليها، فلولاه لأكل القوي

---

(١) الطِّمر، بالكسر: الثوب الخَلَق، أو الكساء البالي من غير الصوف، ج: أطمار. القاموس المحيط -الفيروز آبادي، مادة (طمر) ٥٥٤.

(٢) فرس أغر وغراء، والأغر: الأبيض من كل شيء، القاموس المحيط -الفيروز آبادي، مادة (غرر) ٥٧٧.

(٣) الشأن: الأمر والحال. مختار الصحاح -الرازي، مادة (شأن) ٣٢٦.

(٤) أدب الطلب -الشوكاني ١١٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١١٣.

(٦) سورة غافر، الآية: ٢٠.

(٧) سورة النمل،الآية:٧٨.

الضعيف»[١].

وفي القضاء القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصر المظلوم ولعظم شأنه تولاه الأنبياء -عليهم السلام- والخلفاء الراشدون -رضي الله عنهم-[٢].

ولذا فإن الإمام الشوكاني-رحمه الله- حرص على دعوة القضاة ونصحهم. ومن أهم ما يوجه له القاضي الحذر من قبول الهدايا حتى لا يزِلَّ في حكمه أو يحابيَ أحداً من الناس في الحكم.

وفي هذا يوجه الإمام الشوكاني -رحمه الله- القاضي بقوله: «فليحذر الحاكم المتحفظ لدينه المستعد للوقوف بين يدي ربه من قبول هدايا من أهدى إليه بعد توليه للقضاء فإن للإحسان تأثيراً في طبع الإنسان، والقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها فربما مالت نفسه إلى المهدي إليه ميلاً يؤثر الميل عن الحق عند عروض المخاصمة بين المهدي وبين غيره والقاضي لا يشعر بذلك، ويظن أنه لم يخرج عن الصواب؛ بسبب ما قد زرعه الإحسان في قلبه والرشوة لا تفعل زيادة على هذا»[٣].

ويؤكد الإمام الشوكاني -رحمه الله- التنبيه على هذه القضية بتطبيقه العملي فيقول: «ومن هذه الحيثية امتنعت عن قبول الهدايا بعد دخولي في القضاء ممن كان يهدي إليّ قبل الدخول فيه، بل من الأقارب فضلاً عن سائر الناس، فكان في ذلك من المنافع ما لا يتسع المقام لبسطه أسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه»[٤]. وفي هذا

---

(١) القضاء في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- د. ناصر بن عقيل الطريفي ١/١٢، ١٣ ط١ دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م

(٢) انظر: فتح الباري -ابن حجر ١٣/١٥١.

(٣) نيل الأوطار -الشوكاني ٩/١٧٣.

(٤) المرجع السابق ٩/١٧٣.

يظهر -رحمه الله- بمظهر القدوة ليكون أبلغ في التأثير، والداعية ينبغي أن يكون قدوة لغيره من المدعوين حتى يؤثر فيهم وتقبل دعوته -بإذن الله- فإن خطر الدعية عظيم[1]

٨- دعوته -رحمه الله- العالم إلى احترام العلوم التي يجهلها والسكوت عن الخوض فيها:

وجه الإمام الشوكاني -رحمه الله- العالم إلى احترام العلوم التي يجهلها، والسكوت عن الخوض فيها فقال -رحمه الله- : «وإني لأعجب من رجل يدعي الإنصاف والمحبة للعلم، ويجري على لسانه الطعن في علم من العلوم لا يدري به ولا يعرفه، ولا يعرف موضوعه ولا غايته ولا فائدته، ولا يتصوره بوجه من الوجوه، وقد رأينا كثيراً ممن عاصرنا، ورأيناه يشتغل بالعلم، وينصف في مسائل الشرع، ويقتدي بالدليل، فإذا سمع مسألة من فن من الفنون التي لا يعرفها: كعلم المنطق، والكلام، والهيئة، ونحو ذلك نفر منه طبعه ونفَّر عنه غيرَه، وهو لا يدري ما تلك المسألة ولا يعقلها قط، ولا يفهم شيئاً منها، فما أحقَّ من كان هكذا بالسكوت والاعتراف بالقصور، والوقوف حيث أوقفه الله، والتمسك في الجواب إذا سئل عن ذلك بقوله: لا أدري، فإن كان ولا بد متكلماً ومادحاً أو قادحاً فلا يكون متكلماً بالجهل وعائباً لما لا يفهمه، بل يقدم بين يدي ذلك الاشتغال بذلك الفن حتى يعرفه حقَّ المعرفة ثم يقول بعد ذلك ما شاء»[2].

٩- دعوته -رحمه الله- أهل العلم إلى بذل العلم في أهله:

حض الإمام الشوكاني -رحمه الله- أهل العلم على «ألاَّ يبذلوا العلم إلا لمن

---

(١) انظر: مسؤولية طالب العلم- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ٨، ط١، دار القاسم للنشر والتوزيع١٤١٨هـ.

(٢) أدب الطلب -الشوكاني ١٣٨، ١٣٩.

يقدره حقَّ قدره، وينزله منزلته، ويطلبه لذاته، ويرغب فيه لشرفه، ويعتقد أنه أشرف مطلب من مطالب الدين والدنيا، وأنه يصغر عنده الملك فضلاً عما هو دونه»[١].

وهذا من عزة العلماء فإن من عزة العلماء «صيانة العلم وتعظيمه وحماية جناب عزه وشرفه، فلا تسعَ أيها العالم به إلى أهل الدنيا، ولا تقف به على أعتابهم، ولا تبذله إلى غير أهله وإن عظم قدره»[٢].

١٠- دعوته أهل العلم إلى تولي المناصب الدينية:

بيَّن الإمام الشوكاني -رحمه الله- أهمية قيام أهل العلم العارفين به المطلعين على أسراره بالمناصب الدينية، وأن بذلك صلاح العباد والبلاد حيث قال -رحمه الله-: «ولا أقول إن أهل العلم العارفين به، المطلعين على أسراره، يمنعون أنفسهم من المناصب الدينية، وكيف أقول بهذا وهذه المناصب إذا لم تربط بهم ضاعت، وإذا لم يدخل فيها الأخيار تتابع فيها الأشرار، وإذا لم يقم بها أهل العلم قام بها أهل الجهل، وإذا أدبر عنها أهل الورع أقبل إليها أهل الفجور، وكيف أقول هذا وأهل العلم هم المأمورون بالحكم بين الناس بالحق والعدل والقسط، وما أنزل الله وما أراهم الله القيام بين الناس بحججه، والتبليغ لأحكامه، وتذكيرهم بما أمرهم الله بالتذكير به، وإرشادهم إلى ما أرشدهم الله إليه، ولأهل القضاء والإفتاء ونحوها من هذه الأمور أوفر نصيب وأكبر حظ»[٣].

وقال -رحمه الله- في موضع آخر مبيناً ما يترتب على بعد أهل العلم والفضل والدين عن الملوك والسلاطين: «ولا يخفى على ذي عقل أنه لو امتنع أهل العلم والفضل والدين، عن مداخلة الملوك، لتعطلت الشريعة المطهرة لعدم وجود من يقوم

---

(١) أدب الطلب- الشوكاني ١٤٨

(٢) حلية طالب العلم -بكر بن عبد الله أبو زيد ٧٣ ط٥ دار العاصمة، الرياض ١٤١٥هـ.

(٣) أدب الطلب -الشوكاني ١٤٨.

بها، وتبدلت تلك المملكة الإسلامية بالمملكة الجاهلية في الأحكام الشرعية من ديانة ومعاملة، وعمَّ الجهل وطمّ، وخولفت أحكام الكتاب والسنة، جهاراً، ولا سيما من الملك، وخاصته، وأتباعه، وحصل لهم الغرض الموافق لهم، وخبطوا في دين الإسلام كيف شاؤوا، وخالفوه مخالفة ظاهرة، واستبيحت الأموال، واستحِلَّت الفروج، وعُطِّلَت المساجد والمدارس، وانتهكت الحرم، وذهبت شعائر الإسلام»[1].

وفي هذا درس للدعاة إلى الله وهو أن يكونوا مبادرين إلى كل عمل شرعي ينفع الله به العباد، خصوصاً من رأى في نفسه الأهلية والقدرة، فطالب العلم الداعي إلى الله على بصيرة بارز في الميدان دائماً حسب طاقته، بل يبرز في الوقت المناسب لنصر الحق والرد على خصوم الإسلام[2].

١١- بيانه -رحمه الله- للعالم ما ينبغي أن يكون عليه عند تعليمه للعباد.

حدد الإمام الشوكاني -رحمه الله- للعالم منهجاً مستقيماً يسير عليه في تعليمه للناس يستطيع من خلاله -بإذن الله- جذب قلوب الناس إليه، وإلى ما عنده من الخير فقال -رحمه الله-: «فالعالم المرتاض[3] بما جاءنا عن الشارع الذي بعثه الله تعالى متمماً لمكارم الأخلاق إذا أخذ نفسه في تعليم العباد، وإرشادهم إلى الحق، وجذبهم عن الباطل، ودفعهم عن البدع، والأخذ بحجزهم[4] عن كل مزلقة من

---

(١) رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين - محمد بن علي الشوكاني، دراسة وتحقيق: الدكتور حسن محمد الظاهر محمد ٧٤ ط١، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

(٢) انظر: مسؤولية طالب العلم- الشيخ عبد العزيز بن باز ١٤، ١٥.

(٣) ارتاض المهر: صار مُروَّضاً. القاموس المحيط-الفيروز آبادي، مادة (روض) ٨٣١.

(٤) الحُجز بالضم: معقد الإزار. القاموس المحيط -الفيروز آبادي، مادة (حجز) ٦٥٢.

المزالق ومدحضة[١] من المداحض بالأخلاق النبوية والشمائل المصطفوية الواردة في الكتاب العزيز والسنة المطهرة، فيسّر ولم يعسر، وبشر ولم ينفر وأرشد إلى ائتلاف القلوب واجتماعها، ونهى عن التفرق والاختلاف، وجعل غاية همه وأقصى رغبته جلب المصالح الدينية للعباد ودفع المفاسد عنهم، كان من أنفع دعاة المسلمين، وأنجع الحاملين، لحجج رب العالمين، وانجذبت له القلوب، ومالت إليه الأنفس، وتذلل له الصعب، وتسهل عليه الوعر، وانقلب له المتعصب منصفاً، والمبتدع متسنناً، ورغب في الخير من لم يكن يرغب فيه، ومال إلى الكتاب والسنة من كان يميل عنهما، وتردى بأثواب الرواية من كان متجلبباً بالرأي، ومشى في رياض الاجتهاد واقتطف من طيب ثمراته واستنشق من عابق[٢] رياحينه من كان معتقلاً في سجن التقليد، مكبلاً بالقيل والقال، مكتوفاً بآراء الرجال»[٣]. وفي هذا درس بليغ للدعاة إلى الله تعالى أن تكون دعوتهم واضحة على صراط مستقيم على منهج الكتاب والسنة، مع النصح للخلق، وطلب الخير لهم، وتحري جلب المصالح ودفع المفاسد، وفي هذا نجاح للدعوة -بإذن الله-.

---

(١) المدحضة: المزلة. القاموس المحيط -الفيروزآبادي، مادة (دحض) ٨٢٨..

(٢) عبق به الطيب: لزق به. انظر القاموس المحيط -الفيروز آبادي، مادة (عبق) ١١٧٠.

(٣) أدب الطلب - الشوكاني ١٦٣.

المطلب الثالث

دعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله- لطلاب العلم

تأتي أهمية دعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله- لطلاب العلم من كونهم مؤهلين لأن يكونوا علماء المسلمين -بإذن الله- الذين يبلغون عن الله دينه، ولأن طلاب العلم إذا بدؤوا في طلب العلم بمنهجية صحيحة فسيكون هذا سبباً -بتوفيق الله- في تحصيلهم للعلم على الوجه المطلوب.

وقد دعا الإمام الشوكاني -رحمه الله- طلاب العلم من خلال النقاط التالية:

١- دعوته طالب العلم إلى إصلاح النية في الطلب:

طلب العلم عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه، ولا بد في كل عبادة من إصلاح النية وإخلاصها لله تعالى مع المتابعة للنبي ﷺ حتى يتحقق القبول، قال تعالى: **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾**[1].

وقد نبه الإمام الشوكاني -رحمه الله- طالب العلم إلى إخلاص النية في طلب العلم فقال رحمه الله- :«فأول ما على طالب العلم أن يحسن نيته ويصلح طويته، ويتصور أن هذا العمل الذي قصد له، والأمر الذي أراده، هو الشريعة التي شرعها الله سبحانه لعباده، وبعث بها رسله، وأنزل بها كتبه، ويجرد نفسه عن أن يشوب ذلك بمقصد من مقاصد الدنيا، أو يخلطه بما يكدره من الإرادات التي ليست منه كمن يريد به الظفر بشيء من المال، أو يصل به إلى نوع من الشرف، أو البلوغ إلى رئاسة من رئاسات الدنيا، أو جاه يُحصِّله به، فإن العلم طيب لا يقبل غيره، ولا يحتمل الشركة»[2].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) أدب الطلب- الشوكاني ٢١، ٢٢.

وقال -رحمه الله- في موضع آخر: «إنه ينبغي لطالب العلم أن يطلبه كما ينبغي، ويتعلمه على الوجه الذي يريده الله منه، معتقداً أنه أعلى أمور الدين والدنيا، راجياً أن ينفع به عباد الله بعد الوصول إلى الفائدة منه»[١].

وقد صدق الإمام الشوكاني -رحمه الله- فإن العلم عبادة ومن شرط العبادة إخلاص النية لله تعالى، يقول تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء...﴾[٢][٣].

٢- حضه طالب العلم على الهمة العالية في طلب العلم

«من سجايا الإسلام التحلي بكبر الهمة ... ولا تغلط فتخلط بين كبر الهمة والكبر؛ فإن بينهما من الفرق كما بين السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع، كبر الهمة حلية ورثة الأنبياء، والكبر داء المرض بعلة الجبابرة البؤساء»[٤]

وقد حض الإمام الشوكاني -رحمه الله- طالب العلم على أن يكون طموحاً ذا همة عالية لا يرضى بالدُّون، فقال -رحمه الله-: «وينبغي لمن كان صادق الرغبة، قوي الفهم، ثاقب النظر، عزيز النفس، شهم الطبع، عالي الهمة، سامي الغريزة - ألاَّ يرضى لنفسه بالدون، ولا يقنع بما دون الغاية، ولا يقعد عن الجد والاجتهاد، المبلِّغَين له إلى أعلى ما يراد، وأرفع ما يستفاد»[٥]. وتحقيقاً لهذا الطموح فإن الإمام الشوكاني -رحمه الله- يدعو طالب العلم إلى أن يكون من أهل الطبقة الأولى في

---

(١) أدب الطلب -الشوكاني ١٤٨، ١٤٩.

(٢) سورة البينة، الآية: ٥.

(٣) انظر: حلية طالب العلم -بكر أبو زيد ٦.

(٤) انظر: المرجع السابق ٣٥.

(٥) أدب الطلب، الشوكاني ١١٣.

العلم بقوله: «فاحرص أيها الطالب على أن تكون من أهل الطبقة الأولى، فإنك إذا ترقيت من البداية التصورية[١]، إلى العلة الغائية[٢] التي هي أول الفكر وآخر العمل؛ كنت فرد العالم، وواحد الدهر، وقريع الناس، وفخر العصر ورئيس القرن، وأي شرف يساوي شرفك، أو فخر يداني فخرك وأنت تأخذ دينك عن الله وعن رسوله ﷺ لا تقلد في ذلك أحداً، ولا تقتدي بقول رجل، ولا تقف عند رأي، ولا تخضع لغير الدليل، ولا تعول على غير النقد، هذه والله رتبة تسمو على السماء، ومنزلة تتقاصر عندها النجوم»[٣].

وقد بين الإمام الشوكاني -رحمه الله- ما ينبغي لمن تصور الوصول إلى الطبقة الأولى وبين له المنهج الذي يسير عليه والعلوم التي يدرسها على وجه التفصيل[٤]، والداعية إلى الله تعالى أحوج الناس إلى أن يكون بالغاً في العلم غايته؛

---

(١) التصور عند المناطقة هو: إدراك الماهية من غير أن يحكم عليها بنفي أو إثبات، أو هو الإدراك الخالي عن الحكم. انظر: التعريفات- الشريف علي بن محمد الجرجاني، حققه وقدم له ووضع فهارسه: إبراهيم الأبياري ٨٣ ط٣ دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، والمعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية -د. جميل صليبا ٢٨١/١ ط دار الكتاب اللبناني، بيروت، ودار الكتاب المصري، القاهرة ب. ت. ط، وتسهيل المنطق -عبد الكريم بن مراد الأثري ٩، ط مطابع سجل العرب، ب. ت. ط.

(٢) العلة عند الأصوليين: ما يجب به الحكم، والعلة الغائية هي: التي يكون وجود الشيء لأجلها كالجلوس على السرير، فهي الغاية التي من أجلها وجد. المعجم الفلسفي- د. جميل صليبا ٩٥/٢، ٩٦، وانظر: التعريفات- الجرجاني ٢٠٢.

(٣) انظر: أدب الطلب -الشوكاني ١١٦.

(٤) انظر: المرجع السابق ١٢٢-١٣٨.

فإنه لا دعوة بلا علم. قال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾[١].

٣- دعوته طالب العلم إلى التمسك بالدليل وترك التعصب:

دعا الإمام الشوكاني -رحمه الله- طالب العلم إلى التمسك بالدليل واتباع الحق، ومعالجة نفسه على ذلك فقال -رحمه الله-: «وبالجملة فالأسباب المانعة من الإنصاف لا تخفى على الفطن، وفي بعضها دقة تحتاج إلى تيقظ وتدبر، وتتفق في كثير من الحالات لأهل العلم والفهم والإنصاف، فالمعيار الذي لا يزيغ: أن يكون طالب العلم مع الدليل في جميع موارده ومصادره، لا يثنيه عنه شيء ولا يحول بينه وبينه حائل، فإذا وجد في نفسه نزوعاً إلى غير ما هو المدلول عليه بالدليل الصحيح، وأدرك منها رغبة للمخالفة وتأثيراً لغير ما هو الحق، فليعلم عند ذلك أنه قد أصيب بأحد الأسباب السابقة من حيث لا يشعر، ووقع في محنة، فإن عرفها بعد التدبر فليجتنبها كما يجتنب العليل ما ورد عليه من الأمور التي كانت سبباً لوقوعه في المرض، وإن خفيت عليه العلة التي حالت بينه وبين اتباع الحق، فليسأل من له ممارسة للعلم ومعرفة بأحوال أهله، كما يسأل المريض الطبيب إذا لم يعرف علته ولا اهتدى إليها»[٢].

٤- دعوته طالب العلم إلى النظر في كتب العلماء المشهورين بالإنصاف:

دعا الإمام الشوكاني -رحمه الله- طالب العلم إلى أن ينظر في كتب العلماء المشهورين بالإنصاف البعيدين عن التعصب وبين له فائدة ذلك بقوله: «ولا بأس أن ينظر طالب الحق في كتب العلماء المشهورين بالإنصاف، الذين لم يتعصبوا لمذهب

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٢) أدب الطلب -الشوكاني ٨٢ بتصرف.

من المذاهب، ولا انتسبوا إلى عالم من العلماء، فإنه يستفيد بمطالعة مؤلفات المصنفين كيفية العمل عند التعارض، ويهتدي إلى مواقع الترجيح ومواطن ما يحق من الاجتهاد على الوجه المطابق»[١]. وهذا من حرص الإمام الشوكاني -رحمه الله- على اجتناب طالب العلم للتعصب فإن من لا ينظر إلا في كتب مذهبه وعلماء بلده يكون نظره قاصراً وتحمله للنقاش ضعيفاً.

٥- تحذيره -رحمه الله- طالب العلم من الاغترار بمن يشنع على المجتهد بكونه خالف المذهب:

قال -رحمه الله- :«وأعظم ما يتمسكون به (يعني أصحاب الحيل) من التغرير على العوام، والتزوير على الملوك ومن يقدر على القيام بنصرهم، استكثارهم من قولهم: هذا خالف المذهب، فعل كذا قال كذا، ولم يخالف في الواقع إلا الطاغوت، ولا نصر إلا الشرع. فليحذر طالب العلم من الاغترار بمثل ذلك والروعة منه، فإن العاقبة للمتقين، والله ناصر المحقين والأعمال بالنيات»[٢].

٦- تحذيره طالب العلم من الاغترار بحيل الفقهاء:

حذر الإمام الشوكاني -رحمه الله- طالب العلم من الاغترار بحيل الفقهاء، ودعاه إلى أن يكون على بصيرة منها فقال: «وجميع هذه الحيل التي دوَّنها أهل الرأي هي ضد لما شرعه، وعناد له، ومراوغة لأحكامه، ومجادلة باطلة لما جاء في كتابه وسنة رسوله ﷺ ... فتدبر هذا وتأمله؛ لتكون على حذر من نفاق ما جاؤوا به من الحيل الباطلة عندك، وإلا كنت كالبهيمة التي لا تمنع ظهرها من راكب ولا تستعصي على مستعمل»[٣].

---

(١) أدب الطلب - الشوكاني ١٠٥.

(٢) انظر: المرجع السابق ١٧٨، ١٧٩.

(٣) انظر: المرجع السابق ١٦٩-١٧٢.

٧- تحذير الإمام الشوكاني -رحمه الله- طالب العلم من الاغترار بالرافضة:[1]

حذر الإمام الشوكاني -رحمه الله- طالب العلم من الاغترار بالرافضة، وبيَّن له مكرهم، وحيلهم، وتسلطهم عند تمكنهم فقال -رحمه الله-: «وبالجملة فإذا رأيت رجلاً قد انتهى به الرفض إلى ذم السلف الصالح والوقيعة فيهم -وإن كان ينتمي إلى غير مذهب الإمامية- فلا تشك في أنه مثلهم فيما قدمنا لك، وجَرِّب هذا إن كنت ممن يفهم، فقد جربناه وجربه من قبلنا، فلم يجدوا رجلاً رافضياً يتنزه عن شيء من محرمات الدين كائناً ما كان، ولا تغتر بالظواهر، فإن الرجل قد يترك المعصية في الملأ ويكون أعفَّ الناس عنها في الظاهر، وهو إذا أمكنته فرصة انتهزها انتهاز من لا يخاف نارا ولا يرجو جنة»[2].

وقد نصح الإمام الشوكاني -رحمه الله- لطالب العلم حيث حذره من الاغترار بالرافضة فإن أهل العلم قد حذروا من أخذ العلم عنهم «قال مالك -رحمه الله: «لا يؤخذ العلم عن أربعة وذكر منهم: صاحب بدعة يدعو إلى هواه»[3].

«فيا أيها الطالب إذا كنت في السعة والاختيار؛ فلا تأخذ عن مبتدع... وهكذا فإنك لن تبلغ مبلغ الرجال صحيح العقد في الدين متين الاتصال بالله، صحيح النظر تقفو الأثر إلا بهجر المبتدعة وبدعهم»[4].

وهكذا يتبين حرص الإمام الشوكاني -رحمه الله- على دعوة طلاب العلم وأن

---

(١) سبق التعريف بهذه الفرقة في ص٣٩ من الرسالة

(٢) أدب الطلب -الشوكاني ٩٠.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء -الذهبي ٦٩/٨.

(٤) انظر: حلية طالب العلم -بكر أبوزيد ٤٠.

أهم القضايا التي دعا إليها الدعوة إلى إصلاح النية في طلب العلم، والهمة العالية في الطلب، ثم التمسك بالدليل وترك التعصب المذهبي، والحذر من الاغترار بالرافضة ومن كان على شاكلتهم من أهل البدع.

وهذه الموضوعات ينبغي أن تكون من صميم موضوعات الدعوة التي يدعو إليها الدعاة إلى الله تعالى، وأن يهتموا بها في دعوتهم فإن الحاجة إليها قائمة في كل زمان ومكان. والله المستعان.

المبحث الثاني
قضايا الدعوة عند الإمام الشوكاني -رحمه الله-.

المطلب الأول: الدعوة إلى التوحيد والتحذير من ضده.
المطلب الثاني: الدعوة إلى جلب المصالح ودفع المفاسد.
المطلب الثالث: الدعوة إلى تقويم السلوك.
المطلب الرابع: الدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد.

المطلب الأول

الدعوة إلى التوحيد والتحذير من ضده

التوحيد: أول واجب على العبيد وهو الذي بعث الله عز وجل من أجله الرسل -عليهم السلام- وأنزل لتحقيقه الكتب، قال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء...﴾[1].

«وأعظم ما أمر الله به التوحيد، وهو: إفراد الله بالعبادة. وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو: دعوة غيره معه. والدليل قوله تعالى:﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾[2]»[3].

لذا فلا عجب أن يكون الإمام الشوكاني -رحمه الله- مهتماً بالدعوة إلى التوحيد والتحذير من ضده وهو الشرك بالله تعالى.

ومما ذكره الإمام الشوكاني -رحمه الله- في هذا الجانب قوله -رحمه الله-: «ومن هذا القبيل المسائل المدونة في علم الكلام المسمى بأصول الدين، فإن غالب أدلتها متعارضة، ويكفي المتقي المتحري لدينه، أن يؤمن بما جاءت به الشريعة إجمالاً من دون تكلف لقائل ولا تعسف لقال وقيل.

وقد كان هذا المسلك القويم هو مسلك السلف الصالح من الصحابة -رضي الله عنهم-، والتابعين -رحمهم الله-، فلم يكلف الله أحداً من عباده أن يعتقدوا أنه جل جلاله متصف بغير ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ.

---

(١) سورة البينة، الآية: ٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٣) ثلاثة الأصول والقواعد الأربع - الإمام محمد بن عبد الوهاب، راجعه وقابله على أصوله مجموعة من الأساتذة٨، ط. إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٣هـ-١٩٩٢م ب.ط.

ومن زعم أن الله سبحانه تعبَّد عباده بأن يعتقدوا أن صفاته الشريفة كائنة على الصفة التي يختارها طائفة من طوائف المتكلمين، فقد أعظم على الله الفِرْية، بل كلف عباده أن يعتقدوا أنه **﴿ليس كمثله شيء﴾**[١] وأنهم **﴿لا يحيطون به علماً﴾**[٢][٣].

وقال -رحمه الله- في موضع آخر مبيناً خطر الشرك، وعبادة القبور مما هو مضاد للتوحيد ومناقض له: «وعند ذلك يتبين لكل من له فهم ما في رفع القبور من الفتنة العظيمة لهذه الأمة ومن المكيدة البالغة التي كادهم الشيطان بها، وقد كاد بها من كان قبلهم من الأمم السالفة، كما حكى الله سبحانه وتعالى ذلك في كتابه العزيز، وكان أول ذلك في قوم نوح-عليه السلام- قال الله سبحانه: **﴿قال نوح ربِّ إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً...﴾**[٤] «وكانوا قوماً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم. فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٣) كشف الشبهات عن المشتبهات -محمد بن علي الشوكاني، خرج أحاديثه وعلق عليه:خالد ابن عبد اللطيف السبع ١١٩ ضمن الرسائل السلفية، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٤) سورة نوح، الآية: ٢١.

يسقون المطر، فعبدوهم ثم عبدتهم العرب بعد ذلك»[(١)]، وفي الحديث عن أبي الهياج الأسدي[(٢)] قال: «قال لي علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألاَّ تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سوَّيتَه»[(٣)].

وفي هذا أعظم دلالة على أن تسوية كل قبر مشرف بحيث يرتفع زيادة على القدر المشروع واجبة متحتمة»[(٤)].

وقد اعتنى الشوكاني -رحمه الله- بدعوة الناس إلى تصحيح توحيد الألوهية عناية بالغة وأولاه اهتماماً كبيراً، ويكفي مما يدل على اهتمامه وعنايته به: أنه ألف عدة رسائل يبين فيها معنى هذا التوحيد، وما يناقضه من الشركيات، وأسبابها، وفتنها وخاصة شركيات القبوريين، ويبدي ويعيد في ذلك بعبارات متنوعة وأساليب مختلفة.

فعند حديث الإمام الشوكاني -رحمه الله- عن الحكمة من إرسال الرسل

---

(١) أخرجه ابن جرير عن محمد بن قيس بدون زيادة «ثم عبدتهم العرب بعد ذلك»، تفسير القرآن العظيم -الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير، كتب هوامشه وضبطه: حسين بن إبراهيم زهران ٦٦٧/٤ ط دار الفكر، بيروت -لبنان، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م ب. ط.

(٢) حيان بن حصين أبو الهياج الأسدي الكوفي، روى عن علي وعمار، وعنه ابناه جرير ومنصور وأبو وائل والشعبي، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال العجلي: تابعي ثقة وقد قال ابن عبد البر:كان كاتب عمار رضي الله عنه، انظر:تذكرة الحفاظ-الذهبي ٦٧/٣

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الجنائز، باب: الأمر بتسوية القبر٦٦٦/٢ رقم٩٦٩.

(٤) انظر: شرح الصدور في تحريم رفع القبور -محمد بن علي الشوكاني، تحقيق وتخريج: محمد صبحي حسن حلاق ٢٤-٢٨، ط١، دار الهجرة للنشر والتوزيع، صنعاء ١٤١٠هـ-١٩٨٩م..

-عليهم الصلاة والسلام- يقول -رحمه الله-: «اعلم أن الله لم يبعث رسله، ولم ينزل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم والرازق لهم، ونحو ذلك، فإن هذا يُقرُّ به كل مشرك قبل بعثة الرسل-عليهم السلام-: ﴿**ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله...**﴾[١]، ولهذا نجد كل ما ورد في الكتاب العزيز في شأن خلق الخلق ونحوه في مخاطبة الكفار معنوناً باستفهام التقرير: ﴿**هل من خالق غير الله**﴾[٢] ﴿**أفي الله شك فاطر السموات والأرض...**﴾[٣]، بل بعث الله رسله وأنزل كتبه لإخلاص توحيده وإفراده بالعبادة، ﴿**يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**﴾[٤] ﴿**ألا تعبدوا إلا الله...**﴾[٥].

وإخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله، والنداء، والاستغاثة، والرجاء، واستجلاب الخير، واستدفاع الشر له ومنه، لا لغيره ولا من غيره ﴿**فلا تدعوا مع الله أحداً**﴾[٦].

وقد تقرر أن شرك المشركين الذين بعث الله إليهم خاتم رسله ﷺ لم يكن باعتقادهم أن الأنداد التي اتخذوها تنفعهم وتضرهم وتقربهم إلى الله، وتشفع لهم عنده. مع اعترافهم بأن الله سبحانه هو خالقها وخالقهم، ورازقها ورازقهم، ومحييها

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٧.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣.

(٣) سورة إبراهيم ،الآية: ١٠.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

(٥) سورة هود، الآية: ٢.

(٦) سورة الجن، الآية: ١٨.

ومحييهم، ومميتها ومميتهم ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾[(١)].

حتى إن المشركين كانوا يقولون في تلبيتهم: «لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»[(٢)]، وقال -رحمه الله- عند بيانه حكم من اعتقد في مخلوق أنه يضر أو ينفع من دون الله: «وإذا تقرر هذا، فلا شك أن من اعتقد في ميت من الأموات، أو حي من الأحياء أنه يضره أو ينفعه، إما استقلالاً أو مع الله تعالى، أو ناداه أو توجّه إليه أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق، فلم يخلص التوحيد لله ولا أفرده بالعبادة»[(٣)].

ومما يدل على عناية الإمام الشوكاني -رحمه الله- بتوحيد الألوهية: «أنه ما مر بآية من الآيات التي تتحدث عن التوحيد، أو دلائله، أو ما يناقضه من الشرك، إلا وهو يبين معناها بياناً تفصيلياً، ويوضح مقصودها توضيحاً شافياً»[(٤)].

ومن الأمثلة على ذلك:

١- قوله رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾[(٥)]، قال -رحمه الله-: «وقوله ﴿وإلهكم إله واحد﴾ فيه الإشارة إلى التوحيد وقطع علائق الشرك، والإشارة إلى أن أول ما يجب بيانه ويحرم كتمانه هو أمر التوحيد»[(٦)].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣.

(٢) انظر: الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد -الشوكاني ٦٥-٦٨.

(٣) المرجع السابق ٦٩.

(٤) منهج الإمام الشوكاني في العقيدة -د. عبد الله نومسوك ٢٧٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.

(٦) فتح القدير -الشوكاني ١٦٢/١.

٢- قوله -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى...﴾[١] الآية.

قال -رحمه الله-: «وجملة ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ مستأنفة مقرِّرة لما قبلها من الأمر بالإخلاص: أي إن الدين الخالص من شوائب الشرك وغيره هو لله، وما سواه من الأديان فليس بدين الله الخالص الذي أمر به... ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ لما أمر سبحانه بعبادته على وجه الإخلاص وأن الدين الخالص له لا لغيره بين بطلان الشرك الذي هو مخالف للإخلاص»[٢]. ومما يدل على اهتمام الإمام الشوكاني -رحمه الله- بالتوحيد الصحيح والتحذير من ضده تنديده بمن نادى غير الله حيث قال في تعليقه على حديث «إن الرقى[٣] والتمائم[٤] والتولة[٥]

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣.

(٢) فتح القدير -الشوكاني ٤/٤٤٩.

(٣) الرقية: العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى، والصرع، وغير ذلك من الآفات. النهاية في غريب الحديث والأثر -ابن الأثير، مادة (رقى) ٢/٢٥٤. وانظر: كتاب التوحيد -الإمام محمد بن عبد الوهاب، حققه وعلق عليه فضيلة الشيخ عبد القادر الأرنؤوط ٤٢ ط دار السلام، الرياض، ١٤١٣هـ ب.ط.

(٤) التمائم جمع تميمة، وهي: خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم، فأبطلها الإسلام. النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير، مادة (تمم) ١/١٩٧. وانظر: كتاب التوحيد -الإمام محمد بن عبد الوهاب ٤١.

(٥) التِّوَلة -بكسر التاء وفتح الواو- ما يحبِّبُ المرأةَ إلى زوجها من السحر وغيره. النهاية في غريب الحديث والأثر -ابن الأثير، مادة (تول) ١/٢٠٠. وانظر: كتاب التوحيد -الإمام محمد بن عبد الوهاب ٤٢.

شرك»[١].

«فانظر كيف جعل الرُّقى والتمائم والتولة شركاً، وما ذلك إلا لكونها مظنة لأن يصحبها اعتقاد أن لغير الله تأثيراً في الشفاء من الداء، وفي المحبة والبغضاء، فكيف بمن نادى غير الله، وطلب منه ما لا يطلب إلا من الله، واعتقد استقلاله بالتأثير، أو اشتراكه مع الله عز وجل»[٢].

وما من شك في أن أعظم قضية يجب على الداعية الدعوة إليها، والعناية بها، قضية الدعوة إلى التوحيد، والتحذير من ضده؛ لأن بذلك نجاة الناس، وقبول سائر أعمالهم.

ومما يدل على عظم شأنها وأنها أول ما يدعى إليه قوله ﷺ لمعاذ بن جبل[٣]

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الطب، باب: في تعليق التمائم، صحيح سنن أبي داود - محمد ناصر الدين الألباني ٧٣٥/٢ رقم ٣٢٨٨ ، ط١ مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م توزيع: المكتب الإسلامي، بيروت، وأخرجه ابن ماجه في كتاب: الطب، باب: في تعليق التمائم، صحيح سنن ابن ماجه - محمد ناصر الدين الألباني - ٢٦٩/٢ رقم٢٨٤٥، ط٣ مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، توزيع: المكتب الإسلامي، بيروت.

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد - الشوكاني ٣٣.

(٣) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، وكان يكنى أبا عبد الرحمن، وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان عمره لما أسلم ثماني عشرة سنة.

أرسله رسول الله ﷺ إلى اليمن، فلم يزل حتى توفي رسول الله ﷺ. توفي في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة -رضي الله عنه ورحمه-.

انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة - ابن الأثير الجزري، تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم البنا، وآخران ١٩٤/٥-١٩٧، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ب.ت.ط.

-رضي الله عنه- لما بعثه إلى اليمن: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله...»[1] الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، ٢/١٥٢ رقم١٤٥٨، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/٥٠، ٥١ رقم١٩.

المطلب الثاني

الدعوة إلى جلب المصالح ودفع المفاسد

«هذا الأصل العظيم، والقاعدة العامة يدخل فيها الدين كله، فكله مبني على تحصيل المصالح في الدين والدنيا والآخرة، وعلى دفع المضار في الدين والدنيا والآخرة، ما أمر الله بشيء إلا وفيه من المصالح مالا يحيط به الوصف، وما نهى عن شيء إلا وفيه من المفاسد ما لا يحيط به الوصف»[١].

وقد أكد الإمام الشوكاني-رحمه الله- على هذه القاعدة العظيمة في أكثر من مؤلَّف، واعتنى بالدعوة إليها وتقريرها.

فقد قال -رحمه الله- متحدثاً عن بناء الشريعة على جلب المصالح ودفع المفاسد: «فمنها أن يعلم أن هذه الشريعة المطهرة السهلة السمحة مبنية على جلب المصالح ودفع المفاسد، ومن تتبع الوقائع الكائنة من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- والقصص المحكية في كتب الله المنزلة علم ذلك علماً لا يشوبه شك، ولا تخالطه شبهة»[٢]، ولم يكتف الإمام الشوكاني -رحمه الله- بهذا التقرير بل ساق أمثلة واقعية من السنة تبين هذه القاعدة وتدل عليها، فقال -رحمه الله-: «وقد وقع ذلك من نبينا ﷺ وقوعاً لا ينكره من له أدنى علم بالشريعة المطهرة، فإنه ﷺ لما تبين له نفاق بعض المنافقين، واستحقاقه للقتل بحكم الشرع قال: «لا يتحدث الناس

---

(١) رسالة في القواعد الفقهية - عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ١٣٢، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المجلد الأول، ط٢ مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، المملكة العربية السعودية ط ١٤١٢هـ.

(٢) أدب الطلب - الشوكاني ١٥٩.

بأن محمداً يقتل أصحابه»[1]، فترك قتله؛ لجلب مصلحة هي أتم نفعا للإسلام وأكثر عائدة على أهله، ودفع مفسدة هي أعظم من المفسدة الكائنة بترك قتله، وبيان ذلك من أعظم المنفِّرات لأهل الشرك عن الدخول في الدين؛ لأنه يصد أسماعهم بذلك الحديث،فيظنون عنده أن ما يعتقدونه من السلامة من القتل بالدخول في الإسلام غير صحيح، فيهربون منه هرباً شديداً، ويبعدون عنه بعداً عظيماً.

وهكذا وقع منه ﷺ التأثير لجماعة ممن لم تثبت قدمه في الإسلام بغنائم (حنين) كأبي سفيان،[2] والأقرع بن حابس،[3]وعيينة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ سورة المنافقون، الآية:٦. ٦/٧٧، ٧٨ رقم ٤٩٠٥. صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري، ط١ دار الفكر ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٢) صخر بن حرب بن أمية أبو سفيان القرشي الأموي، مشهور باسمه وكنيته، وهو والد معاوية، أسلم عام الفتح، وشهد حنيناً، والطائف، وكان من المؤلَّفة، وكان قبل ذلك رأس المشركين يوم أحد، ويوم الأحزاب، وتزوج النبي ﷺ ابنته أم حبيبة، قبل أن يسلم. مات لست خلون من خلافة عثمان -رضي الله عنه-، وقيل غير ذلك -رحمه الله ورضي عنه-. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيني ٥/١٢٧، ١٢٩، ط مكتبة ابن تيمية، القاهرة ١٤١١هـ-١٩٩١م. ب.ط.

(٣) الأقرع بن حابس التميمي وفد على النبي ﷺ، وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف، وهو من المؤلَّفة قلوبهم، وقد حسن إسلامه. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر ١/٩١، ٩٢ وانظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب -أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: د. طه محمد الزيني ١/١٩٣، ١٩٤ ط ابن تيمية، القاهرة ١٤١١هـ ١٩٩١م، ب.ط. مطبوع مع الإصابة في تمييز الصحابة.

ابن حصن[١] [٢] -رضي الله عنهم- فكان يعطي الواحد من هؤلاء وأمثالهم المائة من الإبل وما يقوم مقام ذلك، والمهاجرون والأنصار الذين هم المقاتلة المستحقون للغنيمة ينظرون إلى ذلك التأثير، ووقع في أنفسهم ما وقع، حتى قال قائلهم: يرحم الله رسول الله، يُعطي هؤلاء وسيوفنا تقطر من الدماء. فلما علموا ما أراده النبي ﷺ من المصلحة العائدة على الإسلام وأهله بتأليف مثل هؤلاء وتأثرهم بالغنيمة قبلوه أتم قبول، وطابت أنفسهم أكمل طيبة[٣]... وهكذا وقع منه ﷺ النهي عن تلقيح

---

(١) عيينة بن حصن بن حذيفة يكنى أبا مالك أسلم بعد الفتح، وقيل: أسلم قبل الفتح، وشهد الفتح مسلماً، وكان من المؤلفة قلوبهم، ومن الأعراب الجفاة، وكان ممن ارتد وتبع طليحة الأسدي، وقاتل معه، فأُخِذ أسيراً وحُمِلَ إلى أبي بكر -رضي الله عنه- فأسلم فأطلقه أبوبكر. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة -ابن الأثير ٣٣١/٤.

(٢) أخرجه مسلم بلفظ: «أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، كل إنسان منهم مائة من الإبل...الحديث» في كتاب: الزكاة باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي منهم ٧٣٧/٢، ٧٣٨ رقم١٠٦٠.

(٣) أخرجه البخاري بلفظ: «قالت الأنصار يوم فتح مكة -وأعطى قريشاً-: والله إن هذا لهو العجب، إن سيوفنا لتقطر من دماء قريش، وغنائمنا تُرد عليهم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فدعا الأنصار، قال فقال: «مالذي بلغني عنكم؟» -وكانوا لا يكذبون- فقالوا: هو الذي بلغك. قال: «أولا ترضون أن يرجع الناس بالغنائم إلى بيوتهم، وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم؟ لو سلكت الأنصار وادياً أو شِعباً لسلكت وادي الأنصار أو شِعبهم» في كتاب: مناقب الأنصار، باب: مناقب الأنصار وقول الله عزوجل: ﴿والذين آووا ونصروا﴾ سورة الأنفال، الآية: ٧٤، ٢٦٧/٤، ٢٦٨ رقم٣٧٧٨، ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلَّفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه ٧٣٣/٢-٧٣٦ رقم١٠٥٩.

النخل فلما تبين له ما في ذلك من المصلحة لأهله أذن لهم به"[1]، وكم يعد العاد من هذه الأمور.

وبالجملة، فكل ما وقع من النسخ والتخصيص والتقييد في هذه الشريعة المطهرة فسببه جلب المصالح أو دفع المفاسد، فإن كل عالم يعلم أن نسخ الحكم بحكم آخر يخالفه لم يكن إلا لما في الناسخ من جلب مصلحة، أو دفع مفسدة زائدة على ما في الأول من النفع والدفع. وهكذا بالتقييد كما وقع في قوله تعالى: ﴿لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر﴾[2]، وقوله عز وجل: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾[3]ونحو ذلك كثير جداً، وكان ﷺ يرشد إلى الألفة واجتماع الأمر، وينفر عن الفرقة والاختلاف؛ لما في الألفة والاجتماع من الجلب للمصالح، والدفع للمفاسد، وفي الفرقة والاختلاف عكس ذلك»[4].

وقد بين الإمام الشوكاني -رحمه الله- فائدة أخذ العالم الرباني بهذه القاعدة

---

(١) أخرجه مسلم بلفظ: «أن النبي ﷺ مرَّ بقوم يلقِّحون. فقال: «لو لم تفعلوا لصلح» قال فخرج شيصاً* فمرَّ بهم فقال «ما لنخْلكم؟» قالوا: قلت كذا وكذا. قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم» في كتاب: الفضائل، باب: وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي ١٨٣٦/٤ رقم٢٣٦٣.

* الشيص: التمر الذي لايشتد نواه ويقوى، وقد لايكون له نوىً أصلاً. النهاية في غريب الحديث والأثر- ابن الأثير، مادة (شيص) ٥١٨/٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٤) انظر: أدب الطلب- الشوكاني ١٥٩-١٦٣.

الجليلة وتطبيقها في تعليم الناس فقال -رحمه الله-: «فالعالم المرتاض[١] بما جاءنا عن الشارع الذي بعثه الله تعالى متمماً لمكارم الأخلاق إذا أخذ نفسه في تعليم العباد وإرشادهم إلى الحق، وجذبهم عن الباطل ودفعهم عن البدع، والأخذ بحجزهم[٢] عن كل مزلقة من المزالق ومدحضة[٣] من المداحض بالأخلاق النبوية والشمائل المصطفوية الواردة في الكتاب العزيز والسنة المطهرة فيسّر ولم يعسر، وبشر ولم ينفر، وأرشد إلى ائتلاف القلوب واجتماعها، ونهى عن التفرق والاختلاف، وجعل غاية همه وأقصى رغبته جلب المصالح الدينية للعباد، ودفع المفاسد عنهم، كان من أنفع دعاة المسلمين، وأنجع الحاملين لحجج رب العالمين، وانجذبت له القلوب، ومالت إليه الأنفس، وتذلل له الصعب، وتسهّل عليه الوعر، وانقلب له المتعصب منصفاً، والمبتدع متسنناً، ورغّب في الخير من لم يرغب فيه، ومال إلى الكتاب والسنة من كان يميل عنهما، وتردى بأثواب الرواية من كان متجلبباً بالرأي، ومشى في رياض الاجتهاد واقتطف من طيّب ثمراته واستنشق من عابق رياحينه من كان معتقلاً في سجن التقليد، مكبلاً بالقيل والقال، مكتوفاً بآراء الرجال»[٤].

وحتى يزيل الإمام الشوكاني -رحمه الله- ما قد يرد في أذهان البعض من استشكال حول تطبيق هذه القاعدة من قبل العالم الرباني وهل هو في جميع الأمور سواء منها ما ورد به الشرع أم لم يرد به الشرع؟ قال -رحمه الله- مجيباً عن هذا الإشكال: «قلت: لا أريد بما قدمته إلا ما لم يرد فيه نص يخصه، ولا اشتمل عليه

---

(١) سبق التعريف بها في ص١٠٨ من الرسالة.

(٢) سبق التعريف بها في ص١٠٨ من الرسالة.

(٣) سبق التعريف بها في ص١٠٩ من الرسالة.

(٤) أدب الطلب -الشوكاني ١٦٣.

عموم، ولا تناوله إطلاق، فحق على العالم المرشد للعباد الطالب للحق أن يستحضر ذلك فيرشد إليه ويهتم به ويدعو إليه.

وأما مواقع النصوص وموارد أدلة الكتاب والسنة ومواطن قيام الحجج، فلا جلب نفع ولا دفع ضر أولى من ذلك، وأقرب منه إلى الخير، وأولى منه بالبركة، فهو في الحقيقة مصالح مجلوبة ومفاسد مدفوعة، وإن قصرت بعض العقول عن إدراك ذلك، والإحاطة بكنهه، والوقوف على حقيقته، فمن قصورها أتيت، ومن ضعف إدراكها دهيت. ومن تدبر ذلك كل التدبر، وتأمله بحق التأمل، لم يخْفَ عليه، فإن كل جزئي من جزئيات الشريعة التي قام الدليل على طلبها والتعبد بها، للكل أو البعض، مطلقاً أو مقيداً، لا بد أن يشتمل على جلب مصلحة أو مصالح عرفها من عرفها وجهلها من جهلها. وكل جزئي من جزئيات الشريعة الواردة بالنهي عن أمر أو أمور لا بد أن يكون المنهي عنه مشتملاً على مفسدة أو مفاسد تندفع بالنهي عنها، ولمزيد التتبع وكثرة التدبر في ذلك مدخلية جليلة، لا سيما مع استحضار الاستعانة بالله والتوكل عليه والتفويض إليه»[١].

ويؤكد الإمام الشوكاني -رحمه الله- على هذه القاعدة فيقول: «والحاصل أن هذه الشريعة المطهرة من عرفها حق معرفتها، وجدها مبنية على جلب المصالح ودفع المفاسد، وقد كان هذا ديدن[٢] رسول الله ﷺ وهجيراه[٣] في جميع شؤونه لا ينكر ذلك إلا من لم يحظ من شريعته بطائل. فالعالم العامل والسلطان العادل والقاضي الفاضل، ينبغي لكل واحد منهم أن يكون تشييد هذا الأصل من أعظم ما يصح

---

(١) أدب الطلب- الشوكاني ١٦٣-١٦٤.

(٢) سبق التعريف بها في ص٤٨ من الرسالة.

(٣) هجيره: أي دأبه وشأنه. القاموس المحيط -الفيروز آبادي، مادة (هجر)٦٣٧.

إليه نظره»[١].

ومما يدل على فقه الإمام الشوكاني -رحمه الله- في هذه القاعدة وتطبيقاتها دعوته أهل العلم إلى الاتصال بالسلاطين لجلب المصالح ودفع المفاسد، أو حتى تقليلها فقال -رحمه الله-: «فالمتصل بهم من أهل المناصب الدينية، قد يغضي في بعض الأحوال عن شيء من المنكرات، لا لرضاً به، بل لكونه قد اندفع بسعيه ما هو أعظم منه، ولا يتم له ذلك إلا بعدم التشدّد فيما هو دونه، وهو يعلم أنه لو تشدد في ذلك الدّون، لوقع هو وذلك الذي هو أشد منه وأشنع وأفظع»[٢].

وقد جعل -رحمه الله- جلب المصالح ودفع المفاسد من جملة ما تجب فيه طاعة أولي الأمر «ومن جملة ما تجب فيه طاعة أولي الأمر: تدبير الحروب التي تدهم الناس، والانتفاع بآرائهم فيها، وفي غيرها من تدبير أمر المعاش، وجلب المصالح، ودفع المفاسد الدنيوية»[٣].

إن اعتناء الداعية بهذه القاعدة -قاعدة جلب المصالح ودفع المفاسد- من أعظم الأسباب في نجاح دعوته، وقبول الناس لها، وإقبالهم عليها، كما أن في العناية بها مراعاة لأحوال المدعويين، وتحرياً لما يناسبهم ، فجدير بالداعية أن تكون هذه القاعدة محل عنايته واهتمامه، وأن يفقهها ويعمل بها.

---

(١) وبل الغمام على شفاء الأوام - محمد بن علي الشوكاني ٢/٤٢٨ ط١ مكتبة ابن تيمية، القاهرة ١٤١٦هـ.

(٢) رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين -الشوكاني ٨٦.

(٣) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد -الشوكاني، ٤٢

المطلب الثالث

الدعوة إلى تقويم السلوك

المسلم متعبد بعبادات كثيرة منها: ما هو واجب ومنها: ما هو مسنون، والعبادة ليست منحصرة في جانب من جوانب الدين، بل هي عامة في كل ما يقوله المسلم ويعمله مما يرضي الله تعالى.

والمسلم في هذه الحياة مكلف بتكاليف شرعية يحسن به أن يراعي الآداب المرعية مع الابتعاد عما يخل باستقامته وصلاحه من المحرمات والمكروهات، والإمام الشوكاني -رحمه الله- اعتنى بالدعوة إلى هذا الجانب وهو جانب تقويم السلوك حتى تستقيم حياة المسلم ويفوز في الدنيا والآخرة ويسعد فيها وتحصل له الطمأنينة فإن الله جل وعلا يقول: ﴿**من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾[1].

وهذه الدعوة إلى تقويم السلوك تتمثل في عدة أمور منها:

١- دعوته إلى القيام بالفرائض وتكميلها بالنوافل.

٢- موقفه من آفة الغيبة.

٣- موقفه من قضية التكفير.

١- دعوته إلى القيام بالفرائض وتكميلها بالنوافل:

قيام المسلم بما افترضه الله عليه هو أحب شيء إلى الله والحرص على النوافل سبيل إلى زيادة هذه المحبة من الله لهذا العبد فعن أبي هريرة رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى قال: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي

---

(١) سورة النحل، الاية: ٩٧.

يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»[١].

أ) القيام بالفرائض:

قال الإمام الشوكاني -رحمه الله- في بيان هذا الأمر: «فإن الفرائض هي التي قال فيها النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ مما افترضته عليه» فإن هذا قد دل دلالة أوضح من شمس النهار أن التقرب بالفرائض أحب إلى الله من كل شيء»[٢].

«والفرائض الظاهرة كثيرة جداً يصعب حصرها، وتتعسر الإحاطة بها، وناهيك أن رأس الفرائض الظاهرة الجهاد»[٣].

وليست الفرائض مقصورة على فعل ما أوجبه الله على العبد، بل إن ترك المعاصي من أعظم الفرائض وفي هذا يقول -رحمه الله-: «اعلم أن من أعظم فرائض الله سبحانه ترك معاصيه التي هي حدوده التي من تعداها كان عليه من العقوبة ما ذكره الله سبحانه في كتابه العزيز، ولا خلاف أن الله افترض على العباد ترك كل معصية كائنة ما كانت، فكان ترك المعاصي من هذه الحيثية داخلاً تحت عموم قوله: «وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه»[٤]، بل دخول فرائض ترك المعاصي أولى من دخول فرائض الطاعات كما يدل عليه حديث: «إذا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: التواضع ٢٤٣/٨، ٢٤٤ رقم٦٥٠١.

(٢) قطر الولي على حديث الولي -الشوكاني ٤٢٢، ٤٢٣.

(٣) المرجع السابق، ٤٥٥.

(٤) الحديث السابق.

أمرتكم بأمر فأتوا منه ماستطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فلا تقربوه»[١][٢].

ب) المواظبة على النوافل:

المواظبة على النوافل من أسباب محبة الله لعبده كما في الحديث القدسي: «وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»[٣] وهي سبيل إلى رضوان الله وجنته، وإلى ترقيع الفرائض وتكميلها وقد نبه الإمام الشوكاني -رحمه الله- إلى هذه القضية وأولاها عنايته واهتمامه فقال -رحمه الله- مبيناً مفهوم النوافل: «والتقرب: التفعل وهو طلب القرب. والنوافل هي ما عدا الفرائض التي افترضها الله سبحانه على عباده من جميع أجناس الطاعات من صلاة وصيام وحج وصدقة وأذكار، وكل ما ندب الله سبحانه إليه ورغب فيه من غير حتم وافتراض.

وتختلف النوافل باختلاف ثوابها، فما كان ثوابه أكثر كان فعله أفضل. وتختلف أيضاً باختلاف ما ورد في الترغيب فيها: فبعضها قد يقع الترغيب فيه ترغيباً مؤكَّداً، وقد يلازمه ﷺ مع الترغيب للناس في فعله»[٤].

وبيَّن الإمام الشوكاني -رحمه الله- كثيراً من النوافل التي حض الشارع على فعلها ورغب فيها وهي نوافل متنوعة، منها: ما يتعلق بالزكاة، ومنها: ما يتعلق

---

(١) أخرجه مسلم بلفظ: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم»، في كتاب: الفضائل، باب: توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف، وما لا يقع، ونحو ذلك ٤/ ١٨٣٠ رقم١٣٣٧.

(٢) قطر الولي على حديث الولي -الشوكاني ٣٧١.

(٣) سبق تخريجه في ص١٢٢.

(٤) المرجع السابق ٣٨٢، ٣٨٣.

بالصيام ومنها ما يتعلق بالحج، وغير ذلك وهو -رحمه الله- يفصلها نوعاً نوعاً:

أ- نوافل الصلاة. فذكر من نوافل الصلاة المرغَّب فيها المؤكَّد في استحبابها: رواتب الفرائض، ومن النوافل المؤكدة: صلاة الليل مع الوتر في آخرها: وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قام رجل فقال: يارسول الله «كيف صلاة الليل؟ فقال رسول الله ﷺ: صلاة الليل مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة»[١].

ومن النوافل المؤكدة: صلاة الضحى، ومن النوافل المؤكدة: صلاة تحية المسجد، ومن النوافل المؤكدة: الصلاة عقب الوضوء، وغير ذلك من النوافل[٢] ثم بين -رحمه الله- جزاء من تقرب بهذه النوافل فقال: «والحاصل أن جميع التقرب إلى الرب عز وجل بنوافل الصلاة في جميع الأوقات من أحسن العبادات إلا في الأوقات المكروهات، فمن استكثر منها قرُبَ إلى الله بقدر ما فعل منها فأحبه، وليس بعد الظفر بمحبة الله سبحانه لعبده شيء»[٣].

ب- نوافل الصدقة:

قال -رحمه الله-: «وأما نوافل الصدقة فقد ورد فيها الترغيب العظيم، ولو لم يكن من ذلك إلا قول الله عز وجل: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الوتر، باب: ما جاء في الوتر ١٥/٢ رقم ٩٩٠، وأخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة الليل مثنى مثنى، والوتر ركعة من آخر الليل ٥١٦/١، ٥١٧ رقم ٧٤٩.

(٢) انظر: قطر الولي على حديث الولي -الشوكاني ٣٨٣-٣٨٩.

(٣) المرجع السابق ٣٨٩.

(٤) سورة سبأ، الآية: ٣٩.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»[١]...والأحاديث في الترغيب في الصدقة وعظيم أجرها كثير جداً»[٢].

ج- نوافل الصيام:

ذكر الإمام الشوكاني -رحمه الله- من نوافل الصيام المؤكدة صوم شهر الله المحرم وصوم ست من شوال وصوم عشر ذي الحجة[٣] ومن العشر يوم عرفة، وصوم شعبان. وساق لكل أيام ما ورد فيها من أحاديث عن المصطفى ﷺ تبين فضلها[٤]. ثم قال -رحمه الله- «ويكفي في مشروعية التنفل بالصيام حديث «الصوم لي وأنا أجزي به»[٥] وهو حديث صحيح»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: قول الله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾ سورة الليل، الآيات: ٥-١٠، اللهم أعط منفق مال خلفا ٢/١٤٧ رقم١٤٤٢، وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: في المنفق والممسك ٢/٧٠٠ رقم١٠١٠.

(٢) قطر الولي على حديث الولي -الشوكاني ٣٩٢-٣٩٤.

(٣) عشر ذي الحجة الذي يصام منها: تسع ذي الحجة، وأما صيام اليوم العاشر فيحرم صومه لأنه يوم عيد للمسلمين.

(٤) انظر: المرجع السابق ٣٨٩-٣٩٢.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: الصوم، باب: هل يقول إني صائم إذا شتم ٢/٢٧٩، ٢٨٠ رقم١٩٠٤، وأخرجه مسلم في كتاب: الصيام، باب: فضل الصيام ٢/٨٠٧ رقم١١٥١.

(٦) قطر الولي على حديث الولي -الشوكاني ٣٢٩.

د- نوافل الحج:

قال -رحمه الله-: «وأما نوافل الحج، فيكفي في ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه- قال: «سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قال: ثم ماذا؟ قال الجهاد في سبيل الله، قال: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور»[١]. وقد احتج به من فضل نفل الحج على نفل الصدقة»[٢].

وهذه النوافل المتعددة المتنوعة فرصة للمسلم؛ ليكمل بها ما نقص من أجر فريضته، ويتقرب من ربه فيظفر بمحبته له. وفيها زيادة الإيمان ودوام الصلة بالله عز وجل، وما أحوج الداعية إلى الله إلى الصلة بربه لتكون زاداً له في دعوته وليكون قدوة صالحة للمدعوين.

ومن أعظم ما يحصل للمتقرب بهذه النوافل: الاقتداء بالرسول ﷺ وأجر الاتباع له ﷺ.

٢- موقفه من آفة الغيبة:

الغيبة هي: «أن يذكر الإنسان في غيبته بسوء وإن كان فيه، فإذا ذكرته بما ليس فيه فهو من البهت والبهتان»[٣].

وقد بين ذلك النبي ﷺ بقوله لما سئل عن الغيبة: «ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: من قال إن الإيمان هو العمل، لقول الله تعالى: ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ سورة الزخرف، الآية:٧٢، ١/١٤ رقم٢٦، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ١/٨٨ رقم ١٣٥.

(٢) قطر الولي على حديث الولي - الشوكاني ٣٩٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير مادة (غيب) ٣/٣٩٩.

فيه ما تقول فقد بهته»[1].

قال الإمام النووي[2] -رحمه الله- «اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجَرُّ الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء»[3].

ولا شك أن الغيبة من الكلام الذي قد ظهرت مفسدته؛ ولذا فالإمساك عنها واجب شرعي، والوقوع فيها انتهاك لما حرم الله تعالى ورسوله ﷺ.

ولا تباح الغيبة إلا لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وقد ذكر الإمام النووي -رحمه الله- أسبابا ستة لإباحة الغيبة وناقشه فيها الإمام الشوكاني -رحمه الله- ولعل من المناسب أن تذكر هذه الأسباب الستة مجردة ثم مناقشة الشوكاني لها واحدة واحدة؛ ليعلم موقف الإمام الشوكاني من الغيبة وتحذيره الشديد من الوقوع فيها.

يقول الإمام النووي -رحمه الله: «اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الغيبة ٢٠٠١/٤ رقم٢٥٨٩.

(٢) يحيى بن شرف النووي، ولد سنة إحدى وثلاثين وستمائة بنوى، كان وهو ابن عشر سنين يُكرِهُه الصبيان على اللعب معهم، وهو يهرب منهم، وكان يقرأ كل يوم اثني عشر درساً على مشايخه شرحاً وتصحيحاً، وكان ورعاً زاهداً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، من مؤلَّفاته: شرح صحيح مسلم، ورياض الصالحين، والأذكار، وغيرها، توفي سنة ست وسبعين وستمائة. انظر: طبقات الشافعية الكبرى -تاج الدين السبكي ١٦٥/٥، ١٦٦ ط٢ دار المعرفة، بيروت -لبنان ب.ت.، وتذكرة الحفاظ -الذهبي ١٤٧٠/٤، ١٤٧٤.

(٣) رياض الصالحين -يحيي بن شرف النووي، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، ٥٦٩ ط٢٣ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أسباب:

الأول- التظلم، يجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية، أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان بكذا .

الثاني- الاستعانة على تغيير المنكر، وردِّ العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر، فلان يعمل كذا، فازجره عنه، ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حراماً.

الثالث- الاستفتاء، فيقول المفتي: ظلمني أبي، أو أخي، أو زوجي، أو فلان بكذا فهل له ذلك؟ وما طريقي في الخلاص منه، وتحصيل حقي، ودفع الظلم؟ ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكن الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص، أو زوج، كان من أمره كذا؟ فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين ومع ذلك، فالتعيين جائز كما سنذكره في حديث هند[1] إن شاء الله تعالى.

الرابع- تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه: منها جرح المجروحين من الرواة والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب للحاجة. ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان، أو مشاركته، أو إيداعه، أو معاملته، أو غير ذلك. أو مجاورته، ويجب على المشاور ألاَّ يخفي حاله، بل يذكر المساويء التي فيه بنية النصيحة، ومنها: إذا رأى متفقهاً يتردد إلى مبتدع، أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك، ويُلَبِّسَ الشيطان عليه ذلك، ويخيل إليه نصيحته

---

(١) هند بنت عتبة بن ربيعة امرأة أبي سفيان بن حرب، وهي أم معاوية -رضي الله عنهم- أسلمت في الفتح (فتح مكة) بعد إسلام زوجها، وأقرها رسول الله ﷺ على نكاحها. شهدت اليرموك، وحرضت على قتال الروم مع زوجها أبي سفيان، وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنهم جميعاً-. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة -ابن الأثير ٧/ ٢٩٢،٢٩٣.

فليتفطن لذلك.

ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها: إما بألاً يكون صالحاً لها، وإما بأن يكون فاسقاً، ومغفلاً، ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله، ويولي من يصلح، أو يعلم ذلك منه؛ ليعامله بمقتضى حاله، ولا يغتر به، وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس- أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة الناس، وأخذ المكس[١]، وجباية الأموال ظلماً، وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

السادس- التعريف، فإذا كان الإنسان معروفاً بلقب: كالأعمش، والأعرج والأصم، والأعمى، والأحول، وغيرهم، جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التنقص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى.

فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه، ودلائلها في الأحاديث الصحيحة مشهورة»[٢].

وقد ناقش الإمام الشوكاني -رحمه الله- هذه الأسباب بقوله: «تمهيداً للشروع في المقصود مستعيناً بالله، ومتوكلاً عليه، قبل التكلم عن هذه الصور، اعلم أنا قد قدمنا أن تحريم الغيبة ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، والصيغة الواردة في الكتاب والثابتة في السنة عامة عموماً شمولياً يقتضي تحريم الغيبة من كل فرد من أفراد المسلمين، لكل فرد من أفرادهم فلا يجوز القول بتحليل ذلك في موضع من المواضع

---

(١) المكس: النقص، والظلم، ودراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق الجاهلية. القاموس المحيط- الفيروزآبادي، مادة (مكس) ٧٤٢.

(٢) رياض الصالحين- النووي ٥٧٥-٥٧٧.

لفرد أو أفراد إلا بدليل يخصص هذا العموم، فإن قام الدليل على ذلك فبها ونعمت. وإن لم يقم فهو من التقول على الله بما لم يقل، ومن تحليل ما حرم الله بغير برهان من الله عز وجل»[١].

ثم شرع -رحمه الله- في الدخول في مناقشة هذه الأسباب بقوله:

«إذا عرفت هذا فاعلم أن الصورة الأولى من الصور التي ذكرها وهي جواز اغتياب المظلوم لظالمه قد دل على جوازها قول الله عز وجل: ﴿**لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم**﴾[٢].

فهذا الاستثناء قد أفاد جواز ذكر المظلوم للظالم بما يبين للناس وقوع الظلم له من ذلك الظالم، ورفع صوته بذلك والجهر به في المواطن التي يجتمع الناس بها، أما إذا كان يرجو منهم نصرته ودفع ظلامته، ورفع ما نزل به من ذلك الظالم، كمن له منهم قدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الولاة والقضاة وغيرهم، فالأمر ظاهر، وأما إذا كان لا يرجو منهم ذلك، وإنما أراد كشف مظلمته واشتهارها في الناس فظاهر الآية الكريمة: يدل على جوازه، لأنه لم يقيدها بقيد يدل على أنه لا يجوز الجهر بالسوء من القول إلا لمن يرجو منه النصرة ودفع المظلمة، وإن كان ماقدمنا من كلام النووي يفيد قصر الجواز على من يقدر على دفع الظلم. لكن الآية لا تدل على ذلك ولا تمنع ما عداه.

أما الصورة الثانية التي ذكرها النووي فيما قدمنا، وهي: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب، فاعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما من أعظم عمد الدين؛ لأن بهما حصول مصالح الأولى والأخرى. فإن كانا قائمين قام بقيامهما سائر الأعمدة الدينية، والمصالح الدنيوية وإن كانا غير قائمين لم يكثر

---

(١) رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة - الشوكاني١٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٨.

الانتفاع بقيام غيرهما من الأمور الدينية والدنيوية - ثم استطرد الإمام الشوكاني -رحمه الله- في توضيح هذا الأمر وفائدته والآثار المترتبة على تركه، ثم قال -رحمه الله-: «وإذا تقرر ذلك فاعلم أن هذا الذي رأى منكراً إن كان قادراً على تغييره بنفسه أو بالاستنصار بمن يمكن الاستنصار به، بأن يقول لجماعة المسلمين: في المكان الفلاني من يرتكب المنكر فهلموا إلي وقوموا معي حتى ننكره ونغيره، فليس به حاجة للغيبة التي هي جهد من لا جهد له، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان موجوداً في عباد الله فلا يحتاجون إلى تعيين فاعل المنكر وبيان أنه فلان بن فلان، فإن لم يكن فيهم ذلك الوازع الديني والغيرة الإسلامية فهم لا ينشطون إلى إجابته بمجرد التسمية والتعيين، إذ لا فرق في مثل هذا بين الإجمال والتعيين، اللهم إلا أن يكون سيف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كليلاً[(١)]، وعضده ضعيفاً عليلاً ضئيلاً، فإنهم قد ينظرون مع التسمية والتعيين في فاعل المنكر، فإن كان قوياً جليلاً تركوه، وإن كان ضعيفاً حقيراً قاموا إليه وغيروا ما هو عليه، وهذا هو غربة الدين العظيمة، ولكن في الشر خيار وبعضه أهون من بعض، فإن كانوا بمنزلة من ضعف العزيمة بحيث لا يقدرون إلا على الإنكار على المستضعفين المستذلين، فذلك فرضهم وليس عليهم سواه، وحينئذ لا بأس بالتغيير والغيبة، التي هي غاية ما يقدر عليه المستضعفون، ونهاية ما يتمكن منه العاجزون، والله ناصر دينه، ولو بعد حين، وجواز الغيبة في مثل هذا المقام، هو بأدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الثابتة بالضرورة الدينية التي لا يقوم بجنبها دليل لا صحيح ولا عليل...

وأما الصورة الثالثة: وهي جواز الغيبة للمستفتي فأقول: لا يخالف أن أدلة تحريم الغيبة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع كما قدمنا، فصار تحريمها من هذه

---

(١) كلّ السيف يكل كلالاً فهو كليل، إذا لم يقطع. النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير مادة (كلل) ٤/١٩٨.

الحيثية من قطعيات الشريعة، وليس في تسويغها إلا سكوته ﷺ عن الإنكار على هند -رضي الله عنها- لما قالت له: «إن أبا سفيان رجل شحيح»[١]، وهذا السكوت منه ﷺ عند سماع الغيبة من امرأة حديثة عهد بجاهلية لرجل حديث عهد بجاهلية، مع كونه في تلك الحال لم يكن قد ظهر منه ما يدل على خلوص إسلامه واستقامة طريقه، وإنما ظهر منه ذلك بعد وفاته ﷺ. فهذا التقرير بالسكوت الكائن على هذه الصفة في فعل هذه الحالة، بعد ثبوت تحريم الغيبة في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة، وعلم الصحابة -رضي الله عنهم- وإجماعهم عليه، لا ينبغي التمسك بمثله ولا يحل القول بصلاحيته للتخصيص لأن السامعين من المسلمين في تلك الحالة قد علموا تحريم الغيبة وتقرر عندهم حكمها، فلو لم يكن السكوت إلا لكون حكم الغيبة قد صار معلوماً واضحاً مشتهراً عندهم، لكان ذلك بمجرده قادحاً في الاستدلال به، وتخصيص الأدلة القطعية بمثله، وهذا على تقرير أن أبا سفيان لم يكن حاضراً في ذلك الموقف، فإن كان حاضراً -كما قيل- اندفع التعلق بسكوته ﷺ من الأصل، ومع هذا فلا ضرورة ملجئة للمستفتي إلى التعيين، حتى يقال: إنه لم يتم مطلوبه من الاستفتاء إلا بالتعيين، فإنه يحصل مطلوبه بالإجمال، لأن المقصود استفتاؤه الحكم الشرعي، وهي حاصلة بمعرفة ما يقوله المفتي مع الإجمال، كما يحصل معرفته بما يقول مع التفصيل والتعيين، وهنا مما لا شك فيه ولا شبهة، وبهذا تعرف أن هذه الصورة ليست من صور تخصيص تحريم الغيبة؛ لعدم انتهاض دليلها. يعرف ذلك كل عارف بكيفية الاستدلال.

وأما الصورة الرابعة: فقد جعلها النووي -رحمه الله في كلامه السابق على أقسام خمسة:

---

(١) الشح: أشد البخل، وهو أبلغ في المنع من البخل. النهاية في غريب الحديث والأثر -ابن الأثير مادة (شحح) ٢/٤٤٨.

القسم الأول: الجرح والتعديل للرواة والمصنفين والشهود، واستدل على جواز ذلك بل على وجوبه بالإجماع. وكلامه صحيح، واستدلاله بالإجماع واضح، فإنه ما زال سلف هذه الأمة وخلفها يجرحون من يستحق الجرح من رواة الشريعة، ومن الشهود على دماء العباد، وأموالهم وأعراضهم، ويعدلون من يستحق التعديل.

القسم الثاني: الإخبار بالغيبة عند المشاورة، ثم مشروعية المناصحة الثابتة بالتواتر، وهو من جملة حقوق المسلم على المسلم، كما ثبت في الصحيح وفيه «وإذا استنصحك فانصحه»[١].

ولكن ليس في هذا القسم من الضرورة الملجئة إلى التعيين ما في القسم الأول، فإنه يمكن القيام بواجب النصيحة بأن يقول الناصح: لا أشير عليك بهذا، أو لا تفعل كذا، أو نحو ذلك، وليس عليه من النصيحة زيادة على هذا ...

القسم الثالث: قوله:ومنها إذا رأيت من يشتري شيئاً معيباً أو عبدا سارقاً الخ.

أقول: هذا القسم أيضاً كالقسم الذي قبله لا يصح جعله من الصور المستثناة من تحريم الغيبة؛ لأن القيام بواجب النصيحة يحصل بمجرد قوله: لا أشير عليك بشراء هذا، أو نحو هذه العبارة، فله عن الدخول في خطر الغيبة منه مندوحة، وعن الوقوع في مضيقها سعة.

القسم الرابع قوله: ومنها: إذا رأيت متفقهاً يتردد إلى فاسق..الخ: أقول وهذا القسم أيضاً كالذي قبله لا يصح جعله من الصور المستثناة من تحريم الغيبة؛ لأن القيام بواجب النصيحة يحصل بالإجمال ولم يتعبد الله بالتفصيل وذكر المعائب والمثالب، بل يكفيه أن يقول: لا أشير عليك بمواصلة هذا، أو لا أرى لك الأخذ عنه أو نحو هذه العبارة، فالتصريح بما هو عليه فضول لم يوجبه الله عليه ولا طلبه منه.

---

(١) أخرجه مسلم بلفظ «وإذا استنصحك فانصح له» في كتاب: السلام، باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام ٤/١٧٠٤ رقم٢١٦٢.

القسم الخامس: قوله: ومنها أن يكون له ولاية...الخ، وهذا القسم أيضاً كالأقسام التي قبله لا يصح جعله من الصور المستثناة من تحريم الغيبة، لأنه إذا قال له: لا تستعمل هذا، أو لا أرى لك الركوب عليه، فقد فعل ما أوجبه الله عليه من النصيحة. والزيادة على هذا المقدار فضول، ليس لله فيه حاجة ولا للمنصوح ولا الناصح.

أما الصورة الخامسة: وهي ذكر المجاهر بالفسق بما جاهر به فأقول: إن كان المقصود بجواز ذكره بما جاهر به هو التحذير للناس، فقد دخل ذلك في الصورة الرابعة، وقد أوضحنا ما فيها... وإن كان المقصود بجواز ذكره بما جاهر به استعانة الذاكر على الإنكار عليه لمن يذكر له ذلك الذنب فهذه الصورة الثانية التي قدم النووي ذكرها، وقدمناالكلام عليها، فلا فائدة لجعلها صورة مستقلة...

وأما الصورة السادسة: وهي التعريف بالألقاب. فأقول: قد نهى عن ذلك القرآن الكريم قال عز وجل: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾[١].

وهذا النهي يدل على تحريم النبز باللقب ولا يجوز شيء منه إلا بدليل يخصص العموم، فقد اجتمع على المنع عن هذا دليلان قويان. أحدهما: أدلة تحريم الغيبة، والثاني: دليل تحريم النبز باللقب، فإن كان ذكر ذي اللقب بلقبه في غيبته كان الذاكر جامعاً بين تحريم الغيبة وتحريم التلقيب وإن كان ذكر ذي اللقب في وجهه كان الذاكر واقعاً في التلقيب المحرم»[٢].

اتضح من خلال كلام الإمام الشوكاني -رحمه الله- في هذه المسألة عنايته بالتحذير من آفة الغيبة، وبيان خطرها، وحرصه -رحمه الله- على التوقي منها ما أمكن ذلك، وتضييق نطاق المباح منها، ولما في حديثه عن جانب الأمر بالمعروف

---

(١) سرة الحجرات، الآية: ١١.

(٢) انظر: رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة - الشوكاني ١٤-٣٤.

والنهي عن المنكر من أهمية خصوصاً في الحالات التي تجوز فيها الغيبة عن القيام بهذا الواجب العظيم.

والواجب على الدعاة أن يجتنبوا هذه الآفة خصوصاً فيما بينهم، وفي حق العلماء والولاة؛ لأن الوقوع في غيبة هؤلاء تنفير للناس منهم، وتقليل من هيبتهم، وتزهيد في علم العلماء والدعاة ودعوتهم.

٣- موقفه من قضية التكفير:

«الكفر بالضم ضد الإيمان وكفر نعمة الله جحدها وسترها»[١].

«وأصل الكفر تغطية الشيء تغطية تستهلكه»[٢].

والكفر : ضد الإيمان، سمي بذلك لأنه تغطية للحق[٣].

«والكفر صنفان: أحدهما: الكفر بأصل الإيمان وهو ضده، والآخر الكفر بفرع من فروع الإسلام فلا يخرج به من أصل الإيمان»[٤].

«إن الحكم على الإنسان بالكفر حكم خطير له آثاره العظيمة، فلا يجوز لمسلم أن يقدم عليه إلا ببرهان واضح، ودليل ساطع»[٥].

وقد بين الإمام الشوكاني -رحمه الله- خطورة التكفير وخطر الوقوع فيه

---

(١) انظر: القاموس المحيط -الفيروزآبادي، مادة (كفر) ٦٠٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير، مادة (كفر) ١٨٧/٤.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة -ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، مادة (كفر) ١٩١/٥، ط٣ مكتبة الخانجي، مصر ١٤٠٢هـ- ١٩٨١م.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير، مادة (كفر) ١٨٦/٤.

(٥) الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة -عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ٢٦١ ط٢، مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ-١٩٩٢.

ووضح موقفه منه بجلاء ووضوح فقال -رحمه الله-:

«اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام، ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار، فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة -رضي الله عنهم- أن من قال لأخيه : يا كافر فقد باء بها أحدهما، هكذا في الصحيح[١]. وفي لفظ آخر: «من دعا رجلاً بالكفر، أوقال: عدو الله وليس كذلك إلا حار[٢] عليه»[٣]، أي رجع، وفي لفظ آخر: «فقد كفر أحدهما» ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر، وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير»[٤]

ويوضح الإمام الشوكاني -رحمه الله- أن الحكم بكفر أحد يتوقف على شرح صدره بالكفر وليس بمجرد الفعل الذي لا يريد به صاحبه الخروج عن الإسلام إلى ملة الكفر فيقول -رحمه الله-: «وقد قال الله عز وجل: ﴿ولكن من شرح بالكفر صدراً﴾[٥]، فلا بد من شرح الصدر بالكفر، وطمأنينة القلب به، وسكون النفس إليه،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: من كفَّر أخاه من غير تأويل فهو كما قال ١٢٦/٧ رقم٦١٠٣، ومسلم في كتاب: الإيمان باب: بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر ٧٩/١ رقم٦٠.

(٢) أي رجع إليه ما نسب إليه، النهاية في غريب الحديث والأثر -ابن الأثير مادة (حور) ٤٥٨/١.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم ٧٩/١ رقم٦١.

(٤) انظر: السيل الجرار -الشوكاني ٥٧٨/٤.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

فلا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشر، لا سيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام، ولا اعتبار بصدور فعل كفري لم يرِدْ به فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملة، ولا اعتبار بلفظ تلفظ به المسلم يدل على الكفر وهو لا يعتقد معناه»[١].

ويورد الإمام الشوكاني -رحمه الله- إشكالاً ربما يرد في أذهان بعض المسلمين، ويجيب عنه بما يراه الحق. فيقول: «فإن قلت: قد ورد في السنة ما يدل على كفر من حلف بغير ملة الإسلام، وورد في السنة المطهرة ما يدل على كفر من كفر مسلما كما تقدم، وورد في السنة المطهرة إطلاق الكفر على من فعل فعلاً يخالف الشرع كما في حديث: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[٢]، ونحوه مما ورد مورده، وكل ذلك يفيد أن صدور شيء من هذه الأمور يوجب الكفر وإن لم يرد قائله أو فاعله الخروج من الإسلام إلى ملة الكفر. قلت: إن ضاقت عليك سبل التأويل، ولم تجد طريقاً تسلكها في مثل هذه الأحاديث فعليك أن تُقرَّها كما وردت، وتقول من أطلق عليه رسول الله ﷺ اسم الكفر، فهو كما قال، ولا يجوز إطلاقه على غير من سماه رسول الله ﷺ من المسلمين كافراً إلا من شرح بالكفر صدراً، فحينئذ تنجو من معرة الخطر، وتسلم من الوقوع في المحنة، فإن الإقدام على ما فيه بعض البأس لا يفعله من يشح على دينه، ولا يسمح به فيما لا فائدة فيه، ولا عائدة، فكيف إذا كان يخشى على نفسه إذا أخطأ أن يكون في عداد من سماه رسول الله ﷺ كافراً، فهذا يقود إليه العقل فضلاً عن الشرع، ومع

---

(١) السيل الجرار - الشوكاني ٥٧٨/٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الديات، باب: قول الله تعالى: ﴿ومن أحياها﴾سورة المائدة، الآية :٣٢، ٤٥/٨ رقم٦٨٦٨ وفي كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» ١١٧/٨ رقم٧٠٧٧، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان معنى قول النبي ﷺ «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» ٨١/١، ٨٢ رقم٦٥، ٦٦.

هذا فالجمع بين أدلة الكتاب والسنة واجب، وقد أمكن هنا بما ذكرناه، فتعيَّن المصير إليه، فحتمٌ على كل مسلم ألاَّ يطلق كلمة الكفر إلا على من شرح بالكفر صدراً ويقصد ما ورد مما تقدم على موارده، وهذا الحق ليس به خفاء... فدعني من بنيات الطريق»[١].

وقال -رحمه الله- في موضع آخر مبيناً عظم خطر الوقوع في التكفير: «والذي عندي أن التكفير من المسلمين بسبب مقالة قالوها لشبهة عرضت لهم، مما لا يحل لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقع فيه، ولا سيما وقد توسعت الدائرة في تكفير التأويل للأهوية الحادثة بين المسلمين، بسبب الخلاف الناشئ بينهم، حتى نرى المسألة التي فيها قولان لأهل العلم قد وقع التكفير من طائفة للأخرى، مع أن الحق الذي يريده الله هو أحد القولين لا محالة، فإحدى الطائفتين مخطئة في تكفير الأخرى بلا شك. والتكفير خطره عظيم؛ لقوله ﷺ : «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»[٢] والمراد أنه إذا كان المقول له مستحقاً لذلك ، فما كفَّر القائل إلا نفسه، فهل يقدم حريص على حفظ دينه على مثل هذا الخطر العظيم؟! إذا تقرر هذا، فتكفير التأويل شيء لم يأذن الله به، ولا بيَّنه لنا رسوله ﷺ، بل نهينا عنه نهياً

---

(١) السيل الجرار -الشوكاني ٥٧٨/٤، ٥٧٩

(٢) سبق تخريجه في ص١٣٥.

عاماً، وما ورد في ذكر بعض أهل البدع كالخوارج[(١)]، فالواجب الاقتصار على الوارد من دون مجاوزة له، فإن ذلك من السباب للمسلم الذي جعله ﷺ فسوقاً»[(٢)(٣)].

ثم بيَّن شناعة هذا الأمر وفظاعته وأن تكفير طائفة من طوائف المسلمين أشدُّ جرماً فقال: «فإنه إذا كان تكفير الرجل الواحد بغير سبب يوجب كُفْر المكَفَّر، فما ظنك بمن عمد إلى طائفة من طوائف المسلمين، فيهم من نحارير[(٤)] العلماء وأكابر

---

(١) هي فرقة خرجت على علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، وأول الخوارج وأقبحهم حال ذي الخويصرة التميمي، والخوارج مقدار عشرين فرقة كل واحدة تكفِّر سائرها، وهم يكفِّرون أصحاب الكبائر ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً واجباً. انظر: الفرق بين الفرق -البغدادي ٢٧، وكتاب الحوادث والبدع -أبوبكر الطرطوشي، ضبط نصه وعلق عليه علي ابن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري ٣٣، ط١، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية ١٤١١هـ-١٩٩٠م، وتلبيس إبليس -ابن الجوزي ١٠٤، ١٠٥، ومعجم البدع -رائد بن صبري بن أبي علفة ٤٤٤. وللاستزادة انظر: الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، مناهجهم وأصولهم وسماتهم قديماً وحديثاً وموقف السلف منهم - د. ناصر بن عبد الكريم العقل ط١ دار الوطن، الرياض١٤١٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر ٢١/١ رقم٤٨، وفي كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ : «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» ١١٦/٨ رقم٧٠٧٦، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ٨١/١ رقم٦٤.

(٣) وبل الغمام على شفاء الأوام -الشوكاني ١/ ١٩٣، ١٩٤.

(٤) النِّحر والنِّحرير: الحاذق الماهر العاقل المجرب، وقيل: النحرير الرجل الطَّبِن، الفطن المتقن البصير في كل شيء، وجمعه النحارير. لسان العرب -ابن منظور مادة (نحر) ٦٩/١٤.

العباد من لا يأتي عليه الحصر، ثم حكم بكفر جميعهم، فإنه بذلك قد كفَّر كل واحد على انفراده»[١].

وهكذا يتبين خطر التكفير، وأن الواقع فيه دون تثبت ودون نظر في الأدلة الشرعية وسؤال أهل العلم الراسخين يوقع نفسه في محظور شرعي وربما باء بما وصف به أخاه.

والداعي إلى الله أولى بالتثبت والتأني، وحري بأن يجتنب فعل الجهال المتحمسين على غير هدى وبصيرة، وفي خوض الدعاة في هذه القضية دون بصيرة فتح لباب شر عظيم، وفرقة واختلاف.

---

(١) وبل الغمام على شفاء الأوام -الشوكاني ١/١٩٥، ١٩٦.

المطلب الرابع

دعوته إلى الاجتهاد ونبذ التقليد

* تعريف الاجتهاد:

الاجتهاد: «في اللغة مأخوذ من الجهد وهو المشقة والطاقة»(١).

وعرفه الآمدي(٢) في اللغة بأنه: «عبارة عن استفراغ الوسع في تحقيق أمر من الأمور مستلزم للكلفة والمشقة»(٣).

أما في الاصطلاح فقد عرفه الآمدي بقوله: «وأما في اصطلاح الأصوليين فمخصوص باستفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد فيه»(٤).

---

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول - محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أبي مصعب محمد سعيد البدري ٤١٧ ط٤، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان١٤١٤هـ -١٩٩٣م، وانظر: السيل الجرار -الشوكاني ١٦/١، وانظر: القاموس المحيط- الفيروزآبادي مادة (جهد) ٣٥١.

(٢) سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد الآمدي الحنبلي ثم الشافعي، ولد سنة إحدى وخمسين وخمسمائة، فقيه أصولي متكلم منطقي حكيم، ولد بآمد ببغداد ثم انتقل إلى الشام، ثم إلى الديار المصرية، وقد كان السيف غاية، ومعرفته بالمعقول نهاية وكان الفضلاء يزدحمون في حلقته. من تصانيفه: تمام المرام في علم الكلام، دقائق الحقائق في الحكمة، الإحكام في أصول الأحكام. انظر: سير أعلام النبلاء -الذهبي ٣٦٤/٢٢-٣٦٦، ومعجم المولفين -عمر كحالة ١٥٥/٧.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام - الآمدي ٢١٨/٤ ط دار الحديث، مصر ب.ت.ط.

(٤) المرجع السابق ٢١٨/٤، وانظر: شرح مختصر الروضة -نجم الدين الطوفي، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ٥٧٥/٣ ط١ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

وعلق الإمام الشوكاني -رحمه الله- على هذا التعريف الاصطلاحي بقوله: «وبهذا القيد خرج اجتهاد المقصر فإنه لا يعد في الاصطلاح اجتهاداً معتبراً»[(١)].

* تعريف التقليد:

التقليد في اللغة: «من القلادة التي يقلد الإنسان غيره بها ومنه تقليد الهدي، فكأن المقلد يجعل ذلك الحكم الذي قلد فيه المجتهد كالقلادة في عنق المجتهد»[(٢)].

وفي الاصطلاح : «العمل بقول الغير من غير حجة»[(٣)].

والدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد من أهم القضايا التي شغلت بال الإمام الشوكاني -رحمه الله- وأعطاها اهتمامه ومما يدل على ذلك تأليفه لكتاب (القول المفيد من أدلة الاجتهاد والتقليد)[(٤)].

وحديثه عن هذه القضية في مواطن كثيرة متفرقة من كتبه[(٥)]

---

(١) إرشاد الفحول -الشوكاني ٤١٨.

(٢) السيل الجرار- الشوكاني ٦/١، وانظر: الإحكام في أصول الأحكام- الآمدي ٢٩٧/٤، وانظر: القاموس المحيط -الفيروز آبادي مادة (قلد) ٣٩٨، ٣٩٩.

(٣) السيل الجرار -الشوكاني ٦/١، وانظر: الإحكام في أصول الأحكام - الآمدي ٢٩٧/٤.

(٤) فند فيه حجج القائلين بالتقليد وبين حقيقة الاقتداء بالصحابة -رضي الله عنهم-، وهل بلوغ رتبة الاجتهاد فرض على كل فرد من الأفراد؟، ودعوة علماء آل البيت إلى الاجتهاد، وغير ذلك من الموضوعات فليطالع.

(٥) انظر: فتح القدير - الشوكاني ١٩٨/٢، ٣٥٣، والسيل الجرار ١/٤-٢٨، وإرشاد الفحول ٤١٧-٤٥٣، وأدب الطلب في مواضع متفرقة من هذا الكتاب، والبدر الطالع ٢/١، ٣، فقد بين في مقدمة هذا الكتاب الدافع له لتأليف هذا الكتاب وهو: أنه قد شاع على ألسن جماعة من الرعاع اختصاص سلف هذه الأمة بالاجتهاد وتعذر وجود مجتهد بعد المائة السادسة أو بعد المائة السابعة، فحداه ذلك إلى وضع كتاب يشتمل على تراجم أكابر العلماء من أهل القرن الثامن ومن بعدهم؛ ليعلم أن الله قد تفضل على الخلف كما تفضل على السلف. انظر: البدر الطالع -الشوكاني ٢/١، ٣.

وقد بين -رحمه الله- معنى الاجتهاد والتقليد وشروط الاجتهاد وما ينبغي للمجتهد أن يعمله في اجتهاده، ويعتمد عليه وما يستعان به على الاجتهاد وبين موقفه الصريح من التقليد وأورد إشكالات المقلدة ورد عليها.

* شروط الاجتهاد:

أما شروط الاجتهاد فإن الإمام الشوكاني -رحمه الله- قد حدد الشروط التي يتمكن بها العالم من الاجتهاد بقوله: «ولا بد أن يكون بالغاً عاقلاً قد ثبتت له ملكة يقتدر بها على استخراج الأحكام من مآخذها وإنما يمكن ذلك بشروط:

الأول: أن يكون عالماً بنصوص الكتاب والسنة، فإن قصر في أحدهما لم يكن مجتهداً ولا يجوز له الاجتهاد، ولا يشترط معرفته بجميع الكتاب والسنة بل بما يتعلق منها بالأحكام.

الشرط الثاني: أن يكون عارفاً بمسائل الإجماع حتى لا يفتي بخلاف ما وقع الإجماع عليه إن كان ممن يقول بحجية الإجماع ويرى أنه دليل شرعي، وقل أن يلتبس على من بلغ رتبة الاجتهاد ما وقع عليه الإجماع من المسائل.

الشرط الثالث: أن يكون عالماً بلسان العرب بحيث يمكنه تفسير ما ورد في الكتاب والسنة من الغريب ونحوه، ولا يشترط أن يكون حافظاً لها عن ظهر قلب، بل المعتبر أن يكون متمكناً من استخراجها من مؤلَّفات الأئمة المشتغلين بذلك.

الشرط الرابع: أن يكون عالماً بعلم أصول الفقه لاشتماله على نفس الحاجة إليه.

الشرط الخامس: أن يكو عارفاً بالناسخ والمنسوخ بحيث لا يخفى عليه شيء من ذلك مخافة أن يقع في الحكم بالمنسوخ»[1].

وأما ما ينبغي للمجتهد أن يعمله في اجتهاده ويعتمد عليه فقد بينه الإمام

---

(١) إرشاد الفحول -الشوكاني ٤١٨-٤٢٠.

الشوكاني -رحمه الله- بقوله: «فعليه أولاً أن ينظر في نصوص الكتاب والسنة فإن وجد ذلك فيها قدمه على غيره، فإن لم يجده أخذ بالظواهر منهما وما يستفاد بمنطوقهما ومفهومهما، فإن لم يجد نظر في أفعال النبي ﷺ ثم في تقريراته لبعض أمته، ثم في الإجماع إن كان يقول بحجيته ثم في القياس على ما يقتضيه اجتهاده من العمل بمسالك العلة كلاً أو بعضاً»[(١)].

* ما يستعان به على الاجتهاد:

وجه الإمام الشوكاني -رحمه الله- نصيحة غالية لطالب العلم الذي يريد أن يصل إلى مرتبة الاجتهاد فقال -رحمه الله-: «وعندي أن من استكثر من تتبع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وجعل كل ذلك دأبه، ووجه إليه همته، واستعان بالله عز وجل واستمد منه التوفيق، وكان معظم همه ومرمى قصده الوقوف على الحق والعثور على الصواب من دون تعصب لمذهب من المذاهب، وجد فيهما ما يطلبه فإنهما الكثير الطيب، والبحر الذي لا ينزف، والنهر الذي يشرب منه كل وارد عليه العذب الزلال والمعتصم الذي يأوي إليه كل خائف، فاشدد يديك على هذا فإنك إن قبلته بصدر منشرح وقلب موفق وعقل قد حلَّت به الهداية وجدت فيهما كل ما تطلبه من أدلة الأحكام التي تريد الوقوف على دلائلها كائناً ما كان، فإن استبعدت هذا المقال واستعظمت هذا الكلام وقلت كما قاله كثير من الناس: إن أدلة الكتاب والسنة لا تفي بجميع الحوادث فمن نفسك أُتيتَ، ومن قبل تقصيرك أصبت، وعلى نفسها براقش تجني[(٢)] وإنما تنشرح لهذا الكلام صدور قوم وقلوب رجال مستعدين

---

(١) إرشاد الفحول - الشوكاني ٤٣١.

(٢) هذا مثل يضرب لمن يعمل عملاً يرجع ضرره إليه. مجمع الأمثال- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم٣٣٨، ط٢، دار الجيل، بيروت-لبنان ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

لهذه المرتبة العلية»[١].

* موقفه من التقليد:

بين الإمام الشوكاني -رحمه الله- المقصود من التقليد المذموم بقوله: «بل من شرط التقليد الذي أصيبوا به أن يقبل من إمامه رأياً، ولا يعتزل عن روايته، ولا يسأله عن كتاب ولا سنة، فإن سأله عنهما خرج عن التقليد؛ لأنه قد صار مطالباً بالحجة»[٢].

وقال أيضاً: «شأن المقلد ألاَّ يبحث عن دليل، بل يقبل الرأي ويترك الرواية، ومن لم يكن هكذا فليس بمقلد»[٣].

ثم ذكر -رحمه الله- موقف الأئمة من التقليد فقال: «وبالجملة فنصوص الأئمة الأربعة[٤] في المنع من التقليد، وفي تقديم النص على آرائهم، وآراء غيرهم، لا يخفى على عارف من أتباعهم وغيرهم»[٥].

وقال -رحمه الله- أيضا: «ويكفي في دفع الرأي، وأنه ليس من الدين، قول الله عزوجل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[٦].

فإذا كان الله قد أكمل دينه قبل أن يقبض نبيه ﷺ فما هذا الرأي الذي أحدثه

---

(١) إرشاد الفحول- الشوكاني ٤٣١.

(٢) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد- الشوكاني٤٢.

(٣) المرجع السابق٤٣.

(٤) أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد -رحمهم الله-.

(٥) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد -الشوكاني٦٦.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٣.

أهله بعد أن أكمل الله دينه؟، إن كان من الدين في اعتقادهم، فهو لم يكمل عندهم إلا برأيهم، وهذا فيه ردٌّ للقرآن، وإن لم يكن من الدين، فأي فائدة في الاشتغال بما ليس من الدين. وهذه حجة قاهرة ، ودليل عظيم، لا يمكن صاحب الرأي أن يدفعه بدافع أبداً، فاجعل هذه الآية الشريفة أول ما تصك به وجوه أهل الرأي، وترغم به أنوفهم، وتدحض به حججهم، فقد أخبرنا الله في محكم كتابه: أنه أكمل دينه ، ولم يمت رسول الله ﷺ إلا بعد أن أخبرنا بهذا الخبر عن الله عز وجل، فمن جاءنا بالشيء من عند نفسه، وزعم أنه من ديننا، قلنا له: الله أصدق منك، فاذهب فلا حاجة لنا في رأيك.

وليت المقلدة فهموا هذه الآية حق الفهم حتى يستريحوا ويتركوا»[1].

ومما يوضح عناية الإمام الشوكاني -رحمه الله- بهذه القضية واهتمامه بها حديثه عنها في أكثر من موضع في تفسيره[2] خصوصاً عند تفسيره للآيات التي فيها ذم اتباع الآباء والأجداد ومن الأمثلة على ذلك:

١- قوله -رحمه الله- في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾[3].

«إن في هذه الآية الشريفة لأعظم زاجر وأبلغ واعظ للمقلدة الذين يتبعون آباءهم في المذاهب المخالفة للحق، فإن ذلك من الاقتداء بأهل الكفر لا بأهل الحق، فإنهم القائلون إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون[4] والقائلون «وجدنا

---

(١) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد -الشوكاني ٨٣، ٨٤.

(٢) المسمى فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٨.

(٤) اقتباس من سورة الزخرف، الآية: ٢٣.

عليها آباءنا والله أمرنا بها»[1]، والمقلد لولا اغتراره بكونه وجد أباه على ذلك المذهب، مع اعتقاده بأنه الذي أمر الله به؛ وأنه الحق لم يبق عليه»[2].

٢- قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾[3].

«وفي هذه الآية ما يزجر من كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد[4] عن التقليد في دين الله، وتأثير ما يقوله الأسلاف على ما في الكتاب العزيز والسنة المطهرة، فإن طاعة المتمذهب لمن يقتدي بقوله ويستن بسنته من علماء هذه الأمة مع مخالفته لما جاءت به النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه ونطقت به كتبه وأنبياؤه، هو كاتخاذ اليهود والنصارى للأحبار والرهبان أرباباً من دون الله، للقطع بأنهم لم يعبدوهم بل أطاعوهم وحرموا ما حرموا وحللوا ما حللوا. وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الأمة. وهو أشبه به من شبه البيضة بالبيضة والتمرة بالتمرة والماء بالماء»[5].

* من شبه المقلدة:

أورد الإمام الشوكاني -رحمه الله- شيئاً من شبه المقلدة التي يتشبثون بها لتجويز ماهم عليه من التقليد وفند هذه الشبه وبين ما يراه صواباً، وأورِد منها شبهة

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٨.

(٢) فتح القدير -الشوكاني٢/١٩٨.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٤) اقتباس من سورة ق، الآية: ٣٧.

(٥) فتح القدير -الشوكاني ٢/٣٥٣، وانظر: المرجع نفسه ٣/٤١٢ و٤/٢٤٢، ٥٥٢، ٥٥٣

واحدة فقط تُبين المراد:

وهي استدلالهم بقوله تعالى:﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[(١)]

قال -رحمه الله-: «وقد استدلوا بالآية على أن التقليد جائز وهو خطأ، ولو سلِّم لكان المعنى سؤالهم عن النصوص من الكتاب والسنة، لا عن الرأي البحت، وليس التقليد إلا قبول قول الغير دون حجته»[(٢)].

وأختم هذا المطلب بكلمة للإمام الشوكاني -رحمه الله- بين فيها عظم المحنة ببعض المقلدة الذين يجعلون همهم العلم بمختصر من مختصرات الفقه التي هي مشتملة على ما هو من علم الرأي والرواية، والرأي أغلب دون أن يرفعوا رؤوسهم إلى غير ذلك من أنواع العلوم وكأن علم الشريعة منحصر في ذلك المختصر[(٣)] يقول في هذه العبارة: «ولا أستبعد أنه لو جاء نبي مرسل، أو ملك مقرب يخبره أن الحق الذي شرعه الله لعباده خلاف حرف من حروف ذلك المختصر، لم يسمع منهما ولا صدقهما، بل لو انشقت السماء، وصرخ منها ملك من الملائكة بصوت يسمعه جميع أهل الدنيا بأن الحق على خلاف ذلك الحرف الذي في المختصر لم يصدقه، ولا رجع إلى قوله»[(٤)].

وبعد فهذه جملة من قضايا الدعوة عند الإمام الشوكاني -رحمه الله- تمثلت في أربعة مطالب:

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧.

(٢) فتح القدير الشوكاني ٣/٣٩٩، وللاستزادة انظر: القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد -الشوكاني ٢٩-٤٧.

(٣) انظر: أدب الطلب- الشوكاني ٧٢، ٧٣.

(٤) المرجع السابق ٧٣.

١- الدعوة إلى التوحيد والتحذير من ضده.

٢- الدعوة إلى جلب المصالح ودفع المفاسد.

٣- الدعوة إلى تقويم السلوك.

٤- الدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد.

ويتبين من خلالها الجهود التي بذلها الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة إلى الله ويظهر لمن تأملها نصحه -رحمه الله- للعباد وحرصه على هدايتهم والعودة بهم إلى ما كان عليه السلف الصالح -رضي الله عنهم- ولا عجب فالعلماء ورثة الأنبياء وهم الناصحون للخلق المشفقون عليهم، وما أحرى العلماء والدعاة إلى الله تعالى أن يفيدوا من هذه القضايا ويطبقوها في حياتهم ويدعوا الناس إليها. والله المستعان.

الفصل الثاني
جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الاحتساب

تمهيد

المبحث الأول: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الأمر بالمعروف

المبحث الثاني: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في النهي عن المنكر

تمهيد:

الاحتساب وظيفة دينية عظيمة قام بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم نبينا محمد بن عبد الله ﷺ، وقام بها الخلفاء الراشدون -رضي الله عنهم-، والأئمة من بعدهم. والاحتساب من شعائر الدين الظاهرة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله من الدين»(١)، ومن أجل ذلك كان اهتمام الإمام الشوكاني -رحمه الله- بالاحتساب كبيراً حيث أولاه اهتمامه أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر لا سيما وأنه كان رئيس القضاء في عصره، ويظهر هذا الاهتمام واضحاً من خلال حديثه -رحمه الله- عن وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان أنهما من مسؤوليات السلاطين، ورده على بعض شبهات منكري وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ففي حديث الإمام الشوكاني-رحمه الله- عن وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومكانتهما من الدين يقول -رحمه الله-: «أدلة الكتاب والسنة الكثيرة المتواترة قد دلت على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم، وهذا هو أعظم أعمدة الدين، وأقوى أساساته، وأرفع مقاماته»(٢).

ويقول -رحمه الله-: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما العمادان العظيمان من أعمدة هذا الدين، والركنان الكبيران من أركانه، ولا يتسع لما ورد في ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة النبوية إلا مؤلَّف مستقل، وهو مجمع

---

(١) الحسبة في الإسلام -شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق سيد بن محمد بن أبي سعدة، ٦٩، ط١، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣، وانظر: الحسبة تعريفها ومشروعيتها ووجوبها - د. فضل إلهي ٢١.

(٢) السيل الجرار -الشوكاني ٥١٨/٤.

على وجوبهما إجماعاً من سابق هذه الأمة ولاحقها»[١].

وقال -رحمه الله-: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان على كل مسلم من المسلمين»[٢].

وقال -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[٣]، «وفي الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوبه ثابت بالكتاب والسنة وهو من أعظم واجبات الشريعة، وأصل عظيم من أصولها، وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها»[٤].

أما كون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مسؤوليات الإمام، فقد بين الإمام الشوكاني -رحمه الله- أن من مسؤوليات الإمام «نصب القضاة لفصل الخصومات بالطرق الشرعية، وأهل الحسبة بالقيام بوظيفة الحسبة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٥].

أما عن دور الإمام الشوكاني -رحمه الله- في دفع بعض الشبهات التي تثار حول وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد تبين عند تفسيره -رحمه الله- لقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل

---

(١) السيل الجرار -الشوكاني، ٥٨٦/٤.

(٢) وبل الغمام - الشوكاني، ٤٠٣/٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٤) فتح القدير -الشوكاني، ٣٦٩/١.

(٥) رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين- الشوكاني ٧٨.

إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون﴾[١]، فقال -رحمه الله-: «وليس في الآية ما يدل على سقوط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن من تركه مع كونه من أعظم الفروض الدينية فليس بمهتد، وقد قال الله سبحانه: ﴿إذا اهتديتم﴾ وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث المتكاثرة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوباً مضيقاً متحتماً، فتحمل هذه الآية على من لا يقدر على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو لا يظن التأثير بحال من الأحوال، أو يخشى على نفسه أن يحل به ما يضره ضرراً يسوغ له معه الترك»[٢].

وبعد فلعل هذه النقول المتعددة عن الإمام الشوكاني -رحمه الله- تبين مدى اهتمامه بالاحتساب وعنايته البالغة به حيث تحدث عنه في كتب متعددة وفي مناسبات مختلفة.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

(٢) فتح القدير -الشوكاني ٢/٨٤.

المبحث الأول: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الأمر بالمعروف

تمهيد:

المطلب الأول: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله في الأمر بالمعروف في جانب العقيدة

المطلب الثاني: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الأمر بالمعروف في جانب الشريعة

المطلب الثالث: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الأمر بالمعروف في جانب الأخلاق والسلوك

المبحث الأول

جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الأمر بالمعروف

تمهيد:

• معنى المعروف في اللغة:

جاء في القاموس المحيط: «المعروف في اللغة ضد المنكر»(١).

وفي المعجم الوسيط: «المعروف: اسم لكل فعل يعرف حسنه بالعقل أو الشرع وهو خلاف المنكر»(٢).

• معنى المعروف في الاصطلاح:

المعروف في الاصطلاح: «اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله ورسوله والإحسان إلى عباده بكل ما جاء الأمر به والحث عليه في الكتاب والسنة»(٣).

وقد بين الإمام الشوكاني -رحمه الله- المراد الشرعي بالمعروف بقوله: «المراد بالمعروف ما كان من الأمور المعروفة في الشرع لا المعروف في العقل والعادة؛ لأن الحقائق الشرعية مقدمة على غيرها على ما تقرر في الأصول»(٤).

---

(١) لسان العرب -ابن منظور، مادة (عرف) ١٥٥/٩، وانظر: القاموس المحيط -الفيروزآبادي، مادة: عرف ١٠٨٠.

(٢) المعجم الوسيط -إبراهيم مصطفى وآخرون، مادة: (عرف) ٥٩٥/٢، ط المكتبة الإسلامية، استانبول -تركيا، ب. ت. ط.

وانظر: المفردات في غريب القرآن -الراغب الأصفهاني، مادة: (عرف) ٢٣١.

(٣) تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -عبد الله بن صالح القصير، ١١، ط١، دار العاصمة، الرياض ١٤١١هـ.

(٤) نيل الأوطار -الشوكاني ٥١/٨.

وفي هذا المبحث سيكون الحديث -بتوفيق الله- عن جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الأمر بالمعروف وقد قسمته إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الأمر بالمعروف في جانب العقيدة.

المطلب الثاني: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الأمر بالمعروف في جانب الشريعة.

المطلب الثالث: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الأمر بالمعروف في جانب الأخلاق والسلوك.

والنماذج الموجودة في هذه المطالب شاملة لكل معروف حث الإمام الشوكاني -رحمه الله- على فعله والقيام به، وبين فضيلته، ولو لم يكن الأمر إلى أشخاص بأعيانهم بطريقة مباشرة، والله المسؤول أن يوفق لإبراز جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الأمر بالمعروف على الوجه المطلوب وأن يلهمني الصواب والسداد.

المطلب الأول

جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الأمر بالمعروف في جانب العقيدة

اهتم الإمام الشوكاني -رحمه الله- بجانب العقيدة عند قيامه بالأمر بالمعروف لأنها أوجب الواجبات وبصلاحها واستقامتها يسلم دين المرء ويكون من أصحاب الجنة فإن «علم أصول الدين أشرف العلوم ... وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة»[(١)].

ومن المعلوم أنه «لا صلاح للعباد ولا فلاح ولا نجاح ولا حياة طيبة ولا سعادة في الدارين ولا نجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة إلا بمعرفة أول مفروض عليهم والعمل به، وهو الأمر الذي خلقهم الله عز وجل له، وأخذ عليهم الميثاق به، وأرسل به رسله إليهم، وأنزل به كتبه عليهم، ولأجله خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار»[(٢)]. ذلكم هو توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة.

ويظهر قيام الإمام الشوكاني -رحمه الله- بالأمر بالمعروف في جانب العقيدة في مسائل منها:

١- أمره بالإخلاص.

«حقيقة الإخلاص التبري عن كل ما دون الله تعالى»[(٣)].

والإخلاص أمر خفي لا يطلع عليه إلا الله سبحانه وتعالى والذي يقوم بما أمر الله به عن إخلاص لله تعالى ينصح في عمله ويؤديه على الوجه الذي يرضي الله تعالى دون أن ينظر إلى رضا الناس أو سخطهم، يقول الإمام الشوكاني -رحمه

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي ١/٦٠٥.

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول، حافظ الحكمي، ضبطه وعلق عليه وخرج أحاديثه: عمر بن محمود أبو عمر ١/٥٥،٥٦ ط١ دار ابن القيم، الدمام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٣) المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني، مادة (خلص) ١٥٥.

الله- مخاطباً المحتسب: «ويتصور عند قيامه في هذا المقام -مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- تصفية النية عن كدورات الرياء، والمقاصد التي ليست من الدين، ويتصور ما أمر الله عز وجل به، من الإخلاص ، وحث عباده عليه ، ويستحق قول الصادق المصدوق ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات»[١] فإنها تضع كليه جامعة مانعة نافعة، لا سيما بعد ضم ما ضمه رسول الله ﷺ إلى هذه الجملة من قوله: «وإنما لكل امرئ ما نوى»، ثم تصوير ذلك وتمثيله منه ﷺ بقوله: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها كانت هجرته إلى ما هاجر إليه» فإن فَارَقَ الإخلاص ولو لمسافة يسيرة فقد لا يتم له ما يريد بهذا السبب لا بسبب خلل في المقام الذي قامه، فإنه مقام المريدين[٢] والعلماء العاملين، وعباد الله الصالحين»[٣].

وضد الإخلاص الشرك وتوقيه واجب شرعي، والرياء نوع من أنواع الشرك، وفي هذا يقول -رحمه الله- «فتوقي مظان الرياء واجب، والوقوع فيها حرام، ومدافعة النفس عن مثل هذه المعصية من أوجب الواجبات الشرعية، وتجنب

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأيمان والنذور، باب: النية في الأيمان، ٢٩٣/٧، رقم٦٦٨٩.

(٢) قال ابن القيم -رحمه الله- في معنى الإرادة: «وقد تنوعت عبارات القوم عنها، وغالبهم يخبر عنها بأنها ترك العادة، ومعنى هذا: أن عادةالناس غالباً التعريج على أوطان الغفلة، وإجابة داعي الشهوة، والإخلاد إلى أرض الطبيعة. والمريد منسلخ عن ذلك، فصار خروجه عنه: أمارة ودلالة على صحة الإرادة فسمي انسلاخه وتركه إرادة.... والمريد الصادق هو الذي قرأ القرآن، وحفظ السنة، والله يرزقه ببركة صدقه ونور قلبه فهماً في كتابه وسنة رسوله ﷺ يغنيه عن تقليد فهم غيره». انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين-ابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادي ٣٤٥/٢-٣٤٨، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٧هـ-١٩٩٧م

(٣) رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين - الشوكاني ٩٣.

الأسباب التي تفضي إليها لازم لكل مسلم»[1].

٢- وجوب طاعة ولي الأمر:

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[2]، يقول الإمام الشوكاني -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: «لما أمر سبحانه القضاة والولاة إذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالحق، وأمر الناس بطاعتهم هاهنا وطاعته عز وجل في امتثال أوامره ونواهيه، وطاعة رسوله ﷺ هي فيما أمر به ونهى عنه وأولوا الأمر هم الأئمة والسلاطين والقضاة وكل من كانت له ولاية شرعية لا ولاية طاغوتية، والمراد طاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه ما لم تكن معصية، فلا طاعة لمخلوق في معصية الله كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ[3]»[4].

وطاعة أولي الأمر من أصول أهل السنة والجماعة التي يذكرونها في كتب العقيدة، يقول الإمام الطحاوي[5] -رحمه الله-: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة

---

(١) السيل الجرار -الشوكاني ١٨٢/١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٣) ورد في ذلك حديث علي -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف» أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية ١٤٦٩/٣، رقم ١٨٤٠.

(٤) فتح القدير -الشوكاني ٤٨١/١.

(٥) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي من أهل قرية طحا من أعمال مصر ولد سنة ٢٣٩هـ وبرز في علم الحديث والفقه، وتفقه على القاضي أحمد بن أبي عمران الحنفي وجمع وصنف، وارتحل إلى الشام سنة ٢٦٨هـ انظر: سير أعلام النبلاء-الذهبي ٢٧/١٥-٣٣.

أمورنا وإن جاروا ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والعافية»[١]. و «السمع والطاعة لولاة الأمر من المسلمين في غير معصية مجمع على وجوبه عند أهل السنة والجماعة وهو أصل من أصولهم التي باينوا بها أهل البدع والأهواء»[٢]، وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- عدم السمع والطاعة من مسائل الجاهلية فقال: «الثالثة- أن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة، والسمع والطاعة ذل ومهانة، فخالفهم رسول الله ﷺ وأمر بالصبر على جور الولاة، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصح، وغلَّظ في ذلك وأبدأ فيه وأعاد»[٣].

وقد اعتنى الإمام الشوكاني -رحمه الله - بالأمر بطاعة ولاة الأمر، والنصح لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، يقول -رحمه الله- في وجوب أمر الإمام بالمعروف ونهيه عن المنكر وطاعته: «يجب أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر بحسب الاستطاعة، وتجب طاعته إلا في معصية الله سبحانه»[٤].

---

(١) متن العقيدة الطحاوية - أحمد بن محمد الطحاوي ١٦، ط١، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٢) معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة - عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، ١١١ ط٤،دار السلف، الرياض ١٤١٦هـ ١٩٩٥م

(٣) مسائل الجاهلية التي خالف رسول الله ﷺ ما عليه أهل الجاهلية- الإمام محمد بن عبد الوهاب، أعده وضبطه وعلق عليه: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود ٨ ط١، مكتبة طبرية ١٤١٢هـ-١٩٩٢م

(٤) السيل الجرار - الشوكاني ٤/٥١١.

وقال -رحمه الله-: «فهذا الذي قد بايعه أهل الحل والعقد[١] قد وجبت على أهل القطر الذي تنفذ فيه أوامره ونواهيه طاعته بالأدلة المتواترة، ووجبت عليهم نصيحته كما صرحت به أحاديث النصيحة لله ولأئمة المسلمين وعامتهم[٢]»[٣].

وهذه الطاعة التي وجبت لأولي الأمر مشروطة بالمعروف وفي هذا يقول -رحمه الله- «فليس لأهل الحل والعقد أن يبايعوا من لم يكن عدلاً إذا قد اشتهر بذلك إلا أن يتوب، ويتعذر عليهم العدول إلى غيره فعليهم أن يأخذوا عليه بأعمال العادلين، والسلوك في مسالك المتقين ثم إذا [لم] يثبت على ذلك كان عليهم أمره بما هو

---

(١) يراد بهم: الأمراء والعلماء ورؤساء الناس ووجوههم، دون النساء والعبيد، ويشترط فيهم شروط ثلاثة:

١- العدالة.

٢- العلم الذي يتوصلون به إلى معرفة من يستحق الرئاسة على الشروط المعتبرة فيها.

٣- الرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو للإمامة أصلح، وبتدبير المصالح أقوم وأعرف.

انظر: الأحكام السلطانية والولايات الدينية- أبوالحسن الماوردي ٣١، والأحكام السلطانية-القاضي أبو يعلى الحنبلي١٩، وغياث الأمم في التياث الظلم- أبو المعالي الجويني، تحقيق ودراسة: د. مصطفى حكمي، ود. فؤاد عبد المنعم أحمد، ٤٨، ٥٠، ط. دار الدعوة مصر، وفقه السياسة الشرعية في ضوء القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة- خالد بن علي العنبري ١٣٩، ط١، ١٤١٨هـ.

(٢) ورد في ذلك حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري -رضي الله- أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة، قلنا: لمن: قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» سبق تخريجه في ص ٩٧.

(٣) السيل الجرار -الشوكاني ٤/٥١٣.

معروف ونهيه عما هو منكر، ولا يجدر بهم أن يطيعوه في معصية الله»[١].

٣- تقرير وجوب الهجرة:

الهجرة من لوازم العقيدة وهي أنواع أعظمها: الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام. يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: «والهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وهي باقية إلى أن تقوم الساعة، والدليل قوله تعالى: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً﴾ [٢]»[٣].

قال ابن كثير[٤] -رحمه الله-: «فنزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام

---

(١) السيل الجرار- الشوكاني ٤/٥٠٨، ٥٠٩.

(٢) سورة النساء، الآيات: ٩٧-٩٩.

(٣) ثلاثة الأصول والقواعد الأربع - الإمام محمد بن عبد الوهاب ١٨.

(٤) الإمام العالم الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ولد سنة إحدى وسبعين وسبعمائة في مدينة بصرى. فقيه متقن، ومحدث، له التفسير الذي لم يؤلّف على نمطه مثله، والتاريخ (البداية والنهاية)، وكتاب (الهدي والسنن في أحاديث المسانيد والسنن) جمع فيه بين مسند الإمام أحمد والبزار وأبي يعلى وابن تيمية وابن أبي شيبة إلى الكتب الستة، توفي سنة ٧٧٤هـ. انظر: ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي - شمس الدين محمد بن علي الحسين الدمشقي ٥/٥٧، ٥٨، ط دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ب. ت. ط، وذيل طبقات الحفاظ للذهبي -جلال الدين السيوطي ٥/٣٦١، ط دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ب. ت. ط.

بين ظهراني المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكنا من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع، وبنص هذه الآية»[١].

وقال الإمام الشوكاني -رحمه الله- «وقد استدل بهذه الآية على أن الهجرة واجبة على من كان بدار الشرك، أو بدار يعمل فيها بمعاصي الله جهاراً إذا كان قادراً على الهجرة ولم يكن من المستضعفين؛ لما في هذه الآية الكريمة من العموم، وإن كان السبب خاصاً كما تقدم، وظاهرها عدم الفرق بين مكان ومكان، وزمان وزمان»[٢].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي[٣] -رحمه الله-: «وفي الآية دليل

---

(١) تفسير القرآن العظيم-ابن كثير ٨٢٢/١.

(٢) فتح القدير-الشوكاني ٥٠٥/١.

(٣) هو العلامة الورع الزاهد تذكرة السلف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي الناصري التميمي الحنبلي، ولد في مدينة عنيزة بالقصيم سنة١٣٠٧هـ، توفيت أمه وله أربع سنين، ثم توفي والده وهو في الثانية عشرة من عمره، فعطفت عليه زوجة أبيه، وكذلك أخوه محمد، فنشأ نشأة حسنة، فحفظ القرآن وعمره أربع عشرة سنة، وتلقى العلم على جملة من المشايخ منهم: إبراهيم بن جاسر، وصالح بن عثمان -رحمها الله- وغيرهما، وجلس للتدريس وعمره ثلاث وعشرون سنة، له عدة مؤلفات منها: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، والقواعد الحسان لتفسير القرآن، والقول السديد في مقاصد التوحيد، وغيرها كثير، أصيب عام ١٣٧١هـ بمرض ضغط الدم وضيق الشرايين فسافر إلى لبنان عام ١٣٧٢هـ على نفقة الحكومة السعودية، ثم شفي، وعاوده المرض عام ١٣٧٦هـ وتوفي فجر الخميس ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦هـ -رحمه الله- رحمة واسعة، وخلف ثلاثة أبناء هم: عبد الله ومحمد وأحمد. انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم -عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ٣٩٢-٣٩٧، ط٢، بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٣٩٢هـ. وللتوسع انظر: صفحات من حياة علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- د. عبد الله بن محمد الطيار، ط١، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

على أن الهجرة من أكبر الواجبات، وتركها من أكبر المحرمات، بل من أكبر الكبائر»[١].

وليست الهجرة مقتصرة على دار الكفر، بل هي عامة في كل أرض تكثر فيها المعاصي ويستعلن بها، وفي هذا يقول الإمام الشوكاني -رحمه الله- مبيناً أن وجوب الهجرة ليس مختصاً بدار الكفر: «فليس هذا الوجوب مختصاً بدار الكفر بل هو شريعة قائمة، وسنة ثابتة عند استعلان المنكر، وعدم الاستطاعة للقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم وجود من يأخذ على أيدي المنتهكين لمحارم الله، فحق على العبد المؤمن أن ينجو بنفسه ويفر بدينه إن تمكن من ذلك ووجد أرضاً خالية عن التظاهر لمعاصي الله وعدم التناكر على فاعلها، فإن لم يجد فليس في الإمكان أحسن مما كان، وعليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه كما أرشد إلى ذلك الصادق المصدوق فيما صح عنه[٢]، وإذا قدر

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان-عبد الرحمن بن ناصر السعدي٢/١٣٨، ط٢، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، المملكة العربية السعودية١٤١٢هـ-١٩٩٢م . وللاستزادة في موضوع الهجرة وكلام العلماء حولها انظر: الهجرة في ضوء الكتاب والسنة دراسة دعوية-عبد الله بن إبراهيم الشويمان. رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٧هـ

(٢) يشير بذلك -رحمه الله- إلى حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان». أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ١/٦٩ رقم ٤٩.

على أن يغلق على نفسه بابه ويضرب بينه وبين العصاة حجابه كان ذلك من أقل ما يجب عليه»[1].

وهذا الحكم فيما إذا كانت الأرض التي سيهاجر إليها أرضاً طيبة خالية عن التظاهر لمعاصي الله. أما إن كان التظاهر بالمعاصي في غير بلده أقل مما هو ببلده فإن الشوكاني -رحمه الله- يقول: «وإن كان التظاهر بالمعاصي في غير بلده أقل مما هو ببلده كان ذلك وجهاً للهجرة وفي الشر خيار»[2].

لكن الإمام الشوكاني -رحمه الله- من فقهه في هذه المسألة وإدراكه للمصالح والمفاسد يستثني من وجوب الهجرة من كان في بقائه في بلده خير للمسلمين ومصلحة راجحة على مصلحة الهجرة، فيقول -رحمه الله- : «إن كانت المصلحة العائدة على طائفة من المسلمين ببقائه ظاهرة كأن يكون له مدخل في بعض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو في تعليم معالم الخير بحيث يكون ذلك راجحاً على هجرته وفراره بدينه فإنه يجب عليه ترك الهجرة رعاية لهذه المصلحة الراجحة؛ لأن هذه المصلحة الخاصة له بالهجرة على الخصوص تصير مفسدة بالنسبة إلى المصلحة الموجودة بتركه الهجرة»[3].

---

(١) السيل الجرار - الشوكاني ٤/٥٧٦، ٥٧٧.

(٢) المرجع السابق ٤/٥٧٧.

(٣) المرجع السابق ٤/٥٧٧.

المطلب الثاني

جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الأمر بالمعروف في جانب الشريعة

١- أمره الإمام بالعدل في الرعية:

العدل من الواجبات الشرعية التي أمر الله تعالى بها جميع الناس فقال تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل....﴾[١] الآية، وخصت الشريعة الإسلامية الإمام بمزيد من العناية والرعاية في القيام بالعدل، وجعلت الإمام العادل من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل ...» الحديث[٢].

وقد فطن الإمام الشوكاني -رحمه الله- إلى هذا الأمر المهم وجعل من أول مسؤولياته في الأمر بالمعروف: أمر الإمام بالعدل في الرعية وفي هذا يقول -رحمه الله- :«إني لم أزل منذ اتصلت بخليفة عصرنا[٣] -حفظه الله- مرغباً له في العدل في الرعية، على الوجه الذي ورد الشرع به، ورفع المظالم المخالفة لقطعيات الشريعة كالمكس[٤] ونحوه، والاقتصار على ما ورد به الشرع وعدم مجاوزته في شيء»[٥].

وقال -رحمه الله- في الكلام على تفسير قوله تعالى ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة ٧١٥/٢، رقم١٠٣١.

(٣) الإمام المنصور -رحمه الله-.

(٤) سبق التعريف بها في ص ١٤١.

(٥) أدب الطلب - الشوكاني :١٨٦، ١٨٧.

بالعدل﴾[١] «هذه الآية من أمهات الآيات المشتملة على كثير من أحكام الشرع؛ لأن الظاهر أن الخطاب يشمل جميع الناس في جميع الأمانات ... ويدخل الولاة في هذا الخطاب دخولاً أوليا، فيجب عليهم تأدية ما لديهم من الأمانات ورد الظلامات وتحري العدل في أحكامهم...»[٢].

٢- مشروعية الشورى:

بين الإمام الشوكاني -رحمه الله- مشروعية استشارة الإمام لأهل الفضل فقال -رحمه الله-: «يشرع للإمام أن يستكثر من استشارة أصحابه الموثوق بهم ديناً وعقلاً»[٣].

وقال -رحمه الله- في موضع أخر: « وعليه أن ينتخب من العلماء المبرزين المجتهدين المحققين من يشاوره في الأمور، ويجريها على ما ورد به الشرع، ويجعل الخصومات إلى أهل هذه الطبقة ، فما حكموا به كان عليه إنفاذه، وما أمرو به فعله»[٤].

٣- مسؤولية الإمام والرعية في إصلاح الطرق وتأمين السبل:

هذان الأمران من أهم مسؤوليات الإمام والرعية وبهما سلامة الناس -بإذن الله- في دمائهم وأعراضهم وأموالهم وهي من الضروريات الخمس التي جاء الإسلام بالمحافظة عليها وحمايتها وتحريمها؛ لذا لم يغفل الإمام الشوكاني -رحمه الله- عن تقرير هذه الأمرين وبيان وجوبهما على السلطان، فقال -رحمه الله-:

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٨.

(٢) انظر: فتح القدير -الشوكاني ١/ ٤٨٠.

(٣) نيل الأوطار -الشوكاني ٨/٤٦.

(٤) السيل الجرار -الشوكاني ٤/٥٠٨.

«فإصلاح طرق المسلمين وتأمين سبلهم من أهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو واجب على السلطان خصوصاً، وعلى المسلمين عموماً، فعليه وعليهم أن يقوموا بذلك أتم القيام، ولو بوضع جماعة من المسلمين في جوانب الطرق المخوفة، لتأمين المارة، ويدفع إليهم من بيت مال المسلمين، أو من خالص أملاكهم إذا لم يوجد في بيت المال ما يقوم بذلك»(١).

٤- تعليم الناس معالم دينهم:

من أهم واجبات الإمام والولاة الذين يعملون معه العناية بتعليم الناس ورفع الجهل عنهم بإرسال المعلمين الصالحين خصوصاً إلى أهل القرى والبلدان النائية لمشقة وصولهم إلى دور العلم في المدن الكبيرة العامرة، وقد وجه الإمام الشوكاني -رحمه الله- الحكام لتعليم الناس أمور دينهم فقال -رحمه الله- بصفته رئيس القضاة: «على كل حاكم من حكام الجهات أن يبعث من لدنه رجالاً أمناء عارفين يعلمون الناس معالم دينهم، وما يجب عليهم لله عز وجل من صلاة، وصيام، وحج، وتوحيد على الوجه المطابق لمراد الله تعالى...»(٢). وعند التأمل في هذا الأمر الذي أكد عليه الإمام الشوكاني -رحمه الله- يتبين حرصه على تعليم الناس وليس أي علم إنما علم الشريعة الإسلامية؛ لأنه فرض على كل مسلم، ولأن العباد مسؤولون عنه، بل وجه بأن يقوم بهذا الأمر رجال أمناء عارفون لأن العلم الشرعي يتطلب أميناً عارفاً بالشرع، فيبلغ شرع الله على الوجه الصحيح، كما أن المتأمل في خطاب الإمام الشوكاني -رحمه الله- يلحظ تأكيده على قضية هي أهم القضايا

---

(١) الإمام الشوكاني حياته وفكره - د. عبد الغني الشرجي ٣٤٦ نقلا عن عقد الجمان في شأن حدود البلدان - الشوكاني (مخ) ١٥١.

(٢) الإمام الشوكاني رائد عصره دراسة في فقهه وفكره - د. حسين العمري ١٢٥، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق- سورية ١٤١١هـ= ١٩٩٠م.

وأخطرها ألا وهي قضية توحيد الله تعالى فإن التوحيد أول واجب على العبيد، ولا بد أن يتعلمه الناس على الوجه المطابق لمراد الله تعالى، لا على منهج أهل الأهواء والبدع.

٥- وجوب التوبة إلى الله:

«قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي؛ فلها ثلاثة شروط:

أحدها- أن يقلع عن المعصية.

والثاني- أن يندم على فعلها.

والثالث- أن يعزم ألاَّ يعود إليها أبداً. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته. وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها؛ فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كان غيبة استحله منها»[1]. وهناك شرط رابع للتوبة من المعاصي التي بين العبد وبين الله، وهو أن تكون في وقتها الشرعي، أي قبل طلوع الشمس من مغربها.

وقد تحدث الإمام الشوكاني -رحمه الله- عن وجوب التوبة إلى الله وأنها فرض فقال -رحمه الله-: «وقد اتفقت الأمة على أن التوبة فرض على المؤمنين لقوله تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون﴾[2]»[3]. وقال -رحمه الله- في بيان توبة قاتل العمد: «والحق أن باب التوبة لم يغلق دون كل عاص، بل هو مفتوح لكل من قصده ورام الدخول منه، وإذا كان الشرك وهو أعظم الذنوب وأشدها تمحوه التوبة إلى الله ويقبل من صاحبه الخروج منه والدخول في باب التوبة، فكيف بما دونه من المعاصي التي من جملتها القتل عمداً، لكن لا بد في توبة قاتل العمد

---

(١) انظر: رياض الصالحين - النووي ٤١، ٤٢.

(٢) سورة النور، الآية: ٣١.

(٣) فتح القدير - الشوكاني ١/٢٣٨.

من الاعتراف بالقتل وتسليم نفسه للقصاص إن كان واجباً أو تسليم الدية إن لم يكن القصاص واجباً وكان القاتل غنياً متمكناً من تسليمها أو بعضها، وأما مجرد التوبة من القاتل عمداً أو عزمه على ألاّ يعود إلى قتل أحد من دون اعتراف ولا تسليم نفسه فنحن لا نقطع بقبولها، والله أرحم الراحمين، وهو الذي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون»(١)، وقال -رحمه الله- في بيان ضابط التوبة: «والتوبة الندم على المعصية، والعزم على عدم المعاودة لها»(٢).

وقال في بيان قبول التوبة: «فإن التوبة مقبولة من جميع العباد مسلمهم وكافرهم، إذا كانت صحيحة، صادرة عن خلوص نية، وعزيمة صحيحة»(٣).

---

(١) فتح القدير - الشوكاني ١/ ٤٩٩.

(٢) المرجع السابق ٤/٥٣٥.

(٣) المرجع السابق ٤/٥٣٥.

المطلب الثالث

جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الأمر بالمعروف في جانب الأخلاق والسلوك

«إن للأخلاق صلة وثيقة بالإيمان والعقيدة، ومنزلة عالية من الدين، فحسن الخلق من الإيمان، وسوء الخلق دليل على ضعف الإيمان، ولذا جاء في الحديث عن النواس بن سمعان الأنصاري[١] -رضي الله عنه- قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»[٢]»[٣].

ولأهمية الأخلاق وعظم شأنها في الدين فقد نالت عناية من الإمام الشوكاني -رحمه الله- في جانب الأمر بالمعروف ويمكن التعرف على ذلك من خلال العناصر التالية:

١- أمره أهل الصلاح والغنى بالاهتمام باللباس:

اللباس من الزينة التي امتن الله عز وجل بها على عباده جميعا بقوله سبحانه:

---

(١) النواس بتشديد الواو ثم مهملة ابن سمعان الكلابي ويقال الأنصاري روى عن النبي ﷺ وعنه: أبو إدريس الخولاني وجبير بن نفير الحضرمي وقال أبو حاتم وأبو أحمد العسكري: إن النواس سكن الشام. انظر: تهذيب التهذيب - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ١٠/٤٩٠، ٤٨١، ط١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م. وانظر: تقريب التهذيب -أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ٢/٢٥٣، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تفسير البر والإثم ٤/١٩٨٠، رقم ٢٥٥٣

(٣) صلة الأخلاق بالعقيدة والإيمان -د. سليمان بن صالح الغصن، ط١، دار العاصمة، الرياض ١٤١٥هـ

﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾(٢).

وقد قال تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾(٣).

وقد اهتم الإمام الشوكاني –رحمه الله– بهذه القضية خصوصاً في حق أهل الصلاح والغنى وما ينبغي أن يكونوا عليه من اللباس المناسب، فقد فصَّل في حكم اللباس علواً أو انخفاضاً فقال –رحمه الله–: «والحاصل أن الأعمال بالنيات فلبس المنخفض من الثياب تواضعاً وكسراً لسورة النفس التي لا يؤمن عليها من التكبر إن لبست غالي الثياب من المقاصد الصالحة الموجبة للمثوبة من الله، ولبس الغالي من الثياب عند الأمن على النفس من التسامي المشوب بنوع من التكبر لقصد التوصل بذلك إلى تمام المطالب الدينية من أمر بمعروف أو نهي عن منكر عند من لا يلتفت إلا إلى ذوي الهيئات، كما هو الغالب على عوام زماننا وبعض خواصه لا شك أنه من الموجبات للأجر لكنه لا بد من تقييد ذلك بما يحل لبسه شرعاً»(٤).

ويدعو الإمام الشوكاني –رحمه الله– الغني إلى لبس ما يليق به ما لم يصحب ذلك عجب أو مكاثرة فيقول: «يستحب للغني أن يلبس من الثياب ما يليق به ليكون

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

(٤) نيل الأوطار – الشوكاني ٢/١١٠.

ذلك إظهاراً لنعمة الله عليه إذ الملبوس هو أعظم ما يظهر فيه الفرق بين الأغنياء والفقراء، فمن لبس من الأغنياء ثياب الفقراء صار مماثلاً لهم في إيهام الناظر له أنه منهم وذلك ربما كان من كفران نعمة الله عليه، وليس من الزهد والتواضع في لزوم ثياب الفقر والمسكنة؛ لأن الله سبحانه أحلَّ لعباده الطيبات ولم يخلق لهم جيد الثياب إلا لتلبس ما لم يرد نص على تحريمه. ومن فوائد إظهار أثر الغنى: أن يعرفه ذوو الحاجات فيقصدوه لقضاء حوائجهم... فمن أنعم الله عليه بنعمة من نعمه الظاهرة أو الباطنة فليبالغ في إظهارها بكل ممكن ما لم يصحب ذلك الإظهار رياء أو عجب أو مكاثرة للغير. وليس من الزهد والتواضع أن يكون الرجل وسخ الثياب شعث الشعر»[1].

٢- أمره بالتكسب:

من الأخلاق الحسنة تعفف الإنسان عما في أيدي الناس ولا يتحقق هذا إلا بتوفيق الله ثم عمل الإنسان على طلب الرزق والتكسب، وقد سخر الله تعالى لنا الأرض وجعلها ذلولاً لنمشي عليها ونأكل من رزقه الذي أودعه فيها فقال سبحانه: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾[2].

وقد حث الإمام الشوكاني -رحمه الله- على التكسب وطلب الرزق فقال في شرح قول صاحب الأزهار عن الزوج المتمرد عن الإنفاق على زوجته: «ويحبسه للتكسب»

قال الشوكاني -رحمه الله-: «الأولى أن يقال ويأمره بالتكسب إذا كان يجد له مكسباً يعيش به هو ومن يعول ولم يتركه لعذر، بل تركه بطراً وكسلاً وضراراً لنفسه

---

(١) انظر: نيل الأوطار - الشوكاني ١١٩/٩.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٥.

ولأهله كما فعل ذلك من ابتلي بالحمق.

وقد أرشد النبي ﷺ إلى التكسب حتى أمر بعض من لم يتكسب أن يبيع ما يجد، ثم أمره أن يشتري فأسا، ثم أمره بأن يذهب ويحتطب[(١)] ، وقال عز وجل:

---

(١) يشير إلى حديث أنس -رضي الله عنه- أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله فقال: «أما في بيتك شيء؟» قال: بلى! حِلْس* نلبس بعضه، ونبسط بعضه، وقَعْب* نشرب فيه من الماء، قال: «ائتني بهما. فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: «من يشتري هذين»؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال: «من يزيد على درهم»؟ مرتين أو ثلاثاً، قال رجل: «أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري وقال: «اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قَدُّوماً فائتني به...» الحديث.

أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب: ما تجوز فيه المسألة، <u>ضعيف سنن أبي داود</u>- محمد ناصر الدين الألباني ١٦٥، رقم٣٦٠، ط١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، توزيع: المكتب الإسلامي، بيروت. وأخرجه ابن ماجه في كتاب: التجارات، باب: بيع المزايدة، <u>ضعيف سنن ابن ماجه</u>، محمد ناصر الدين الألباني ١٦٩، رقم٤٧٨، ط١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، توزيع: المكتب الإسلامي، بيروت.

* حِلْس: الحِلس: هو الكساء الذي يلي ظهر البعير، ويبسط في البيت تحت حُرِّ الثياب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر-ابن الأثير مادة (حلس) ٤٢٣/١، والقاموس المحيط- الفيروزآبادي مادة (حلس) ٦٩٤.

* القَعْب، القدح الضخم الجافي، أو إلى الصغر، أو يُروي الرجل. القاموس المحيط - الفيروزآبادي، مادة (قعب) ١٦٢.

﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾[١].

فإن أبى وصمم على ذلك مع إمكانه وكان في تركه ما يضره أو يضر من يعول فلا بأس أن يمسه بعقوبة تحمله على طلب ما فيه مصلحة له ولمن يعول، ودفع مفسدة عنه وعنهم، وأي مفسدة أعظم من قعود رجل في بيته بلا عذر وأبواب المكاسب مفتحة، وأسباب الرزق منتشرة، وأطفاله يتضاغون من الجوع، وامرأته المحجبة تقاسي شدائد الفاقة وتمارس أهوال المسغبة[٢] »[٣].

وقال -رحمه الله- في موضع آخر مبيِّناً خطأ من يعتقد أن طلب ما يغنيه خارج عن طريق الصالحين: «اعلم أن كثيراً من القاصدين يعتقد أن من طلب ما يقوم بما يغنيه، ومن يعول، ودخل في الأسباب التي يتحصل منها ذلك، خارج عن طريقة الصالحين، مخالف لهدي المرسلين، مباين لمسلك الزاهدين، وهذا وهم عظيم، وجهل كبير، فإنه قد طلب ذلك سيد الأنبياء ﷺ ، وسأل ربه الغنى كما في الصحيحين، وغيرهما، أنه كان يقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»[٤] ، والأحاديث في هذا كثيرة جداً، وامتن الله سبحانه عليه بالغنى، فقال: ﴿ووجدك عائلاً فأغنى﴾[٥]»[٦].

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٥.

(٢) من السغب وهو الجوع مع التعب. المفردات في غريب القرآن- الراغب الأصفهاني، مادة (سغب) ٢٣٣.

(٣) السيل الجرار -الشوكاني ٢/٤٥١، ٤٥٢.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل ٤/٢٠٨٧، رقم٢٧٢١.

(٥) سورة الضحى، الآية: ٨.

(٦) رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين - الشوكاني ٦٥، ٦٦.

٣- الإرشاد إلى ملاطفة النساء وحسن الخلق مع الأهل والأولاد:

قال الله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾(٢).

والمرأة أسيرة بين يدي زوجها؛ فيجب عليه أن يحسن التعامل معها، ولقد نبه الإمام الشوكاني -رحمه الله- على هذا الخلق الحسن فقال في شرح حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يفرَك(٣) مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر»(٤).

«فيه الإرشاد إلى حسن العشرة، والنهي عن البغض للزوجة بمجرد كراهة خُلُقٍ من أخلاقها، فإنها لا تخلو مع ذلك من أمر يرضاه منها. وإذا كانت مشتملة على المحبوب والمكروه، فلا ينبغي ترجيح مقتضى الكراهية على مقتضى المحبة»(٥).

وقال -رحمه الله- في شرحه لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم»(٦)،

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٩.

(٣) أي لا يبغض، النهاية في غريب الحديث والأثر- ابن الأثير مادة (فرك) ٣/٤٤١.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب: الرضاع، باب: الوصية بالنساء، ٢/١٠٩١، رقم١٤٦٩.

(٥) نيل الأوطار -الشوكاني ٦/٣٥٨، ٣٥٩.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٩/٣٩٣، ٣٩٤، رقم ١٠٠٦٢، وقال عنه الشيخ حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

وحديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[1].

قال -رحمه الله-: «قوله: «خياركم خياركم لنسائهم» وكذلك قوله في الحديث الآخر «خيركم خيركم لأهله» في ذلك تنبيه على أن أعلى الناس رتبة في الخير، وأحقهم بالاتصاف به هو من كان خير الناس لأهله، فإن الأهل هم الأحقاء بالبِشْر وحسن الخلق والإحسان، وجلب النفع ودفع الضر، فإذا كان الرجل كذلك فهو خير الناس، وإن كان على العكس من ذلك فهو في الجانب الآخر من الشر. وكثيراً ما يقع الناس في هذه الورطة[2]، فترى الرجل إذا لقي أهله كان أسوأ الناس أخلاقاً وأشحهم نفساً وأقلهم خيراً، وإذا لقي غيرَ الأهل من الأجانب لانت عريكته[3]، وانبسطت أخلاقه وجادت نفسه وكثر خيره، ولا شك أن من كان كذلك فهو محروم التوفيق زائغ عن سواء الطريق، نسأل الله السلامة»[4]، فينبغي للمسلم خصوصاً الداعية أن يكون حسن الخلق مع أهله يدخل السرور عليهم ويتفقد حاجاتهم فبذلك يرضي ربه ويكسب ود أهله ويسعد في دنياه وأخراه بإذن ربه.

---

(١) أخرجه الترمذي في: أبواب: المناقب عن رسول الله ﷺ، باب: في فضل أزواج النبي ﷺ، صحيح سنن الترمذي- محمد ناصر الدين الألباني٣/٢٤٥، رقم٣٠٥٧، ط١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٤٠٨هـ، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت.

(٢) الورطة: الهلكة، وكل أمر تعسر النجاة منه. انظر: القاموس المحيط-الفيروزآبادي، مادة (وَرَط) ٨٩٣.

(٣) رجل لين العريكة: سلس الخلق، منكسر النخوة. القاموس المحيط - الفيروزآبادي، مادة (عرك) ١٢٢٤

(٤) انظر: نيل الأوطار -الشوكاني ٦/٣٦٠.

وليس حسن الخلق محصوراً في التعامل مع الأهل فحسب بل يشمل الأولاد والأيتام المكفولين. يقول الإمام الشوكاني -رحمه الله- في تفسير قول الله تعالى: ﴿وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾[١]، «والظاهر من الآية ما يصدق عليه مسمى القول الجميل ففيه الإرشاد إلى حسن الخلق مع الأهل والأولاد، أو مع الأيتام المكفولين»[٢].

٤- الحث على التحلي بخلق الصبر:

«الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه»[٣].

وللصبر منزلة عظيمة في الإسلام فهو نصف الإيمان، يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله- :«لما كان الإيمان نصفين: نصف صبر، ونصف شكر؛ كان حقيقاً على من نصح نفسه، وأحب نجاتها، وآثر سعادتها ألاَّ يهمل هذين الأصلين العظيمين، ولا يعدل عن هذين الطريقين القاصدين، وأن يجعل سيره إلى الله بين هذه الطريقين؛ ليجعله الله يوم لقائه مع خير الفريقين»[٤].

وقد حث الإمام الشوكاني -رحمه الله- على الصبر، وأمر به، وبين عظيم ثوابه فقال -رحمه الله- في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إنما يوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[٥]، «لما بين سبحانه ما للمحسنين إذا أحسنوا ، وكان لا بد في ذلك من

---

(١) سورة النساء، الآية:٥.

(٢) فتح القدير - الشوكاني ٤٢٦/١.

(٣) المفردات في غريب القرآن -الراغب الأصفهاني، مادة (صبر) ٢٧٣.

(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين-ابن قيم الجوزية، مراجعة وضبط وتعليق: محمد علي قطب، ١٧، ط١، دار القلم، بيروت -لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٥) سورة الزمر، الآية: ١٠.

الصبر على فعل الطاعة وعلى كف النفس عن الشهوات، أشار إلى فضيلة الصبر وعظيم مقداره فقال: ﴿إنما يوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[1] أي يوفيهم الله أجرهم في مقابلة صبرهم بغير حساب: أي بما لا يقدر على حصره حاصر، ولا يستطيع حسبانه حاسب... والحاصل أن الآية تدل على أن ثواب الصابرين وأجرهم لا نهاية له؛ لأن كل شيء تحت الحساب فهو متناه، وما كان لا يدخل تحت الحساب فهو غير متناه، وهذه فضيلة عظيمة ومثوبة جليلة تقتضي أن على كل راغب في ثواب الله، وطامع فيما عنده من الخير أن يتوفر على الصبر ويزم[2] نفسه بزمامه ويقيدها بقيده، فإن الجزع لا يرد قضاء قد نزل، ولا يجلب خيراً قد سلب، ولا يدفع مكروهاً قد وقع، وإذا تصور العاقل هذا حق تصوره وتعقله حق تعقله علم أن الصابر على ما نزل به قد فاز بهذا الأجر العظيم، وظفر بهذا الجزاء الخطير، وغير الصابر قد نزل به القضاء شاء أم أبى ومع ذلك فاته من الأجر ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه، فضم مصيبة إلى مصيبة أخرى ولم يظفر بغير الجزع»[3].

٥- أمره ببعض الآداب الشرعية:

من الأمور التي أمر بها الإمام الشوكاني -رحمه الله- في جانب الأخلاق والسلوك: الآداب الشرعية التي حض عليها الشرع المطهر، وورد الأمر بالقيام بها في الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ لما فيها من تهذيب النفوس، وحصول المحبة والمودة بين المسلمين، ومن هذه الآداب الشرعية:

أ/ الترغيب في تشييع الغازي:

الجهاد في سبيل الله تعالى من أفضل الأعمال وأجلها عند الله سبحانه،

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٢) أي يشد. انظر: القاموس المحيط -الفيروزآبادي، مادة (زم) ١٤٤٤.

(٣) انظر: فتح القدير -الشوكاني، ٤/٤٥٣، ٤٥٤.

والغزاة في سبيل الله لهم أجر عظيم، وكذلك تشييعهم من القُرَب التي يكتب الله لفاعلها الأجر العظيم.

وقد حض الإمام الشوكاني -رحمه الله- على تشييع الغازي، فقال في شرحه للحديث الذي قال فيه النبي ﷺ: «لأن أُشَيِّعُ غازياً فأكفيه في رحله غدوة أو روحة أحب إليّ من الدنيا وما فيها»[(١)].

«وفي هذا الحديث الترغيب في تشييع الغازي، وإعانته على بعض ما يحتاج إلى القيام بمؤنته؛ لأن الجهاد من أفضل العبادات، والمشاركة في مقدماته من أفضل المشاركات»[(٢)].

ب/ إيثار المسلم لإخوانه، وتقديم الأصلح لهم:

الإيثار من الأخلاق التي جاء الشرع بالثناء على أصحابها، فقال تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾[(٣)].

وهو يدل على كرم النفس، ومحبة الخير للآخرين.

وقد جاء في السنة ما يشير إلى شيء من هذا، فقد قال ﷺ: «ساقي القوم آخرهم شرباً»[(٤)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند١٢/٢٥٦، رقم١٥٥٨٠. وقال الشيخ حمزة الزين: إسناده حسن، وأخرجه ابن ماجه في كتاب: الجهاد، باب: تشييع الغزاة وداعهم. ضعيف سنن ابن ماجة-الألباني٢٢٨، رقم٦٢١.

(٢) نيل الأوطار- الشوكاني٨/٦٢.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٤) أخرجه الترمذي في أبواب: الأشربة، عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء أن ساقي القوم آخرهم شرباً، صحيح سنن الترمذي-الألباني٢/١٧٤ رقم١٥٤٤، وأخرجه ابن ماجه في كتاب: الأشربة، باب: ساقي القوم آخرهم شرباً. صحيح سنن ابن ماجه -الألباني٢/٢٥١، رقم٢٧٧١.

يقول الإمام الشوكاني -رحمه الله-: «فيه دليل على أنه يشرع لمن تولى سقاية قوم أن يتأخر في الشرب، حتى يفرغوا عن آخرهم، وفيه إشارة إلى أن كل من ولي من أمور المسلمين شيئاً يجب عليه تقديم إصلاحهم على ما يخص نفسه، وأن يكون غرضه إصلاح حالهم، وجَرَّ المنفعة إليهم، ودفع المضار عنهم، والنظر في دِقِّ أمورهم وجِلِّها، وتقديم مصلحتهم على مصلحته. وكذا من يفرق على القوم فاكهة، فيبدأ بسقي كبير القوم أو بمن عن يمينه إلى آخرهم، وما بقي شربه»[١].

تبين من خلال ما مر اعتناء الإمام الشوكاني -رحمه الله- بالأمر بالمعروف في جانب الأخلاق والسلوك؛ لأنه جزء من الدين وبصلاح الأخلاق صلاح المجتمع.

وحري بالداعية أن يحرص على أمر الناس بالأخلاق الحسنة مع بيان ذلك بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، وذكر أقوال العلماء في بيانها، ويكون مع ذلك متحلياً بكل خلق كريم، ولا يخالف قوله فعله؛ فيقع في ذم الله تعالى حيث قال سبحانه: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾[٢]

---

(١) نيل الأوطار-الشوكاني٩/٨٨، ٨٩.

(٢) سورة الصف، الآيتان: ١، ٢.

المبحث الثاني: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في النهي عن المنكر

تمهيد:

المطلب الأول: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في النهي عن المنكر في جانب العقيدة

المطلب الثاني: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في النهي عن المنكر في جانب الشريعة.

المطلب الثالث: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في النهي عن المنكر في جانب الأخلاق والسلوك.

المبحث الثاني

جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في النهي عن المنكر

تمهيد:

• تعريف المنكر في اللغة:

«النكرة ضد المعرفة والإنكار تغيير المنكر والنكر المنكر ومنه قوله تعالى: ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾[(١)]»[(٢)].

«والمنكر من الأمر: خلاف المعروف»[(٣)].

• تعريف المنكر في الاصطلاح:

المنكر في الاصطلاح: «كل ما ينكره الشرع وينهى عنه ويذمه ويذم أهله. ويدخل في ذلك جميع المعاصي والبدع، وفي مقدمتها: الشرك بالله عزوجل، وإنكار وحدانيته، أو ربوبيته، أو أسمائه، أو صفاته»[(٤)].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٤.

(٢) انظر: مختار الصحاح -الرازي، مادة (نكر) ٦٧٩.

(٣) لسان العرب -ابن منظور، مادة (نكر) ٤/٢٨٢.

(٤) انظر: القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -عبد العزيز بن عبد الله الراجحي ١٠، ط١، مكتبة السلام، الرياض، ١٤١٢هـ، والتعريفات - الجرجاني ٢٩٠، ومن فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -أحمد عزالدين البيانوني ٧، ط٢، دار السلام، القاهرة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م. وللاستزادة في تعريف المنكر في الاصطلاح انظر: حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأركانه ومجالاته- د. حمد بن ناصر العمار ١٢، ١٣.

و«حقيقة المنكر: هو كل اعتقاد، أو قول، أو عمل أنكره الله ورسوله: كالشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، والتهاون بالفرائض، ومخالفة السنن المأمور بها، وظلم العباد، وانتهاك الحرمات كالقتل، والسرقة، والزنى، وشرب الخمور، وتعاطي المخدرات، وإيذاء المسلمين، وتعاطي أسباب ذلك، ودواعيه، ووسائله وذرائعه التي تؤدي إليه»(١).

وقد بين الإمام الشوكاني -رحمه الله- ضابط المنكر بقوله: «وظهور كون هذا الشيء منكراً يحصل بكونه مخالفاً لكتاب الله سبحانه: أو لسنة رسوله ﷺ، أو لإجماع المسلمين»(٢).

وفي هذا المبحث سيكون الحديث -بتوفيق الله- عن جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في النهي عن المنكر. وقد قسمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في النهي عن المنكر في جانب العقيدة

المطلب الثاني: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في النهي عن المنكر في جانب الشريعة.

المطلب الثالث: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في النهي عن المنكر في جانب الأخلاق والسلوك.

---

(١) تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - عبد الله بن صالح القصير ١٢.

(٢) السيل الجرار - الشوكاني ٥٨٦/٤.

المطلب الأول

جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في النهي عن المنكر في جانب العقيدة

اعتنى الإمام الشوكاني -رحمه الله-بجانب العقيدة عند قيامه بالنهي عن المنكر لأن الخطأ في هذا الجانب يؤدي بصاحبه إلى الكفر بالله، أو الوقوع في بدعة من البدع المفسقة.

ويظهر قيام الإمام الشوكاني -رحمه الله- بالنهي عن المنكر في جانب العقيدة في مسائل منها:

١- إنكاره النذور والوصايا والأوقاف على قبور الأموات:

من المنكرات التي وقعت في زمن الإمام الشوكاني -رحمه الله- النذور والوصايا والأوقاف على قبور الأموات. وقد ابتلي بها بعض المنتسبين إلى الإسلام. وقد أنكر -رحمه الله- هذا المنكر بشدة، وبين أنه مفسدة عظيمة، فقال -رحمه الله-: «ومن جملة هذه الوصايا الطاغوتية والنذور الشيطانية: ما يفعله كثير من الناس من النذور والوصايا على قبور الأموات، فإنه لا مقصد لهم بذلك إلا استجلاب الخير واستدفاع الشر من صاحب القبر، وهو قد صار بين أطباق الثرى يعجز عن نفع نفسه، فضلاً عن نفع غيره، فلا يصح شيء من ذلك، بل يتوجه على أهل الولايات صرفه في مصالح المسلمين، ويعرفون الناس بقبح ما يصنعون من ذلك، وأنه من الأمور التي لا يحل اعتقادها، وأن الضر والنفع واستجلاب الخير واستدفاع الشر بيد الله عز وجل، ليس لغيره فيه حكم، ولا له عليه اقتدار، فإن رجعوا عن ذلك وتابوا، وإلا انتقل صاحب الولاية معهم إلى ما هو أشد من ذلك، ولا يدعهم حتى يتوبوا، وهكذا ما يقع من الأوقاف على القبور، فإنها من الحُبَس الشيطانية، والدُّلس الطاغوتية، ولا يحل تقرير شيء منها ولا السكوت عنه، بل صرفها في مصالح المسلمين من أهم الأمور وأوجبها، فإن في عدم إنكارها وإبطالها مفسدة عظيمة

تنشأ عنها الاعتقادات الباطلة المفضية بصاحبها إلى نوع من أنواع الشرك وهو لا يشعر»[١].

وقال -رحمه الله- في موضع آخر: «وبالجملة فالوقف على القبور مفسدة عظيمة ومنكر كبير»[٢].

وقال -رحمه الله- مبيناً أن النذر على القبور ليس من النذور في الطاعة: «وأما النذور على القبور؛ فلكون ذلك ليس من النذر في الطاعة، ولا من النذر الذي يبتغى به وجه الله تعالى، بل قد يكون من النذور في المعصية إذا تسبب عنه اعتقاد باطل في صاحب القبر كما يتفق كثيراً»[٣].

٢- إنكاره اتخاذ القبور مساجد:

أنكر الإمام الشوكاني -رحمه الله- بدعة اتخاذ القبور مساجد، وشدد في ذلك، ورد على حمل الوعيد على من كان في ذلك الزمان ، فقال -رحمه الله- في شرحه لحديث جندب بن عبد الله البجلي[٤] -رضي الله عنه- قال: «سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور

---

(١) أدب الطلب -الشوكاني ١٧٩، ١٨٠.

(٢) الدراري المضيئة شرح الدرر البهية -الشوكاني ٢/٣٠٦.

(٣) المرجع السابق ٢/٣١٥.

(٤) جندب بن عبد الله البجلي العلقي، وعلقة بطن من بَجيلة، أبو عبد الله له صحبة ليست بالقديمة، سكن الكوفة ثم انتقل إلى البصرة، قدمها مع مصعب بن الزبير. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر ٢/١٠٤، والطبقات الكبرى - محمد بن سعد الزهري، أعدفهارسها: رياض عبد الله عبد الهادي ٦/٣٨٠، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، وأسد الغابة في معرفة الصحابة - ابن الأثير ١/٣٦٠، والاستيعاب في معرفة الأصحاب- ابن عبد البر، ٢/١٧٧.

أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[١].

قال -رحمه الله- :«والحديث يدل على تحريم اتخاذ قبور الأنبياء والصلحاء مساجد، قال العلماء: إنما نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً؛ خوفاً من المبالغة في تعظيمه والافتتان به، وربما أدى إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية. ولما احتاجت الصحابة رضي الله عنهم والتابعون -رحمهم الله- إلى الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون، وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- فيه، وفيها حجرة عائشة -رضي الله عنها- مدفن رسول الله ﷺ، وصاحبيه أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-، وبنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله؛ لئلا يظهر في المسجد؛ فيصلي إليه العوام؛ فيؤدي إلى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين حرفوهما حتى التقيا؛ حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر. وقد روي أن النهي عن اتخاذ القبور مساجد كان في مرض موته قبل اليوم الذي مات فيه بخمسة أيام، وقد حمل بعضهم الوعيد على من كان في ذلك الزمان لقرب العهد بعبادة الأوثان، وهو تقييد بلا دليل؛ لأن التعظيم والافتتان لايختصان بزمان دون زمان»[٢].

٣- إنكاره الحلف بغير الله :

الحلف بغير الله من أنواع الشرك الأصغر[٣] إذا كان الحالف لا يقصد أن

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد ٣٧٧/١، ٣٧٨، رقم٣٥٢.

(٢) انظر: نيل الأوطار -الشوكاني ١٣٩/٢، ١٤٠.

(٣) انظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة -حافظ بن أحمد الحكمي، دراسة وتحقيق أحمد علي علوش مدخلي، ٥٣، ط٤، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

عظمة المحلوف به كعظمة الله، أما إذا كان وقع في نفسه تعظيم المحلوف كتعظيم الله فهو شرك أكبر[١].

وقد بين الإمام الشوكاني -رحمه الله- تحريم الحلف بغير الله فقال في سؤال وجه له يستفهم فيه صاحبه عن الحلف بغير الله من دون قصد تعظيم المخلوق، بل لأجل الاعتياد على ذلك في المحاورة[٢]، قال -رحمه الله- : «هذا لا يحل لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، وقد ورد النهي عنه في الأحاديث الصحيحة[٣]. وورد أيضاً في الأحاديث ما يفيد أن فاعل ذلك يكفر إذا كان حلفه باللات والعزى،[٤] ونحو ذلك

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين -جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السلمان ٢/٢١٥، ط٢، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ

(٢) انظر: نص السؤال في إرشاد السائل إلى دلائل المسائل - محمد بن علي الشوكاني، خرج أحاديثه وعلق عليه خالد بن عبد اللطيف السبع العلمي، ٨٥، ضمن الرسائل السلفية، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٣) ورد في ذلك حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه -وهو يسير في ركب- يحلف بأبيه فقال: « ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » أخرجه البخاري في كتاب: الأيمان والنذور، باب: لا تحلفوا بآبائكم ٧/٢٨١، رقم٦٦٤٦.

(٤) اللات: رجل كان يلت لهم السويق، فمات فعكفوا على قبره. وكان يطعم من يمر من الناس فلما مات عبدوه، والعزى: شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها ، قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العزى ولا عزى لكم. انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد -عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، راجع حواشيه وصححه وعلق عليه: سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ٢١٥، ط١، دار الخير، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

من الطواغيت[1]، وورد أن من فعل ذلك لم يرجع إلى الإسلام سالماً[2]، وهذه أحاديث صحيحة ثابتة في دواوين الإسلام.

فإن سبق لسان الحالف إلى شيء من ذلك لأجل تمرنه عليه، فعليه أن يتدارك نفسه بالاستغفار، ويُعَوِّدَ لسانه ونفسه الخير، ولا يقع فيما نهى عنه الشارع وتوعد عليه فإن النفس قابلة للتعليم إذا عودت غير ما اعتادته عادت إلى الموافقة ولو بعد حين»[3]. ويخشى على من يقع في الحلف بغير الله أن يتمادى به الأمر إلى أن يعظم المحلوف كتعظيم الله؛ فيخرج من الدين وهو لا يشعر.

٤- إنكاره دعوى أن أهل البيت لا يعاقبون على ما يرتكبون من الذنوب:

اختلف أهل العلم في المقصود بأهل البيت في قوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾[4] وقد مال الإمام الشوكاني -رحمه الله- إلى القول بأنه شامل لزوجات النبي ﷺ ولعلي بن

---

(١) ورد في ذلك حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدق» أخرجه البخاري في كتاب: الأيمان والنذور، باب: لا يحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت، ٢٧٢/٧، رقم ٦٦٥.

(٢) أخرجه أبو داود بلفظ: «من حلَف فقال: إني بريء من الإسلام! فإن كان كاذباً، فهو كما قال، وإن كان صادقاً فلن يرجع إلى الإسلام سالماً» في كتاب: الأيمان والنذور، باب: الحلف بالبراءة وبملة غير الإسلام. صحيح سنن أبي داود -الألباني ٦٢٩/٢، رقم ٢٧٩٣.

(٣) إرشاد السائل إلى دلائل المسائل - الشوكاني ٨٥، ٨٦.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

أبي طالب وفاطمة بنت محمد ﷺ والحسن والحسين[1] أبناء علي بن أبي طالب -رضي الله عنهم-، وذكر أنه قد رجح هذا القول جماعة من المحققين منهم القرطبي[2]

---

(١) هو سبط رسول الله ﷺ وريحانته، ولد سنة أربع من الهجرة، كان النبي ﷺ يقول عنه وعن أخيه الحسن رضي الله عنهما: «هما ريحانتاي من الدنيا» [أخرجه البخاري في كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ باب: مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، ، ٢٦١/٤رقم٣٧٥٣.] وكانت إقامة الحسين رضي الله عنه بالمدينة إلى أن خرج مع أبيه -رضي الله عنه- إلى الكوفة، فشهد معه الجمل ثم صفين، ثم قتال الخوارج، وبقي معه إلى أن قتل ثم مع أخيه إلى أن سلم الأمر إلى معاوية رضي الله عنه فتحول مع أخيه إلى المدينة، واستمر بها إلى أن مات معاوية، فخرج إلى مكة ثم أتته كتب أهل العراق بأنهم بايعوه، بعد موت معاوية فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب، فأخذ بيعتهم وأرسل إليه فتوجه وكان من قصة قتله ما كان، وقتل الحسين يوم عاشوراء سنة إحدى وستين-رضي الله عنه ورحمه-.

انظر: سير أعلام النبلاء -الذهبي ٢٨٠/٣، ٢٨١، والإصابة في تمييز الصحابة -ابن حجر ٢٤٨/٢،٢٥٣.

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المالكي أبو عبد الله مفسر توفي بمنية بني خصيب بمصر في شوال سنة ٦٧١هـ. من تصانيفه: الجامع لأحكام القرآن، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، والتذكرة بأحوال الموتى والآخرة.

انظر: معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة ٢٣٩/٧، ٢٤٠، وللاستزادة انظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير – مشهور حسن محمود سلمان، ط١، دار القلم، دمشق ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، فقد توسع في الحديث عن الإمام القرطبي -رحمه الله- من جوانب كثيرة في هذا الكتاب بكامله.

وفي هذه المسألة يقول الإمام القرطبي -رحمه الله-: «والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم» الجامع لأحكام القرآن -القرطبي ١١٩/١٤، ط دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م ب. ط.

وابن كثير وغيرهما[١].

وعقيدة أهل السنة والجماعة -رحمهم الله- في أهل البيت إحسان القول فيهم واحترامهم لوصية النبي ﷺ بذلك حيث قال: «وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[٢].

يقول الإمام الطحاوي -رحمه الله-: «ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات من كل دنس، وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد برئ من النفاق»[٣].

ولكن هذا التقدير وهذه المنزلة لا تعني أن عصاة أهل البيت لا يعاقبون على ما يرتكبون من الذنوب؛ ولهذا أنكر الإمام الشوكاني -رحمه الله- دعوى رفع العقوبة عن العصاة من أهل البيت، وأنهم من أهل الجنة على كل حال، وذلك في رده على سؤال وجه له حول هذه المسألة الخطيرة، فقد سئل الإمام الشوكاني -رحمه الله- عن هذه القضية فأجاب:

«السؤال الثالث حاصله: ما قيل في العصاة من أهل بيت النبوة أنهم لا يعاقبون على ما يرتكبون من الذنوب بل هم من أهل الجنة على كل حال تكريماً وتشريفاً، هل ذلك صحيح أم لا؟

---

(١) انظر الخلاف في هذه المسألة وما رجحه الإمام الشوكاني -رحمه الله- فيها في فتح القدير ٢٧٩/٤، ٢٨٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ١٨٧٣/٤، رقم ٢٤٠٨.

(٣) متن العقيدة الطحاوية - الطحاوي ١٩.

أقول: لا شك ولا ريب أن أهل البيت النبوي المطلق لهم من المزايا والخصائص والمناقب ما ليس لغيرهم، وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية شاهدة لهم بما خصهم الله به من التشريف والتكريم والتبجيل والتعظيم.

وأما القول برفع العقوبات عن عصاتهم، وأنهم لا يخاطبون بما اقترفوه من المآثم، ولا يطالبون بما جنوه من العظائم، فهذه مقالة باطلة ليس عليها أثارة من العلم، ولم يصح في ذلك عن الله تعالى ولا عن رسوله ﷺ حرف واحد.

وجميع ما أورده علماء السوء المتقربون إلى المتعلقين بالرئاسات من أهل البيت الشريف، فهو باطل موضوع، أو خارج عن محل النزاع، بل القرآن أعدل شاهد، وأصدق دليل، على زجر قول كل مكابر جاحد، فإنه قال -عز وجل- في نساء النبي ﷺ: ﴿من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين﴾[1]. وليس ذلك إلا لما لهن من رفعة القدر، وشرافة المحل، بالقرب من رسول الله ﷺ.

وذريته الأطهار هم أحق منهن بهذا المضمار فإنهم أقرب إلى رسول الله ﷺ وأشرف قدراً وأعلى محلاً وأكرم عنصراً، وأفخم ذكراً، ولو كان الأمر كما زعم هذا الزاعم لم يكن لقوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[2] معنى، ولا كبير فائدة.

وإذا كان المصطفى ﷺ يقول لفاطمة البتول[3] التي هي بضعة[4] منه يغضبه

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

(٣) سميت فاطمة البتول؛ لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً وحسباً. وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى. النهاية في غريب الحديث والأثر- ابن الأثير مادة (بتل) ٩٤/١.

(٤) البَضْعة: بالفتح: القطعة من اللحم، وقد تكسر، أي أنها جزء مني، كما أن القطعة من اللحم جزء من اللحم. المرجع السابق مادة (بضع) ١٣٣/١.

ما يغضبها، ويرضيه ما يرضيها: «يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً»[١].

فليت شعري[٢] من هذا من أولادها الذي خصه الله بما لم يخصها، ورفعه إلى درجة قصرت عنها؟!

فأبعد الله علماء السوء، وقلل عددهم! فإن العاصي من أهل هذا البيت الشريف المطهر إذا لم يكن مستحقاً على معصيةٍ مضاعفة العقوبة، فأقل الأحوال أن يكون كسائر الناس، فيا من شرفه الله بهذا النسب الشريف، إياك أن تغتر بما ينمقه لك أهل التبديل والتحريف»[٣].

إن المتأمل في هذه المنكرات التي أنكرها الإمام الشوكاني -رحمه الله- يجدها منكرات عظيمة منها ما هو شرك بالله عز وجل كالنذور التي على قبور الأموات؛ لجلب النفع ودفع الضر، ومنها ما هو من وسائل الشرك وذرائعه كاتخاذ المساجد على القبور، والإسلام قد جاء بسد كل طريق يوصل إلى الشرك بالله تعالى؛ حماية للأمة من الوقوع فيه. ومن هذه المنكرات ما هو من الشرك الأصغر ويخشى على صاحبه من الوقوع في الشرك الأكبر: كالحلف بالله تعالى، ومنها ما هو غلو وتعصب ومجاوزة لما شرع الله تعالى كادعاء أن أهل البيت لا يعاقبون على ما يرتكبون من الذنوب، فإن هذا من الغلو فيهم، وإنزالهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله إياها.

ولقد كان الإمام الشوكاني -رحمه الله- ناصحاً للأمة، مقتدياً بالنبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الوصايا، باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب؟ ٣/٢٥١، رقم٢٧٥٣.

(٢) أي: ليتني أشعر. القاموس المحيط- الفيروزآبادي، مادة (شعر) ٥٣٣.

(٣) انظر: إرشاد السائل إلى دلائل المسائل -الشوكاني، ٨٠، ٨١.

الذي كان يخشى على أمته من الوقوع في الشرك، وارتكاب وسائله، والوقوع في ذرائعه، أو الغلو في الدين.

ولا شك أن أعظم المنكرات وأشدها ما يتعلق بالعقيدة؛ ولذا كان الإمام الشوكاني -رحمه الله- شديداً في إنكارها لا يحابي ولا يداهن فيها ولا يخاف في الله لومة لائم.

وهذا منهج يجب على الداعية أن يتخذه في احتسابه، فإن منكرات العقيدة أعظم المنكرات وأخطرها. ويجب على الداعية الاحتساب فيها بحزم وقوة، وبغيرة شديدة على عقيدة التوحيد أن تنتهك أو تخدش، كما يجب أن تكون أول المنكرات التي يوليها المحتسب اهتمامه وعنايته، وعلى المحتسب ألا يقدم إنكار شيء من المنكرات على إنكارها، لكن يكون إنكاره مضبوطاً بالضوابط الشرعية دون مداهنة ولا عنف.

المطلب الثاني

جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في النهي عن المنكر في جانب الشريعة

١- إنكاره عدم توريث المرأة:

«لقد كان الشوكاني نصيراً للمرأة، وللمرأة اليمنية على وجه الخصوص، بعد أن تعرَّف على بعض مظاهر الظلم، والتزيد بها، من خلال دراسة الحالات التي صادفها في عمله القضائي، وفي أسئلة فتاواه. ومن النماذج على ذلك: أنه وجد اليمنيين في بعض المناطق يحرمون بناتهم من الميراث من خلال الوصية الظالمة التي يضعها المورِّث قبل موته فقال كاشفاً لذلك المنكر: «ولا ريب أن الحيل التي تتضمن قطع ميراث وارث ولا سيما ميراث النساء المستضعفات كما جرت به عادة العوام من أعظم الحَيْف والإثم، ومما يجب على كل مسلم إبطاله لأنه من أنكر المنكرات ومن سنن الجاهلية»(١).

وقال -رحمه الله- مبيناً أن ذلك من الحيل: «قد يسمى الشيء باسم شرعي وهو ليس من الشرع في شيء، بل هو طاغوت بحت، وذلك كما يقع من بعض من نزعه عرق إلى ما كانت عليه الجاهلية من عدم توريث الإناث، فإنهم يخرجون أموالهم أو أكثرها أو أحسنها إلى الذكور من أولادهم بصورة الهبة والنذور والوصية أو الوقف»(٢).

٢- إنكاره على العمال أخذ أموال الناس بغير حق:

من المنكرات الظاهرة في عهد الإمام الشوكاني -رحمه الله- أخذ العمال

---

(١) الإمام الشوكاني حياته وفكره -د. عبد الغني الشرجي ٣٥٣، ٣٥٤ نقلاً عن بحث في وصايا الضرار -الشوكاني، مخطوط.

(٢) أدب الطلب - الشوكاني١٧٢، ١٧٣.

أموال الناس بغير حق، مع عدم حرصهم على صلاح الناس؛ ولذا فقد أنكر الإمام الشوكاني -رحمه الله- عليهم، وبين شناعة عملهم فقال -رحمه الله-: «ولم يُسْمَعْ على تطاول الأيام وتعاقب السنين أن فرداً من أفراد العمال أمر الرعايا بما أوجب الله من الفرائض التي لا قسمة فيها: كالصلاة والصيام، أو نهاهم عن شيء من المنكرات التي يرتكبونها، بل قد جرت عادة كثير من العمال أن يأخذوا في مقابل الصلاة شيئاً من السحت.

وهكذا في الأشياء التي هي منكرات مجمع على تحريمها: كالزنا، والسرقة وشرب المسكرات إذا وقع بعض الرعية في شيء كان له العقوبة من العامل على ذلك أن يأخذ شيئاً من مال من فعل ذلك. بل وقوع الرعايا في هذه المعاصي أحب الأشياء إلى العامل؛ لأنه يفتح له ذلك باب أخذ الأموال، فيتكاثر عنده السحت، ويتوفر له المقبوض.

فانظر أيَّ فاقرة في الدين كانت ولاية مثل هذا العامل؟ وأي قاصم لظهور الصالحين؟ وأي شر في العالم؟ وأي بلاء صب على دين الله من تولية رجل لا يأمر بفعل ما أوجب الله، ولا ينهى عن فعل ما حرم الله، بل يود ذلك ويفرح به؛ لينال حظاً من السحت، ويصل إلى شيء من الحرام. فهل أقلت الأرض مما أظلت السماء أفسد لدين الله، وأجرأ على معصية الله من هذا؟ وهل ممن مشى على رجليه أخسر صفقة منه، وأخبث سعياً؟»[(١)].

يلاحظ في هذا النص وقوف الإمام الشوكاني -رحمه الله- موقف العالم الشجاع لنصرة المظلومين، والدفاع عن حقوقهم؛ لأن خطر العمال وظلمهم عظيم؛ لأنهم يصدرون عن السلطان، ويمارسون ظلمهم في ظل قوته؛ فيندر من يبين ظلمهم ويجلي أمرهم.

---

(١) الدواء العاجل لدفع العدو الصائل -الشوكاني ٦٣، ٦٤.

ولا شك أن في تمادي هؤلاء العمال وأمثالهم في الظلم هلاك المجتمع، وفي تصدي الإمام الشوكاني -رحمه الله- لهم، وإنكاره عليهم إزالة للظلم، أو تخفيفاً منه -بإذن الله تعالى- خصوصاً إذا علمت مكانة الإمام الشوكاني-رحمه الله- وموقعه في الدولة.

٣- إنكاره قياس بيت المقدس على الكعبة:

من المسائل التي أنكرها الإمام الشوكاني -رحمه الله- مسألة قياس بيت المقدس على الكعبة في كراهة استقبال القبلة عند قضاء الحاجة، فقال في نقده لقول صاحب الأزهار: «واستقبال القبلتين»[(١)].

«وأما ما قيل من أن بيت المقدس يكون له حكم الكعبة بالقياس فهذا القياس من أبطل الباطلات؛ لأنه إن كان الجامع الشرف لزم ذلك في كل محل شريف وإن تفاوت الشرف، ويدخل في ذلك دخولاً أولياً مسجده ﷺ، ومسجد قباء، ونحوهما، وإن كان ذلك بجامع أن بيت المقدس قد كان قبلة قبل استقبال الكعبة فقد نسخ ذلك وإن كان ذلك لكونه تستقبله اليهود فقد تقرر في الشريعة الأمر بمخالفتهم وأن ذلك، شريعة ثابتة وسنة قائمة»[(٢)].

إن المتأمل في إنكار الإمام الشوكاني -رحمه الله- لهذه المقولة يرى قوة الحجة واستخدام أسلوب الإقناع للرد على هذه المقولة الباطلة.

وهذا مما ينبغي أن يتميز به المحتسب في احتسابه، حتى يفحم خصمه، ويقنع صاحب المنكر، وهذا حين يكون المجال مجال نقاش وإقناع، أما إذا وصل الأمر إلى العناد والمكابرة، فلا بد حينئذ من الأخذ على يديه ورفعه إلى السلطان؛ ليتخذ بحقه العقاب الرادع.

---

(١) السيل الجرار -الشوكاني ٦٣/١.

(٢) المرجع السابق ٦٩/١، ٧٠.

٤- إنكاره على من يرى الاستحسان من أدلة الشريعة:(١)

أنكر الإمام الشوكاني -رحمه الله- ادعاء كون الاستحسان دليلاً يستدل به على إثبات الأحكام الشرعية على العباد، فقال -رحمه الله-: «وأما الاستحسان فاعلم أنهم وسموه بأنه دليل ينقدح في نفس المجتهد، ويعسر عليه التعبير عنه وأنت لا يخفى عليك إن بقي لك نصيب من فهم، وحظ من إنصاف، أن الله تبارك وتعالى لم يتعبد أحداً من عباده بدليل يستدل به أحد من علماء الأمة ويمكنه التعبير عنه وإبرازه من القوة إلى الفعل إلا إذا كان صحيحاً تقوم به الحجة، فكيف يتعبدهم بما انقدح في نفس فرد من أفرادهم على وجه لا يمكنه التعبير عنه ولا إبرازه إلى الخارج؟ فإن هذا الذي انقدح في نفسه لا ندري ما هو ولا كيف هو، فكيف يكون حجة على أحد من الناس، وقد عجز صاحبه عن بيانه وعسرت عليه ترجمته، فيا لله العجب من هذا الهذيان وكيف استجاز قائله أن يحكم عليه وأنه دليل شرعي ويفتري على الشرع ما ليس منه، وعلى الله سبحانه ما لم يقله؟

وبالجملة تبيان فساد هذا لا يحتاج إلى إيضاح، وإفهام البشر وإن بلغت في

---

(١) للاستحسان ثلاثة معان:

أحدها: أن يراد به: العدول بحكم المسألة عن نظائرها لدليل خاص من كتاب أو سنة. وهذا مما لا ينكر.

الثاني: أنه ما يستحسنه المجتهد بعقله.

الثالث: دليل ينقدح في نفس المجتهد لا يقدر على التعبير عنه.

انظر: روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل- أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، قدم له وحققه وعلق عليه: د. عبد الكريم بن علي النملة ٢/٥٣١-٥٣٦، ط٥، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١٧هـ-١٩٩٧م

والذي أنكره الإمام الشوكاني -رحمه الله- هنا المعنى الثالث.

الضعف أيّ مبلغ وقاربت أفهام الدواب فهي لا تطلب البرهان على بطلان هذا الهذيان، ولو احتاج محتاج إلى الاستدلال على بطلان هذا الباطل لزمه أن يدفع فرية كل مفتر على الله»[1].

تبين من خلال هذه المسائل الأربع جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في النهي عن المنكر في جانب الشريعة، وتنوع المسائل التي تناولها احتساباً، فمسألة المرأة وميراثها من أهم المسائل الشرعية في المجتمع الإسلامي خصوصاً أن الإسلام قد خالف الجاهلية في هذه المسألة وأعطى للمرأة حقها الشرعي في الميراث الوارد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومسألة ظلم العمال، وموظفي الدولة ممن لهم نفوذ وسلطان للمستضعفين أصحاب الحقوق الشرعية مسألة تستحق أن تنكر ويحتسب عليها، حتى تؤدى الحقوق إلى أهلها.

أما المسألة الثالثة وهي قياس بيت المقدس على الكعبة فهي مسألة ينبغي تبيين الحق فيها، وتجلية الحكم الشرعي للمسلمين، والرد على من يرى هذا القياس الباطل؛ لأنه يؤدي إلى تعظيم بيت المقدس كتعظيم الكعبة، وإلى افتتان الناس به، كما أنه مما يسرُّ اليهود الذين غضبوا لانصراف النبي ﷺ وأصحابه عن قبلتهم بيت المقدس.

أما المسألة الرابعة والأخيرة في هذا المطلب فهي من المسائل الأصولية، وهي مسألة الاستحسان على معنى أنه دليل ينقدح في نفس المجتهد لا يقدر على التعبير عنه، وأنه من الأدلة الشرعية، وإنكار الإمام الشوكاني -رحمه الله- لهذه الدعوى؛ لما يترتب عليها من ادعاء شيء أنه من الشريعة وليس هو منها.

ولعل المتأمل في هذه المسائل يدرك شمولية علم الإمام الشوكاني -رحمه الله- واتساع مداركه وتنوع المسائل التي يحتسب عليها.

---

(١) أدب الطلب -الشوكاني ١٩٠.

وجدير بالقائم بالاحتساب أن يتحرى المسائل التي يقع فيها الناس، وهم في أمس الحاجة إلى معرفتها، وأن تكون مجال احتسابه؛ ليقع احتسابه موقعاً حسناً ويؤتي ثمرته -بإذن الله-.

المطلب الثالث

جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في النهي عن المنكر في جانب الأخلاق والسلوك

كما أن هناك أخلاقاً حسنة وسلوكاً طيباً فهناك أخلاق سيئة وسلوك رديء، والشريعة الإسلامية اعتنت بإبعاد المسلم عن الوقوع في الأخلاق الرذيلة؛ لأن الوقوع فيها ينقص إيمانه، ويضعف مروءته. ولقد اعتنى الإمام الشوكاني -رحمه الله- بهذا الجانب، فحذر من الأخلاق السيئة، وأنكر السلوكيات التي لا يليق بالمسلم فعلها، وتبين ذلك من خلال المسائل التالية:

١- إنكاره لبس ثوب الشهرة:

ثوب الشهرة من اللباس المحرم الذي نهى عنه النبي ﷺ، وتوعد فاعله بالعقوبة في الآخرة، وقد بين الإمام الشوكاني -رحمه الله- تحريم لبسه وبين المقصود به، فقال -رحمه الله- في شرحه لحديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ «من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة»[(١)].

«والحديث يدل على تحريم لبس الشهرة، وليس هذا الحديث مختصاً بنفيس الثياب، بل قد يحصل ذلك لمن يلبس ثوباً يخالف ملبوس الناس من الفقراء ليراه الناس فيتعجبوا من لباسه ويعتقدوه قاله ابن رسلان[(٢)]. وإذا كان اللبس لقصد

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٧٠/٥ رقم٥٦٦٤، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وأخرجه ابن ماجه في كتاب: اللباس، باب: من لبس ثوب شهرة من الثياب، صحيح سنن بن ماجه -الألباني ٢٨٤/٢، رقم٢٩٠٦.

(٢) أحمد بن حسين بن علي أبو العباس الرملي الشافعي ويعرف بابن رسلان، عالم مشارك في بعض العلوم، ولد برملة فلسطين سنة ٧٧٣، ونشأ بها لم يعلم له صبوة، فحفظ القرآن وله نحو عشر سنين، برع في الفقه وصنف في القراءات والتفسير والحديث وغيرها، توفي سنة ٨٤٤. انظر: البدر الطالع -الشوكاني ٤٩/١-٥٢، والتاج المكلل- صديق بن حسن القنوجي٣٦٧، ٣٦٨، ومعجم المؤلفين -عمر كحالة ٢٠٤/١.

الاشتهار في الناس فلا فرق بين رفيع الثياب ووضيعها والموافق لملبوس الناس والمخالف لأن التحريم يدور مع الاشتهار والمعتبر القصد وإن لم يطابق الواقع»[١].

٢- إنكاره الأغاني والملاهي:

الغناء من لهو الحديث كما ذكر ذلك رب العزة سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ومن **الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين**﴾[٢].

«ولهو الحديث: كل ما يلهي عن الخير من الغناء والملاهي والأحاديث المكنوية وكل ما هو منكر»[٣]، ولقد بين الإمام الشوكاني -رحمه الله- تحريم الغناء وأنكر الأغاني المبهجة[٤] للشرور فقال -رحمه الله- «يجوز في النكاح ضرب الأدفاف، ورفع الأصوات بشيء من الكلام نحو أتيناكم أتيناكم ونحوه لا بالأغاني المبهجة للشرور المشتملة على وصف الجمال والفجور ومعاقرة الخمور، فإن ذلك يحرم في النكاح كما يحرم في غيره وكذلك سائر الملاهي المحرمة»[٥].

٣- إنكاره على بعض العلماء لبس الكم الواسع:

من الأمور التي أنكرها الإمام الشوكاني -رحمه الله- على بعض علماء عصره لبسهم الكم الواسع، فقال في ذلك: «السنة في الأكمام ألاَّ تجاوز الرسغ، قال الحافظ ابن القيم -رحمه الله- في الهدي: «وأما الأكمام الواسعة الطوال التي هي

---

(١) نيل الأوطار -الشوكاني ١١١/٢.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٦.

(٣) فتح القدير -الشوكاني ٢٣٤/٤.

(٤) التبهيج: التحسين. القاموس المحيط -الفيروزأبادي، مادة (بهج) ٢٣٢.

(٥)نيل الأوطار ٢٣٧/٦.

كالأخراج فلم يلبسها هو ولا أحد من أصحابه البتة، وهي مخالفة لسنته، وفي جوازها نظر، فإنها من لبس الخيلاء»[1] انتهى، وقد صار أشهر الناس بمخالفة هذه السنة في زماننا هذا العلماء، فيرى أحدهم وقد جعل لقميصه كمين يصلح كل واحد منهما أن يكون جبة أو قميصاً لصغير من أولاده أو يتيم، وليس في ذلك شيء من الفائدة الدنيوية إلا العبث وتثقيل المؤنة على النفس، ومنع الانتفاع باليد في كثير من المنافع وتعريضه لسرعة التمزق، وتشويه الهيئة، ولا الدينية إلا بمخالفة السنة والإسبال والخيلاء»[2].

٤- المنع من حضور الوليمة التي فيها منكر لمن لا ينكره:

بيَّن الإمام الشوكاني -رحمه الله- حرمة حضور الوليمة التي فيها منكر؛ لما يترتب على ذلك من المفاسد كما نقل كلام أهل العلم في هذه المسألة ليتبين القارئ الحكم الشرعي في هذه المسألة المهمة، فقال -رحمه الله-: «لا يجوز الدخول في الدعوة يكون فيها منكر مما نهى الله ورسوله عنه؛ لما في ذلك من إظهار الرضا بها. قال في الفتح وحاصله إن كان هناك محرم وقدر على إزالته فأزاله فلا بأس وإن لم يقدر فليرجع وإن كان مما يكره كراهة تنزيه فلا يخفى الورع....»[3].

وبعد فقد تبين من خلال ما مر عناية الإمام الشوكاني -رحمه الله- بالنهي عن المنكر في جانب الأخلاق والسلوك حيث أنكر لبس ثوب الشهرة، والأغاني والملاهي، وأنكر على بعض العلماء لبس الكم الواسع؛ لما فيه من الخيلاء، وأنكر حضور الوليمة

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد -ابن قيم الجوزية، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط ١/١٤٠، ط٢٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) نيل الأوطار -الشوكاني ٢/١٠٤.

(٣) المرجع السابق ٦/٢٣٢.

التي فيها منكر لمن لا ينكرها ولا شك أن كل هذه أخلاق ذميمة وسلوكيات سيئة متى ما ابتعد عنها المسلم عموماً والداعية على وجه الخصوص كان فيه سلامة لدينه وعرضه فحصلت له العدالة التي هي «استقامة الدين والمروءة»[١]

---

(١) مصطلح الحديث - الشيخ محمد بن صالح العثيمين ١٣.

الفصل الثالث
عوامل نجاح جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب و آثارها

المبحث الأول
عوامل نجاح جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب

المبحث الثاني
آثار جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب

المبحث الأول
عوامل نجاح جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب

المطلب الأول: نشأته الصالحة -رحمه الله-

المطلب الثاني: عنايته -رحمه الله- بعلم السنة النبوية

المطلب الثالث: ترفع الإمام الشوكاني -رحمه الله- عن حظوظ الدنيا

المطلب الرابع: توليه-رحمه الله-منصب القضاء العام في اليمن

المطلب الخامس: علاقته الجيدة-رحمه الله- مع الحكام

المطلب السادس: تأثره -رحمه الله- بالأئمة الأعلام

المطلب الأول
نشأته الصالحة -رحمه الله-

ما من شك في أن من عوامل نجاح أي إنسان -بعد توفيق الله- نشأته الصالحة، وهذه النشأة قد تكون في كنف الوالدين أو أحدهما، أو غيرهما ممن يمن الله على الإنسان بالنشأة عليه، وقد منّ الله -تعالى- على الإمام الشوكاني -رحمه الله- بنشأة صالحة أثرت -بتوفيق الله- على حياته العلمية والعملية، فقد نشأ في كنف والديه الصالحين، وفي أسرة علم وفضل ومكانة عالية في البلاد اليمنية.

أما عن تربية والده له فكما يقول الإمام الشوكاني -رحمه الله- :«ولقد بلغ معي إلى حد من البر والشفقة، والإعانة على طلب العلم والقيام بما أحتاج إليه مبلغاً عظيماً بحيث لم يكن لي شغلة بغير الطلب، فجزاه الله خيراً وكافأه بالحسنى»[1].

ويمكن الاستفادة من عبارة الإمام الشوكاني -رحمه الله- هذه الأمور:

الأول- أن بر الوالد وشفقته تجعل الابن -بتوفيق الله- يعيش في جو من الحنان والرحمة؛ فترتفع معنوياته، ويزول عنه الهم والحزن والشعور بالحرمان، فيبقى مرتاح البال طموحاً إلى معالي الأمور ومحاسنها، ويحرص على تحقيقها للجيل الذي يأتي بعده، وتؤثر في أخلاقه وسلوكه مع الناس تأثيراً إيجابياً.

الثاني- أن الإعانة على طلب العلم، وتفرغ الابن له من أقوى الأسباب في سرعة التحصيل العلمي والتفوق الدراسي، واختصار الوقت في الطلب، وهذا ما تيسر للإمام الشوكاني -رحمه الله- حيث إنه بدأ في طلب العلم مبكراً، بل إنه بدأ بالطلب على والده وغيره من العلماء وأفتى وألّف وهو ما زال شاباً.

الثالث- الدور الكبير للوالد في تحقيق النجاح -بإذن الله- لأولاده وأنه يبقى له هذا الخير ويحصل له من الأجر بصلاح أولاده ودعائهم له خصوصاً من الأولاد

---

(١) البدر الطالع -الشوكاني، ١/٤٨٤.

الصالحين أهل العلم والفضل، كما قال ﷺ : «إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[1].

الرابع- أن هذه الأمور مجتمعة أسهمت -بتوفيق الله- في نجاح دعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله- واحتسابه، حيث أقبل الناس على علمه، ووثقوا بما يقول، وصار رائداً في مجتمعه، مطاعاً فيهم، مسموع الكلمة، ذائع الصيت حتى في خارج اليمن.

ومن المعالم البارزة في نشأة الإمام الشوكاني -رحمه الله- الصالحة أن والده كان عالماً وقاضياً في صنعاء، وممن لهم دروس في بعض مساجد وجوامع صنعاء، وكان صاحب سيرة حسنة وهذا مما هيأ للإمام الشوكاني -رحمه الله- القدوة الصالحة والمثل الطيب الذي يقتدي به ويسير على نهجه.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ٣/١٢٥٥، رقم ١٦٣١، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب بر الوالدين بعد موتهما، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري- بقلم ناصر الدين الألباني ٤٥، رقم٢٧، ط٢، دار الصديق، الجبيل- المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

المطلب الثاني

عنايته -رحمه الله- بعلم السنة النبوية

كان الإمام الشوكاني -رحمه الله- محدثاً كبيراً أسهم في الحديث وميدانه بمؤلَّفات عديدة أثبت فيها غزارة علمه، وعلوَّ كعبه في هذا الفن وإحاطته ومعرفته العميقة والشاملة بمختلف علوم الحديث وفنونه كان هذا بتوفيق الله، ثم بما نشأ عليه من جد واجتهاد حيث « عكف في أوائل الطلب وميعة[١] الشباب على دراسة الحديث الشريف وعلومه بجهد كبير، وفهم حصيف، وإدراك بالغ، باعتراف شيوخه وهم كبار في عصره.[٢]

ومما يدل على عنايته بعلم السنة الكتب الحديثية التي ألفها، ومنهاعلى سبيل المثال:

أولاً- نيل الأوطار:

وهو أضخم كتاب ألفه الإمام الشوكاني-رحمه الله- وهو شرح لكتاب المنتقى من أخبار المصطفى صلى الله عليه وسلم لمجد الدين أبي بركات ابن تيمية[٣] وقد حدد لنفسه منهجاً يسير عليه في الكتاب على النحو التالي:

١- بيان حال الحديث وتفسير غريبه وما يستفاد منه بكل الدلالات.

٢- الإشارة -في الغالب- إلى بقية الأحاديث الواردة في الباب مما لم يذكر

---

(١) ميعة الشباب: أوله. انظر: القاموس المحيط-الفيروز آبادي، مادة (ماع)٩٨٨.

(٢) الإمام الشوكاني رائد عصره - د. حسين العمري ٣٢٥.

(٣) عبد السلام بن عبد الله الخضر بن محمد بن تيمية الحراني، أبو البركات، مجد الدين: فقيه حنبلي، محدث مفسر. ولد بحرّان سنة ٥٩٠ هـ، وحدث بالحجاز، والعراق، والشام، ثم ببلده حرّان، وتوفي بها، وكان فرد زمانه في معرفة المذهب الحنبلي، من كتبه: «تفسير القرآن العظيم» و«المنتقى في أحاديث الأحكام» و «المحرر» في الفقه، وهو جد الإمام ابن تيمية المتوفى سنة ٦٥٢هـ انظر: الأعلام -الزركلي ٦/٤.

في متن الكتاب.

٣- عدم ذكر تراجم رواة الأخبار؛ لكونها يمكن الوقوف عليها في مظانها، مع الإشارة في النادر إلى ضبط اسم راو ،أو بيان حاله على طريق التنبيه، لا سيما في المواطن التي هي مظنة تحريف أو تصحيف.

٤- جعل ما كان للمصنف من الكلام على فقه الأحاديث، وما يستطرده من الأدلة في غضونه من جملة الشرح في الغالب، ونسب ذلك إليه، وتعقب ما ينبغي تعقبه وتكلم على ما لا يحسن السكوت عليه مما لا يستغني عنه الطالب[١].

٥- مراعاة الاختصار عملاً بنصيحة شيخه عبد القادر الكوكباني[٢].

ثانياً- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة:

وهو من الكتب التي تدل على سعة اطلاعه على علم الحديث، ومعرفته بصحيحه من ضعيفه، وقد أراد من تأليف هذا الكتاب «تنبيه المقصرين في علم السنة على ما هو مكذوب على رسول الله ﷺ ليجتنبوه ويحذروا من العمل واعتقاد ما فيه، وإرشاد الناس إليه...»[٣].

وهذا مما يدل على حرصه على نصح الخلق وإفادتهم، وهذا من أخلاق الداعية الذي يحرص على هداية الناس وإصلاحهم خصوصاً في الجانب العلمي.

وقد استفاد الإمام الشوكاني -رحمه الله- في تأليفه لهذا الكتاب من مصادر

---

(١) انظر: نيل الأوطار -الشوكاني ٤/١.

(٢) انظر: البدر الطالع -الشوكاني ٣٦٥/١، ٣٦٦.

(٣) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة -الشوكاني ٣

متعددة[١] جميع ما تضمنته من الأحاديث الموضوعة[٢].

وقد بين منزلة هذا الكتاب بقوله: «فمن كان عنده هذا الكتاب، فقد كان عنده جميع مصنفات المصنفين في الموضوعات مع زيادة وقفت عليها في كتب الجرح والتعديل، وتراجم رجال الرواية، وتخريجات المخرجين وتصنيفات المحققين»[٣].

ثالثاً– در السحابة في مناقب القرابة والصحابة:

بين الإمام الشوكاني –رحمه الله– في مقدمة هذا الكتاب الباعث له على تأليفه هذا الكتاب بقوله: «وبعد فإنه لما كان للصحب الكرام، والآل العظام من المزايا ما تكل دونه الأقلام، على العموم والخصوص، من الظواهر والنصوص، أحببت إيراد طرف منها لإيقاظ من كان غافلاً عنها، وإن كان ذلك من إيضاح الواضح وتبيين الجلي»[٤].

وقد ساق في هذا الكتاب عدداً كثيراً من الأحاديث التي تدل على فضل الصحابة –رضي الله عنهم أجمعين– ولم يكتف بذلك بل ساق أيضاً شيئاً من مناقب التابعين، وسائر الأمة على الخصوص والعموم.

هذه نماذج من كتب الإمام الشوكاني –رحمه الله– الحديثية، وهناك غيرها

---

(١) مثل: كتاب الموضوعات لابن الجوزي، والمقاصد الحسنة للسخاوي، وتمييز الطيب من الخبيث لابن الدِّيبع، واللآلئ المصنوعة للسيوطي، وتخريج الإحياء للعراقي، وغيرها. انظر: الفوائد المجموعة – الشوكاني ٤.

(٢) انظر: الفوائد المجموعة –الشوكاني ٤.

(٣) المرجع السابق ٤.

(٤) المرجع السابق ٤.

أيضاً ككتاب تحفة الذاكرين، وكتاب قطر الولي على حديث الولي، وغيرهما.

والمقصود من إيراد هذه الكتب والحديث عنها: إقامة البرهان على عنايته بعلم السنة النبوية، واطلاعه الواسع على هذا الفن، وهذا بلا شك من عوامل نجاح جهوده في الدعوة والاحتساب، إذ إن[١] الداعية إذا أحاط بعلم السنة وثق الناس به وبصحة ما يستدل به من أحاديث وآثار، فاقتنع المدعوون بدعوته، وسار في دعوته على بصيرة واطمأن لما يقول.

ومما قاله -رحمه الله- في هذا الشأن: «ومعلوم أن كل من له فضل ورغبة في العمل، بما ورد عنه ﷺ من قول وعمل إذا لم يقف على حقيقة حال المنقول ولا درى أهو صحيح أو حسن أو معلول، فتَرَ نشاطه وانقبض انبساطه؛ لأنه لم يكن على ثقة لتردده بين طرفي الموافقة والمخالفة...»[٢].

---

(١) من المواضع التي يتعين فيها كسر همزة إنَّ إذا وقعت تالية لـ (إذ). انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك-أبو محمد ابن هشام الأنصاري، ومعه كتاب: عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك-محمد محيى الدين عبد الحميد ١/٣٣-٣٣٥، ط. المكتبة العصرية، بيروت، ب.ت.ط.

(٢) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ﷺ-الشوكاني ٢، ٣، ط. دار الكتاب العربي، ب.ت.ط.

المطلب الثالث

ترفع الإمام الشوكاني -رحمه الله- عن حظوظ الدنيا

زُهْدُ الإنسان فيما في أيدي الناس تزيدهم رغبة فيما عنده؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لرجل أتاه فقال : يارسول الله ! دلني على عمل، إذا أنا عملته، أحبني الله ،وأحبني الناس: فقال رسول الله ﷺ :«ازهد في الدنيا يحبك الله . وازهد فيما في أيدي الناس ،يحبوك»[١] .

يقول الحافظ ابن رجب[٢] -رحمه الله-: «وأما من زهد فيما أيدي الناس، وعفَّ عنهم، فإنهم يحبونه ويكرمونه لذلك، ويسود به عليهم، كما قال الأعرابي لأهل

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب :الزهد، باب:الزهد في الدنيا ،صحيح سنن ابن ماجه- الألباني ٣٩٢/٢ رقم ٣٣١٠ ،وسلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها - محمد ناصر الدين الألباني ٦٦١/٢ رقم ٩٤٤ط٤ المكتب الإسلامي ،بيروت- لبنان ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م .

(٢) الإمام الحافظ المحدث الفقيه زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، ولد في بغداد في ربيع الأول سنة ٧٠٦هـ، وسمع من أبي الفتح الميدومي وعدة ، وأكثر الاشتغال حتى مهر، وصنَّف شرح الترمذي، وجامع العلوم والحكم، والقواعد الفقهية، ولطائف المعارف، وذيل طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى.

انظر: ذيل طبقات الحفاظ للذهبي -جلال الدين السيوطي ٣٦٧/٥ ,٣٦٨، والأعلام -الزركلي ٢٩٥/٣.

البصرة: من سيد أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن[١]، قال: بم سادهم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم»[٢].

والإمام الشوكاني -رحمه الله- ضرب مثلاً عالياً في هذا المجال فكان -رحمه الله- يفتي الناس و«لا يأخذ على الفتيا شيئاً تنزهاً، فإذا عوتب في ذلك قال: أنا أخذت العلم بلا ثمن فأريد إنفاقه كذلك»[٣].

وهذا من منهج الأنبياء عليهم الصلاة واالسلام في دعوتهم لأقوامهم، كما قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿**ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلا على الله...**﴾[٤]، وكما قال عن هود عليه السلام: ﴿**يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون**﴾[٥].

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية:

---

(١) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر -رضي الله عنه- وكان سيد أهل زمانه علماً وعملاً، رأى عثمان وطلحة، والكبار -رضي الله عنهم-، وروى عن عمران بن حصين، والمغيرة بن شعبة، وعبد الرحمن بن سمرة، وغيرهم -رضي الله عنهم أجمعين-، وروى كذلك عن خلق من التابعين، وروى عنه أيوب، وشيبان النحوي، ويونس بن عبيد، وغيرهم كثير رحمهم الله. توفي سنة عشر ومائة في البصرة. انظر: الطبقات الكبرى -ابن سعد ٧/٧٩-٩٢، وسير أعلام النبلاء -الذهبي ٤/٥٦٣-٥٦٦، ٥٨٧.

(٢) جامع العلوم والحكم- الحافظ ابن رجب الحنبلي ٢/٢٠٥، ٢٠٦.

(٣) البدر الطالع -الشوكاني ٢/٢١٩.

(٤) سورة هود، الآية: ٢٩.

(٥) سورة هود، الآية: ٥١.

«أي: غرامة من أموالكم، على ما دعوتكم إليه، فتقولوا: هذا يريد أن يأخذ أموالنا وإنما أدعوكم وأعلمكم مجاناً»[(١)].

وقال تعالى عن خاتم الأنبياء ﷺ: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾[(٢)].

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح أجراً تعطونيه من عرض الحياة الدنيا ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ أي وما أريد على ما أرسلني الله تعالى به ولا أبتغي زيادة عليه بل ما أُمِرْتُ به أديته لا أزيد عليه ولا أنقص منه، وإنما أبتغي بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة»[(٣)].

وموقف الإمام الشوكاني -رحمه الله- من أخذ الأجرة على الفتيا يفيد فائدة مهمة هي: الإخلاص لله تعالى في التعليم، فإن تصرُّفَ الإمام الشوكاني -رحمه الله- دليل وعلامة على صدقه وإخلاصه في نشر العلم، وهو عامل من عوامل قبول ما عنده، وانتفاع الناس بعلمه: «ما أعظم هذا الموقف وأجله في زمن كان الطمع والجشع قد بلغ مبلغه»[(٤)].

والداعية يجب أن يكون مخلصاً في دعوته لا يريد من ورائها كسباً دنيوياً، ولا ثناء من الناس، إنما يقصد وجه الله تعالى، وهداية الناس على يديه، وهذا خير له

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان-الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ٤٣٠/٣.

(٢) سورة ص، الآية: ٨٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم -ابن كثير ٦٧/٤.

(٤) ديوان الشوكاني « أسلاك الجوهر »، تحقيق ودراسة: د.حسين العمري٢٤.

من كثير من متاع الحياة الدنيا، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال لعلي -رضي الله عنه-: «فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النَّعم»[1].

(١) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ٤/٢٤٦، ٢٤٧، رقم ٣٧٠١، ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ٤/١٨٧٢، رقم٢٤٠٦.

المطلب الرابع

توليه -رحمه الله- منصب القضاء العام في اليمن

من العوامل المهمة التي أسهمت -بتوفيق الله- في نجاح جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب: توليه منصب القضاء العام في اليمن.

وهذا المنصب منصب عظيم وخطير في الدولة الإسلامية .

ولقد كان من توفيق الله لأهل اليمن في ذلك العصر تولي الإمام الشوكاني -رحمه الله- لهذا المنصب، حيث مكنه -بتوفيق الله- من نشر دعوته السلفية، وقيامه بالاحتساب. ولا يغيب عن البال أنه مكث في القضاء مدة طويلة عاصر من خلالها ثلاثة أئمة[١] من أئمة اليمن، ولم يكن الإمام الشوكاني -رحمه الله- حريصاً على تولي هذا المنصب، ولا راغباً فيه، فلم يقبله إلا بعد استخارة، واستشارة، ورؤية إلى ما يترتب على عدم توليه له من مفاسد وشرور، وتسلط ذوي الأطماع الدنيوية، ثم إنه نظر إلى ترغيب الشرع للاشتغال به عند وجود القدرة على الحكم[٢].

«وربما أن الشوكاني رأى في منصب القضاء فرصة متاحة لنشر السنة وإماتة البدعة، والدعوة إلى طريق السلف الصالح، والتقليل من التقليد الأعمى بغير دليل ولا برهان مهما أمكن، ومن ناحية أخرى فإن منصب القضاء سيصد عنه كثيراً من التيارات المعادية التي تجمعت حوله»[٣].

ومما يبين كون القضاء عاملاً من عوامل نجاح جهوده في الدعوة والاحتساب: أنه اشترط لقبول هذا المنصب شروطاً معينة على الإمام منها أن ينفذ كل ما يأمره

---

(١) الإمام عند السابقين في اليمن يطلق على الحاكم.

(٢) انظر: الإمام الشوكاني حياته وفكره - د. عبد الغني الشرجي١٨٨.

(٣) الإمام الشوكاني مفسراً - د. محمد الغماري ٧٠

به بإنفاذه كائناً ما كان، ولو كان على الإمام نفسه، فاستجاب لذلك الإمام[١].

وما من شك في أن القضاء يحتاج إليه كثير من الناس في معاملاتهم والنزاعات التي بينهم، وهم بحاجة إلى من يقضي بينهم كما شرع الله تعالى ورسوله ﷺ، وإذا كان الإمام الشوكاني -رحمه الله- رئيس القضاة في عصره؛ فإن جميع القضاة تحت مسؤوليته، ومنفذون لتوجيهاته مما ينعكس إيجابا على مستوى القضاة الذين يتلقون التوجيهات والتعليمات منه -رحمه الله-، وإذا وقع من أحدهم خطأ أو تقصير حاسبهم عليه وصحح الخطأ الواقع، وهذا مكسب كبير لهؤلاء الناس.

وفي الجملة فـ «قد كان تولي الشوكاني للقضاء كسباً كبيراً للحق والعدل، فقد أقام سوق العدالة بين الناس وأنصف المظلوم من الظالم وأبعد الرشوة، وخفف من غلواء[٢] التعصب، ودعا الناس إلى مفهوم قوله تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[٣] ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾[٤] ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾[٥]»[٦].

---

(١) انظر: الإمام الشوكاني حياته وفكره - د. عبد الغني الشرجي ١٨٧.

(٢) الغُلَواء، بالضم وفتح اللام ويسكن: الغلو. القاموس المحيط-الفيروز آبادي، مادة (غلو).١٧٠٠.

(٣) سورة الحشر، الآية:٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٥) سورة الأحزاب، الآية:٢١.

(٦) الإمام الشوكاني مفسراً -د. محمد الغماري ٧١، ٧٢.

المطلب الخامس

علاقته الجيدة -رحمه الله- بالحكام

من العوامل التي كانت سبباً في نجاح جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب: قربه من الحكام، وعلاقته الجيدة بهم، وثقتهم به، ولا أدل على ذلك من اختيار الإمام المنصور[١] -رحمه الله- له لتولي منصب القضاء العام في اليمن، وهذا الاتصال -بتوفيق الله- مكنه من نشر دعوته الإصلاحية في اليمن والتخفيف من كثير من المنكرات أو إزالتها كما سيتبين ذلك -بإذن الله- عند الحديث عن آثار جهوده في الدعوة والاحتساب في المبحث الثاني من هذا الفصل.

ومما يبين قناعة الإمام الشوكاني -رحمه الله- بأهمية العلاقة الجيدة بالحكام، وأنه مما يجلب المصالح للأمة ويدفع المفاسد عنها، حديثه في أكثر من موضع عن هذه القضية وتأكيده عليها، فهو يقول -رحمه الله- : «فإن قلت: قد يكون من الملوك من هو ظالم جائر، قلت: نعم، لكن هذا المتصل بهم لم يتصل بهم ليعينهم على ظلمهم وجورهم، بل ليقضي بين الناس بحكم الله، أو يفتي بحكم الله، أو يقبض من الرعايا ما أوجبه الله، أو يجاهد من يحق جهاده، ويعادي من تحق عداوته، فإن كان الأمر هكذا، فلو كان الملك قد بلغ من الظلم إلى أعلى درجاته، لم يكن على هؤلاء من ظلمه شيء، بل إذا كان لأحدهم مدخل في تخفيف الظلم ولو أقل قليل، أو أحقر حقير، كان مع ما هو فيه من المنصب مأجوراً أبلغ أجر»[٢].

ثم يبين -رحمه الله- عاقبة امتناع أهل العلم والفضل عن مداخلة الملوك، وما يفضي إليه بقوله: «ولا يخفى على ذي عقل أنه لو امتنع أهل العلم والفضل والدين، عن مداخلة الملوك، لتعطلت الشريعة المطهرة، لعدم وجود من يقوم بها، وتبدلت

---

(١) سبقت ترجمته في ص٣٠، ٣١.

(٢) رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين -الشوكاني ٦٩، ٧٠.

المملكة الإسلامية بالمملكة الجاهلية في الأحكام الشرعية من ديانة ومعاملة، وعم الجهل وطم، وخولفت أحكام الكتاب والسنة جهاراً...»[١].

ولا شك أن هذا التقرير من الإمام الشوكاني -رحمه الله- يدل على عنايته بالاتصال بالسلاطين ، ثم هو يتحدث عن علم بالشريعة، وتجربة وممارسة من خلال اتصاله بحكام اليمن في عصره، وعلاقته الجيدة بهم، وهو يتحدث بأسلوب الداعية الناصح المشفق على أمته الذي يريد الصلاح لها، ويخشى عليها من الفتن واستيلاء أهل الشر على أمور المسلمين، وهذا من أخلاق الداعية المسلم الذي يريد الخير لأمته. وينبغي الإشارة إلى أن الإمام الشوكاني -رحمه الله- إنما عنى بهذا الحديث أهل العلم والفضل والدين، أما غيرهم ممن لهم مقاصد خبيثة وأطماع دنيوية، ويقصدون بتزلفهم إلى الحكام الوصول إلى أغراض سيئة، فهؤلاء يجب الحذر منهم ولو كانوا يتظاهرون بالصلاح والدين، فيعينون الحاكم على ظلمه بيده أو لسانه أو يسوغون له ذلك، أو يظهرون من الثناء عليه، مالا يجوز إطلاقه على مثله فإن «من كان هكذا، فهو من جنس الظلمة، وليس من الجنس الذي قدمنا ذكره من المداخلين لهم»[٢].

ومن النماذج التي تؤكد العلاقة الوثيقة بين الإمام الشوكاني -رحمه الله- وبين أئمة عصره أن الإمام المنصور «إذا سعى إليه ساع فيما فيه مخالفة لما قد حكم به شيخ الإسلام -يعني الإمام الشوكاني- اشتد غضبه وتغير مزاجه، ويقول: لم يكن معي إلا حاكم واحد، قد جعلته بيني وبين الله، ولم أعرف حاكماً سواه، فرضي الله عنه وغفر له، وتجاوز عنه، وكذلك ولده المتوكل على الله -رحمه الله- فإنه حذا حذو والده، وزاد في ذلك حتى إنه كان لا يصدر أمراً من أمر مملكته حتى يرسل وزيره

---

(١) رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين- الشوكاني ٧٤.

(٢) انظر: الإمام الشوكاني حياته وفكره -د. عبد الغني الشرجي ١٨٧.

حتى يشاور فيه شيخ الإسلام، ويعمل بما يراه، وكان إذا أنكر عليه شيخ الإسلام شيئاً أو عابه عليه، يكون جوابه عليه: إذا لم ترني صالحاً ما أنا فيه أقمتَ غيري لهذا الأمر، وسأكون معه سيفاً، ويحلف له مع ذلك أنه فاعل ما قاله، ويكرر ذلك منه مراراً فرحم الله المتوكل وغفر له، وكذلك ولده إمام الزمان، وبيضة الإسلام أمير المؤمنين المهدي لدين الله -رحمه الله- سلك في التعظيم مسلك أبيه وجده، رضي الله عنهما»[1]

---

(١) انظر: المرجع السابق١٨٧.

المطلب السادس

تأثره -رحمه الله- بالأئمة الأعلام

كان الإمام الشوكاني -رحمه الله- متأثراً في منهجه ودعوته ببعض الأئمة الأعلام الذين كانت لهم سابقة في العلم والفضل، والجهاد في سبيل الله وإصلاح الخلق.

ويعد هذا التأثر عاملاً من عوامل نجاح جهوده -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب، وأذكر من هؤلاء الأئمة الأعلام إمامين جليلين وعالمين مصلحين هما:

١- شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

٢- شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-.

أولاً- تأثره بشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-

لقد أثنى الإمام الشوكاني -رحمه الله- على شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- ومما قال فيه: «أنا لا أعلم بعد ابن حزم(١) مثله، وما أظنه سمح الزمان ما بين عصر الرجلين بمن شابههما أو يقاربهما»(٢).

---

(١) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الفقيه الحافظ، صاحب التصانيف، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ. نشأ في تنعُّمٍ ورفاهية، ورزق ذكاء مفرطاً، وذهناً سيالاً، وكتباً نفيسة كثيرة. أثنى عليه كثير من الكبار، من تصانيفه: المحلى بالآثار في شرح المحلى بالاختصار في الكتاب والسنة، ومداواة النفوس، والمغرب في تاريخ المغرب، والفصل بين أهل الأهواء والنحل، والالتباس فيما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس. توفي -رحمه الله- سنة ٤٥٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء -الذهبي ١٨/١٨٤-١٨٨، ومعجم المؤلفين- عمر كحالة ٧/١٦.

(٢) البدر الطالع- الشوكاني ١/٦٤.

أما موقفه من شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فكان موقفاً معتدلاً وسطاً بين الغالي والجافي، حيث يقول -رحمه الله-: «والناس قسمان في شأنه، فبعض منهم مقصر به عن المقدار الذي يستحق، بل يرميه بالعظائم، وبعض آخر يبالغ في وصفه ويجاوز الحد ويتعصب له، كما يتعصب أهل القسم الأول عليه.

وهذه قاعدة مطَّردة في كل عالم يتبحر في المعارف العلمية ويفوق أهل عصره، ويدين بالكتاب والسنة، فإنه لا بد أن يستنكره المقصرون، وتقع له معهم محنة بعد محنة، ثم يكون أمره الأعلى وقوله الأولى، ويصير له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين، ويكون لعلمه حظ لا يكون لغيره، وهكذا حال هذا الإمام، فإنه بعد موته عرف الناس مقداره، واتفقت الألسن بالثناء عليه إلا من لا يعتدّ به، وطارت مصنفاته واشتهرت مقالاته»[1].

وهذا الثناء على شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- من الإمام الشوكاني -رحمه الله- يفيد أنه كان من المعجبين به، وبدعوته الإصلاحية، وبمنهجه الذي سار عليه، وهو منهج السلف الصالح، وأنه كان متأثراً به سائراً على منهجه، كما هو واضح وجلي من خلال دعوته واحتسابه، لتصحيح العقيدة، وإزالة المنكرات. ويفيد أيضاً اعتدال الإمام الشوكاني -رحمه الله- في نظرته لهذا الإمام ، وهذا هو الموقف الشرعي الصحيح الذي ينبغي أن يكون عليه كل مسلم فضلاً عن الداعية إلى الله تعالى.

وقد كان بين الإمام الشوكاني، وبين شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمهما الله- شبه كبير في أمور يُسْتَشَفُّ منها تأثر الإمام الشوكاني بشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمهما الله-، ومنها:

١- كان الإمام الشوكاني -رحمه الله- محباً للعلم شغوفاً به منذ صغره، وقد

---

(١) البدر الطالع- الشوكاني ١/٦٥.

فاق أقرانه، وأفتى وهو شاب صغير، وهكذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فإنه برز في العلم مع سرعة الاستظهار، وقوة الجنان[1].

٢- كان الإمام الشوكاني -رحمه الله- قوياً في قول الحق شجاعاً لا تأخذه في الله لومة لائم، ومواقفه مع أئمة اليمن في النصح والاحتساب مشهودة ومشهورة، كما أن كتبه طافحة بذلك أيضاً خصوصاً في الدعوة إلى التوحيد والتحذير من ضده، والدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد. كما أن شيخ الإسلام -رحمه الله- قد عُرف بهذا، وله مواقف مشهورة مع بعض الحكام والأمراء والعلماء، تدل على قوته وجرأته، وكذلك كتبه مليئة بهذا، وهو أمر تميز به، وهذه الصفة سببت لهذين الإمامين -بإذن الله تعالى- حسد المعاصرين لهما وألَّبت عليهما الأعداء والمناوئين.

٣- دعا كل منهما إلى العقيدة الصحيحة، وإلى منهج السلف الصالح -رحمهم الله-، وإلى نبذ الشرك والبدع بأنواعها، كما دعا كل منهما إلى الاجتهاد ونبذ التقليد، وقد كتب الله لكتب هذين الإمامين -رحمهما الله- القبول والانتشار خصوصاً في بلاد الهند وفي البلاد السعودية.

ثانيا- تأثره بشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-

كان الإمام الشوكاني -رحمه الله- من المعاصرين لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- حيث أدركه في آخر حياته، حيث ولد الأول سنة ١١٧٣هـ، وتوفي سنة ١٢٥٠هـ، وولد الثاني سنة ١١١٥هـ، وتوفي سنة ١٢٠٦هـ، فيكون الشوكاني -رحمه الله- قد ولد وعمر الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله ٥٨ سنة، وعاش في عصره ٣٣ سنة، وقد كان الإمام الشوكاني -رحمه الله- من المعجبين بشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- ومما يدل على ذلك

---

(١) انظر: البدر الطالع - الشوكاني ٦٤/١.

ويبينه: رثاؤه له بعد موته بقصيدة طويلة مطلعها:

مصاب دهى قلبي فأذكى غلائلي وأصمى بسهم الافتجاع مقاتلي[١]

ويعد الإمام الشوكاني -رحمه الله- من المتأثرين بدعوة شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب[٢] -رحمه الله-، فقد «سار على نفس نهج الإمام محمد بن عبد الوهاب المعاصر له، وإن لم يتلقه عنه، ودون أن يكون تلميذاً له»[٣].

وقد أثنى الإمام الشوكاني -رحمه الله- على شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- بقوله: «الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب الداعي إلى التوحيد المنكر على المعتقدين في الأموات»[٤].

وقد كان تأثر الإمام الشوكاني -رحمه الله- بشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- واضحاً جلياً في صور متعددة من أبرزها: الدعوة إلى التوحيد الخالص ونبذ الشرك بجميع أنواعه ووسائله، وقيام دعوتهما على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق منهج السلف الصالح، وكذلك اعتماد دعوتهما على فقه الكتاب والسنة ودعوتهما إلى الاجتهاد ونبذ التقليد، ومن أهم الأمور التي تأثر الإمام الشوكاني -رحمه الله- فيها بشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-

---

(١) انظر: ص٢٧ من هذه الرسالة.

(٢) انظر: حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، د. محمد ابن عبد الله السلمان ١١٥، مجلة البحوث الإسلامية، العدد٢١، جمادى الآخرة ١٤٠٨هـ.

(٣) تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - الدكتور وهبة الزحيلي ٢/٣٣٧، ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٤) البدر الطالع -الشوكاني ١/٢٦٢.

قيام دعوته على الحكام، حيث إن الدعوة لا يمكن أن تؤتي ثمارها، ويكتب لها الانتشار في الأقطار بعد فضل الله إلا بمؤازرة الحكام ومناصرتهم لهذه الدعوة، وهذا ما كان شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب حريصاً عليه، حيث اتفق مع الإمام محمد بن سعود -رحمه الله- على إقامة دولة إسلامية دستورها القرآن الكريم والسنة النبوية، تحكم بشرع الله تعالى بين عباده وتجاهد لإقامة دينه، ونشر الدعوة في أقطار الجزيرة العربية.

ودعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله- دعوة دينية وسياسية كما هو الحال في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- وإن كان اهتمامهما بالإصلاح الديني أكثر من اهتمامهما بالإصلاح السياسي[(١)].

ودعوة هذين الإمامين الجليلين امتداد للدعوة السلفية التي جددها وجاهد في سبيلها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فإن «المتتبع لكتابات كل من الإمامين (محمد بن عبد الوهاب)، و(محمد بن علي الشوكاني) يجد أنهما تفاعلا معاً بمنهج وتراث الإمام ابن تيمية -رحمه الله-، فقد دعا كل منهما إلى التوحيد الخالص من شوائبه المنتشرة في المجتمع الإسلامي، وإلى محاربة البدع، والتقليد الأعمى»[(٢)].

---

(١) انظر: حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، د. محمد ابن عبد الله السلمان ١٢٨.

(٢) الإمام الشوكاني حياته وفكره - د. عبد الغني الشرجي ٥٤.

المبحث الثاني
آثار جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب

المطلب الأول: آثار جهوده -رحمه الله- في الدعوة

المطلب الثاني: آثار جهوده -رحمه الله- في الاحتساب

المطلب الأول

آثار جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة

١- خروج كفايات من العلماء الأكفاء:

اهتم الإمام الشوكاني -رحمه الله- بتدريس الطلاب وتربيتهم وإعدادهم؛ ليكونوا علماء ودعاة إلى الله تعالى.

ومما تميز به الإمام الشوكاني -رحمه الله- مع تلاميذه: حسن العلاقة بهم، ودوام الصلة بهم، حتى بعد عودتهم إلى أوطانهم، وتوليهم المناصب، ومن الأمثلة على ذلك: علاقته الحميمة بتلميذه عبد الرحمن بن أحمد الضمدي(١)، فقد قال الإمام الشوكاني -رحمه الله- واصفاً العلاقة الحميمة والمحبة الإيمانية بينهما: «ثم ما زال بعد رجوعه إلى وطنه يكاتبني بالأشعار الرائقة، فأجيب عليه بمضمون ما يكتبه إليّ، وهو مع ذلك يتأسف على مفارقتي، وأتأسف على مفارقته؛ لما بيني وبينه من المودة الصادقة، والمحبة الزائدة التي تفوق الوصف، بل قد لا يتفق مثلها بين الأخوين الشقيقين. وقد جرت بيني وبينه من المطارحات الأدبية نظماً ونثراً ما لا يتسع له إلا مجلد»(٢).

ولا شك أن هذه العلاقة من أسباب تأثر التلاميذ بشيخهم وارتباطهم به.

وكان من ثمرة تعليم الإمام الشوكاني -رحمه الله- لتلاميذه وحسن علاقته بهم توليتهم المناصب فقد «أُسْنِدت إليهم مناصبُ قيادية، وتعليمية، سواء في مجال القضاء، والإفتاء، أو التدريس....»(٣).

---

(١) سبقت ترجمته في ص٧٨ من هذه الرسالة.

(٢) البدر الطالع -الشوكاني ٣١٩/١.

(٣) الإمام الشوكاني حياته وفكره -د. عبد الغني الشرجي ٢٧٥.

وممن تولى التدريس: أخوه يحيى[١]، فقد وصفه الإمام الشوكاني -رحمه الله- بقوله: «فتح الله عليه بالمعارف، وجعله من العلماء العاملين.... وصار الآن يقرئ الطلبة في علوم متعددة آلية، وتفسيرية، وحديثية: كالأمهات، وغيرها... وهو كثر الله فوائده ومتع بحياته جيد النظم إلى الغاية القصوى، وله من ذلك قصائد فرائد»[٢].

وممن تولى منصب القضاء مع اشتهاره بالأدب والعلم من تلاميذ الإمام الشوكاني: عبد الرحمن بن أحمد الضمدي، وقد أثنى الإمام الشوكاني -رحمه الله- على حسن توليه منصب القضاء، مع قدرته الأدبية والعلمية بقوله: «وقد باشره مباشرة حسنة بعفة ونزاهة وحرمة كاملة وصدع بالحق بحسب الحال ومقدار ما يبلغ إليه الطاقة... وله قدرة على النظم والنثر، وملكة كاملة في جميع العلوم عقلاً ونقلاً، ولا يقلد أحداً، بل يجتهد برأيه، وهو حقيق بذلك»[٣].

وقد اشتهر بالتدريس والإفتاء: أحمد بن عبد الله الضمدي[٤]، فقد قال عنه شيخه الشوكاني -رحمه الله-: «ثم بعد وصوله إلى بلده عكف عليه الطلبة من أهلها، ورغبوا فيه، وأخذوا عنه فنوناً من العلم، وعظم شأنه هنالك، وصار المرجع في

---

(١) سبقت ترجمته في ص٧٧ من هذه الرسالة.

(٢) انظر: البدر الطالع - الشوكاني ٢/٣٣٩، ٣٤٠.

(٣) انظر: المرجع السابق، ١/٣٢٠.

(٤) ولد سنة ١١٧٠هـ، وقرأ ببلده على من بها من أهل العلم، ثم ارتحل إلى صنعاء، فأخذ عن جماعة من أكابر علمائها كالشيخ عبد القادر بن أحمد، والقاضي العلامة أحمد بن محمد قاطن، وعاد إلى وطنه، وقد برع في الفقه والحديث والعربية، وأصبح مفتياً، توفي -رحمه الله- سنة١٢٢٢هـ تقريباً. انظر: المرجع السابق ١/٧٦، ٧٧.

التدريس والإفتاء في ضمد وغيرها كصبيا وأبي عريش»[١].

هؤلاء جملة ممن تتلمذوا على الإمام الشوكاني -رحمه الله- وأمثالهم كثير تبين مدى تأثرهم بشيخهم. وهم بلا شك أثر من آثار جهوده -رحمه الله- في الدعوة إلى الله تعالى، بل إن هذا الأمر يعد من أبرز الآثار، حيث إنه أثر يمتد زمناً طويلاً -بإذن الله-، ونفعه متعد لكثير من الناس على اختلاف العصور، فكل جيل يعلم الجيل الذي بعده، وهكذا يتوارث العلم، ويتناقله الخلف عن السلف، ويتبين هذا الأثر ويظهر واضحاً إذا علم أن من هؤلاء التلاميذ من كانت له عناية بمؤلفات شيخه كالسيد عبد الله بن عامر الحوثي الصنعاني[٢]، فإنه اشتغل بكتابَي نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، والسيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار للإمام الشوكاني -رحمه الله- نسخاً بخطه مع عناية كاملة[٣].

٢- انتشار مؤلفاته النافعة:

من الأشياء التي أعلت من شأن الإمام الشوكاني -رحمه الله- ورفعت من منزلته وجعلت له ذكراً حسناً في الآخرين: مؤلفاته النافعة التي سارت بها الركبان.

وهي مؤلفات متنوعة في فنون مختلفة وهي -بلا شك- أثر من آثار جهوده

---

(١) البدر الطالع - الشوكاني ١/٧٧.

(٢) السيد الفاضل العلامة عبد الله بن عامر الحوثي الصنعاني، أخذ الفقه عن شيخ الإسلام الشوكاني واستفاد منه، وقرأ عليه في شرحه للمنتقى، وفي مؤلفه السيل الجرار، واشتغل بتحصيل هذين الكتابين بخطه مع عناية كاملة، وله حظ في العبادة، ورغوب إلى العلم مع سيما أهل الصلاح، واشتغاله بخاصة نفسه، وهو من قدماء تلاميذ شيخ الإسلام الشوكاني -رحمه الله-. انظر: التقصار في جيد زمن علامة الأقاليم والأمصار-محمد بن حسن الشجني ١٢١ أ. مخطوط محفوظ، في مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض، قسم المخطوطات، ٢٦٢، H، مجموعة برينستون (جاريت).

(٣) انظر: المرجع السابق ١٢١ أ

-رحمه الله- في الدعوة إلى الله تعالى؛ فإنها من العلم الذي ينفع، ويبقى لصاحبه أجره بعد موته؛ كما قال ﷺ : «إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[١].

وقد بذل في هذه المؤلفات جهداً كبيراً رغم اشتغاله بالقضاء العام في اليمن، حتى خرج هذا التراث الضخم الذي انتفع به الناس في تخصصات مختلفة، وفيما يلي أذكر جملة من مؤلفات الإمام الشوكاني -رحمه الله- المطبوعة مع الإشارة إلى ما تيسر من طبعاتها، وأماكن طباعتها ونشرها، وتاريخ تلك الطبعات؛ لأدلل بذلك على انتشار هذه المؤلفات النافعة:

١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: طبع مصطفى البابي الحلبي، عام ١٣٨٣هـ[٢]، وقد طبعته دار الفكر في بيروت عام١٤٠٣هـ.

٢- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار: طبع مطبعة الحلبي، سنة ١٣٤٧هـ والعثمانية ١٣٥٧هـ[٣]، كما طبعته دار الجيل في لبنان سنة ١٩٧٣م.

٣- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: المطبعة المنيرية ١٣٤٧هـ، ومطبعة السعادة سنة ١٣٦٥هـ، ومطبعة الحلبي سنة ١٣٥٦هـ[٤]، وطبعته مؤسسة الكتب الثقافية في بيروت الطبعة الرابعة عام١٤١٤هـ.

---

(١) سبق تخريجه في ص ٢٢٠ من هذه الرسالة.

(٢) الإمام الشوكاني حياته وفكره- د. عبد الغني الشرجي٢٠٠.

(٣) الإمام الشوكاني مفسراً- د. محمد الغماري٩٨.

(٤) المرجع السابق٩٦.

٤- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: مطبعة الشؤون الإسلامية بمصر عام ١٣٩٠هـ[1]، وقد طبع طبعته الأولى الكاملة بتحقيق: محمود إبراهيم زايد في دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٥- الدراري المضيئة شرح الدرر البهية: مطبعة مصر ١٩٢٨م[2]، وطبع طبعة أولى في مؤسسة الكتب الثقافية في بيروت عام١٤٠٩هـ.

٦- وبل الغمام على شفاء الأوام: طبع طبعته الأولى المحققة بتحقيق: محمد صبحي حسن حلاق عام١٤١٦هـ في مكتبة ابن تيمية في القاهرة.

٧- الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية ﷺ : الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ويحتوي هذا الكتاب على ثمان رسائل:

الرسالة الأولى: شرح الصدور في تحريم رفع القبور.

الرسالة الثانية: رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة.

الرسالة الثالثة: الدواء العاجل في دفع العدو الصائل.

الرسالة الرابعة: إرشاد السائل إلى دلائل المسائل.

الرسالة الخامسة: كشف الشبهات عن المشتبهات.

الرسالة السادسة: التحف في مذاهب السلف.

الرسالة السابعة: الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد.

الرسالة الثامنة: القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد.[3]

٨- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ﷺ:

---

(١) الإمام الشوكاني مفسرا- د. محمد الغماري ٩٧.

(٢) المرجع السابق٩٧.

(٣) الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية ﷺ- الشوكاني٢٥٣.

مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٥٠هـ[1]، وطبعته دار الكتاب العربي في بيروت بدون تاريخ ولا طبعة.

٩- العقد الثمين في إثبات وصاية أمير المؤمنين: المطبعة المنيرية ١٣٤٨هـ[2]، وطبعته مكتبة الصحابة في جدة بدون تاريخ ولا طبعة، وقامت بتوزيعه: مكتبة التابعين في القاهرة.

١٠- أدب الطلب ومنتهى الأرب: قام بطبعه وتحقيقه ونشره مركز الدراسات اليمنية والأبحاث العلمية في الجمهورية العربية اليمنية بصنعاء، بتاريخ١/٩/١٩٧٩م، وقد حذف من عنوانه: منتهى الأرب[3]، وقد طبع طبعة أولى عام ١٤١٥هـ، وعلق عليه وخرج أحاديثه: محمد صبحي حسن حلاق ونشرته مكتبة ابن تيمية في القاهرة، وقامت بتوزيعه دار المعراج الدولية في الرياض.

١١- رفع الباس عن حديث النفس والهم والوسواس: طبع طبعته الأولى عام ١٤١٥هـ بتحقيق علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، قامت بطبعه مكتبة الغرباء الأثرية في المدينة في المملكة العربية السعودية.

١٢- الأجوبة الشوكانية عن الأسئلة الحفظية: وهو في الأصل رسالة ضمن مجموع مخطوطات من رسائل الإمام الشوكاني -رحمه الله- يخص أحد علماء اليمن المعاصرين قام بإهدائه إلى أحد طلبة العلم رغبةً في نشره، وعن طريقه وصل إلى محقق الكتاب: عبد الآخر الغنيمي وليس

---

(١) الإمام الشوكاني مفسراً-د. محمد الغماري٩٦.

(٢) المرجع السابق٩٨.

(٣) الإمام الشوكاني حياته وفكره- د. عبد الغني الشرجي١٩٨.

للرسالة عنوان وإنما وضعه المحقق[١]. وقد طبعته دار الأخلاء في الدمام في المملكة العربية السعودة عام ١٤١٥هـ.

١٣- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: طبع في الهند سنة ١٢٠٣هـ، ثم بمصر في المطبعة المحمدية سنة١٣٨٠هـ، وقد طبع عام ١٣٨٠هـ في القاهرة، وفي عام ١٣٩٢هـ في بيروت عن المكتب الإسلامي بتحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وأشرف على طبعه: زهير الشاويش.

وأحب أن أتحدث عن أربعة من أهم هذه الكتب؛ لبيان عظم شأنها ومدى انتفاع الناس بها في أمور دينهم وهي في تخصصات مختلفة:

• **الكتاب الأول**: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: يقع الكتاب في خمسة مجلدات ، وهو تفسير للقرآن الكريم كاملاً، وقد ذكر المؤلف الباعث له على تأليف هذا التفسير بأن المفسرين انقسموا إلى فريقين: فريق اعتنى بالرواية وأهمل الدراية، والفريق الآخر اهتم بالدراية وأهمل الرواية، فأراد -رحمه الله- الجمع بين هاتين الطريقتين، وقد سار على منهج خطه لنفسه فيما يلي:

١- الترجيح بين التفاسير المتعارضة مهما أمكن واتضح له وجهه.

٢- أخذه من بيان المعنى العربي والإعرابي والبياني بأوفر نصيب.

٣- الحرص على إيراد ما ثبت من التفسير عن رسول الله ﷺ، أو الصحابة، أو التابعين، أو تابعيهم، والأئمة المعتبرين[٢].

• **الكتاب الثاني**: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: وهو نقد لكتاب

---

(١) انظر: الأجوبة الشوكانية عن الأسئلة المفظية- محمد بن علي الشوكاني، حققه وخرج أحاديثه: عبد الآخر الغنيمي،١٠، ١١، ط١، دار الأخلاء للنشر والتوزيع، الدمام ١٤١٥هـ-١٩٩٥.

(٢) انظر: فتح القدير- الشوكاني١/١٢، ١٣.

(الأزهار) الذي أُلِّف على المذهب الزيدي في الفقه، ويقع في أربعة مجلدات.

وكان الباعث للإمام الشوكاني-رحمه الله- على تأليف هذا الكتاب ما ذكره بقوله: «فإن مختصر الأزهار لما كان مدرَس طلبة هذه الديار في هذه الأعصار، ومعتمدهم الذي عليه في عباداتهم ومعاملاتهم المدار، وكان قد وقع في كثير من مسائله الاختلافُ بين المختلفين من علماء الدين والمحققين من المجتهدين: أحببت أن أكون حكماً بينه وبينهم، ثم بينهم وبين أنفسهم عند اختلافهم في ذات بينهم»[١].

وهو كتاب يضم أبواب الفقه في العبادات والمعاملات.

- **الكتاب الثالث**: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: وهو كتاب في أصول الفقه، ويقع في مجلد واحد، ويشتمل على كثير من مباحث أصول الفقه: كالأحكام، والحقيقة والمجاز، والمحكَم والمتشابِه، وتعارض الأفعال، والخبر، والإجماع، والمطلق، والمقيد، والناسخ، والقياس، والاجتهاد، والتقليد، وغيرها من المباحث.

- **الكتاب الرابع**: شرح الصدور في تحريم رفع القبور: وهو رسالة صغيرة تقع في ٤٧ صفحة، وقد «أوضح فيها خطر المخالفة لأوامر الله ورسوله، وبيَّن ضرر البناء على القبور، وأنها لا تعود على الإسلام والمسلمين بفائدة، بل هي مجلبة للشركيات والبدع والخرافات.

وأثبت الأدلة التي تحذر من البناء على القبور، واتخاذها مساجد»[٢]

ولا شك أن هذا من الجهاد بالقلم، فقد بذل فيها جهداً كبيراً، وقد «غذاها بفكره وقلبه، ورعاها حتى اكتملت، وهجر لأجلها العيش المستريح، والمكاسب

---

(١) السيل الجرار- الشوكاني ٣/١.

(٢) شرح الصدور في تحريم رفع القبور-الشوكاني٧.

الدنيوية»[١].

ويتبين عظم شأن هذه المؤلفات وأثرها الدعوي على اليمن بخاصة، وعلى العالم الإسلامي بعامة إذا علم أنها من النفائس المحفوظة والكنوز الثمينة المحتفظ بها في المكتبات وتتداولها دور النشر، ففي مكتبة الجامع الكبير في صنعاء كثير من مخطوطات الإمام الشوكاني -رحمه الله-[٢].

ومما يبين العناية بها من قبل الحكومة اليمنية ما ذكره أحد الباحثين بقوله: «اضطر الباحث إلى أن يستخرج أمراً من رئيس الجمهورية، وأمراً آخر من نائب رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الشعب اليمني يقضيان بتسهيل أمر الاطلاع والتصوير للمخطوطات، وقد مُكِّن من الاطلاع اليومي، وهو أمر ميسر لكل باحث، ولكن التصوير لم يُتَحْ للباحث إلا بعد مُضِيٍّ أكثر من خمسة أشهر من الاطلاع»[٣].

وقد تنافس المحققون وأقبلوا على تحقيق مخطوطات الإمام الشوكاني -رحمه الله- وتنافست دور النشر في عدد من الدول الإسلامية في طباعة كتبه -رحمه الله تعالى- كمكتبة ابن تيمية في القاهرة، ودار الكتاب العربي في لبنان، ودار الكتب العلمية في لبنان، ودار ابن خزيمة في المملكة العربية السعودية، وغيرها من دور النشر.

٣- انتشار الدعوة السلفية:

لقد نادى الإمام الشوكاني -رحمه الله- بالدعوة إلى الكتاب والسنة نداء قوياً، واعتنى بكتب الحديث النبوي دراسة وتدريساً وتأليفاً، ومن أبرزها: المنتقى من أخبار

---

(١) فقه النوازل - بكر بن عبد الله أبو زيد، ١٨٣، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦.

(٢) انظر: الإمام الشوكاني حياته وفكره -د. عبد الغني الشرجي ٢٥٩-٦٦٦.

(٣) المرجع السابق٣٣.

المصطفى ﷺ[1] حيث شرحه بكتاب نيل الأوطار.

وكان -رحمه الله- يدعو إلى التوحيد ويحذر من ضده، ويدعو إلى منهج السلف الصالح -رضوان الله عليهم أجمعين- وكان من آثار ذلك انتشار الدعوة السلفية في اليمن «فمدرسة الشوكاني السلفية الاجتهادية لا تزال قائمة في اليمن وتلاميذه كلهم على مبدأ الاجتهاد»[2]، وكان هذا بفضل الله تعالى أولاً، ثم بمكانة الإمام الشوكاني -رحمه الله- في المجتمع اليمني حيث كان رئيس القضاء في اليمن، وله المنزلة العالية عند حكام اليمن في عصره. وكان -رحمه الله- يوجه الحكام ليبعثوا من يعلم الناس أمور دينهم: كالصلاة، والزكاة وغيرها[2].

ثم إنه لم يدخل في منصب القضاء إلا من أجل نشر السنة، وإماتة البدعة، وقطع الطريق أمام المبتدعة والمقلدة حتى لا يظفروا بهذا المنصب، فيفسدوا أمر المسلمين في الديار اليمنية. ولم يكن انتشار الدعوة السلفية مقتصراً على اليمن بل

---

(١) هذا الكتاب من تأليف الشيخ العلامة: مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية الحراني جد شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمهما الله-. وهو كتاب يشتمل على جملة من الأحاديث النبوية التي ترجع أصول الأحكام إليها، ويعتمد علماء الإسلام عليها. انتقاها مؤلفها من صحيحي الإمام البخاي والإمام مسلم، ومسند الإمام أحمد، وجامع الترمذي، وسنن النسائي، وسنن أبي داود، وسنن ابن ماجه. وقد رتب الأحاديث على ترتيب فقهاء أهل زمانه. بدأ الكتاب بكتاب الطهارة وختمه بكتاب الأقضية والأحكام. انظر: المنتقى من أخبار المصطفى ﷺ -مجدالدين أبو البركات عبد السلام بن تيمية الحراني، وقف على تصحيحه وتعليق هوامشه: محمد حامد الفقي ١/ ط دار المعرفة، بيروت-لبنان ب.ت.ط.

(٢) الإمام الشوكاني حياته وفكره -د. عبد الغني الشرجي٢٣.

(٢) انظر: الإمام الشوكاني رائد عصره -د. حسين العمري ١٢٥.

حتى خارج اليمن، وأبرز دولة تأثرت به: الهند على يد السيد صديق حسن القنوجي[١] -رحمه الله- وصارت ولا زالت هناك مدرسة تسمى الشوكانية. وسيأتي مزيد تفصيل لهذا عند الحديث عن أثر دعوته -رحمه الله- على أهل الحديث في الهند -إن شاء الله تعالى-.

٤- أثر دعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله- على (أهل الحديث) في الهند.

أهل الحديث من الحركات السلفية في الهند التي تعتمد على الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح وقد «قاد هذه الحركة العلمية والإصلاحية مجددا عصرهما: الإمام النواب صديق حسن البوفالي، والإمام السيد نذير حسين المحدث الدهلوي[٢]... وكانت هذه المدرسة السلفية متأثرة بفكر الإمام إسماعيل

---

(١) ستأتي ترجمته -بإذن الله- في الفقرة الرابعة من هذا المطلب في ص٢٥٢.

(٢) نذير حسين بن جواد البهاري ثم الدهلوي، ولد سنة ١٢٢٠هـ بقريته سورج كدها، ونشأ بها، وتعلم الخط والإنشاء، وتلقى العلم على عدد من العلماء في الهند، وهو حسن العقيدة، ومن الداعين إلى العمل بالكتاب والسنة، وله رسائل عديدة أشهرها: معيار الحق، والمسائل الأربع، توفي سنة ١٣٢٠هـ. انظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)-عبد الحي بن فخر الدين الحسني ٥٢٣/٨-٥٢٧، ط مكتبة دار عرفان، دارة الشيخ علم الله، رائي بريلي (الهند) ١٤١٣هـ-١٩٩٣م ب.ط.

الشهيد[1] الواضح النير، ومنهجه السلفي القويم الذي كان يهدف إلى دعوة الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة على نهج السلف الصالح. وكان شعار أصحاب هذه المدرسة العمل بالحديث، وعدم التقيد بالتقليد، والاجتناب عن التصوف الشكلي.... وقد قام أهل الحديث هؤلاء بنشر بعض الكتب ومنها: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة»[2]، وقد تأثر أهل الحديث في الهند بدعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله-، حيث كانت لهم عناية كبيرة بالسنة والعقيدة الصافية، مع الدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد.

يقول الشيخ محمد حامد الفقي[3] -رحمه الله- مثنياً على أهل الحديث في الهند: «وقد طبع المنتقى بالهند عدة مرات وكان إخواننا الهنود بذلك سابقين إلى

---

(١) الشيخ العالم العلامة المجاهد في سبيل الله إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي، أحد أفراد الدنيا في الذكاء والفطنة والشهامة وقوة النفس والصلابة في الدين، ولد بدهلي سنة ١١٩٣هـ، وتوفي والده في صباه، فتربى في عهد عمه الشيخ عبد القادر بن ولي الله الدهلوي، وقرأ عليه الكتب الدرسية، واستفاد من عميه: الشيخ رفيع الدين، والشيخ عبد العزيز أيضاً، ولازمهم مدة طويلة، ثم لازم السيد الإمام أحمد عرفان الشهيد. من مصنفاته: الصراط المستقيم بالفارسي، وإيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح، وغيرهما. توفي -رحمه الله- سنة ١٢٤٦هـ انظر: المرجع السابق. ٦٦/٧، ٦٨، ٧١.

(٢) انظر: جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة- د. عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي ٩٣-٩٨، ط٢، إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية، بنارس-الهند، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٣) محمد حامد الفقي من علماء الدين، ولد سنة ١٣٠٩هـ في نكلى العنب إحدى قرى مديرية البحيرة بمصر، فحفظ القرآن، ثم التحق بالأزهر، ونال شهادة العالمية، وأسس جماعة أنصار السنة المحمدية، ودرّس بالمعهد العلمي بمكة، ثم عاد إلى مصر فأشرف على طبع عدد من كتب الدين والعلم، وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٧٨هـ، ومن آثاره: أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها. انظر: معجم المؤلفين-عمر كحالة ١٧٢/٩، ١٧٣.

الفضل وخدمة الحديث، كما أن لهم في هذا الميدان آثاراً طيبة، بارك الله فيهم، فهم أصحاب اليد المحمودة في رفع لواء السنة ونشر عبيقها اليوم في أرجاء المعمورة»[١]

«إن حركة أهل الحديث ملتقى حركات ابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، والشوكاني، وحركة الدهلوي -رحمهم الله- للرجوع إلى دين السلف الصالح، والتي تهدف إلى القضاء على المبتدعات، وتحرير المسلمين من التقليد الجامد للأئمة المجتهدين وأتباعهم بدون دليل، ثم دعوة الناس إلى أصل الكتاب والسنة في العقائد والأعمال واتباع طريق السلف الصالح»[٢].

وسأتحدث -بعون الله تعالى- عن شخصيتين بارزتين من أهل الحديث في الهند ممن تأثروا بدعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله- ليتبين أثر دعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله- على هذه الجماعة السلفية. وهاتان الشخصيتان هما:

أولاً- الشيخ العلامة عبد الحق البنارسي.

ثانياً- السيد صديق حسن القنوجي.

أولاً- الشيخ العلامة عبد الحق البنارسي:

«وهو الشيخ العالم المحدث عبد الحق بن فضل الله العثماني النيوتيني ثم البنارسي، أحد العلماء المشهورين، ولد بقرية نيوتيني من أعمال موهان سنة ١٢٠٦هـ، وقرأ على بعض العلماء، ثم سافر إلى مكة المباركة للحج، وسافر كذلك إلى اليمن والتقى ببعض العلماء ومنهم الإمام الشوكاني -رحمه الله-. وللشيخ عبد الحق رسالة في قصة سفره إلى صنعاء اليمن، ورجوعه منها إلى بلاد الهند، قال فيها: إني ارتحلت من مدينة الرسول ﷺ عازماً إلى مدينة صنعاء الحميمة؛ لزيارة العالم الرباني محمد بن علي الشوكاني، فتحملت على نفسي مشاق الأسفار،

---

(١) المنتقى من أخبار المصطفى ﷺ - مجد الدين ابن تيمية ١/ت مقدمة المعلق.

(٢) جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة-د. عبد الرحمن الفريوائي ٨٥، ٨٦.

وتجرأت عليه بجوب البراري والبحار ومصائب الأمطار، حتى وصلت إلى المدينة المذكورة، ونزلت في بيت من بيوتها، ثم كتبت إليه كتاباً وأرسلته صحبة بعض الناس فطلبني في ساعته وأكرمني غاية الإكرام، وسألني عن مدة عمري وما درست فيه، ثم أعطاني نسخاً من مؤلفاته وأمرني بمطالعتها حتى طالعت أكثرها، وكنت أتشرف بزيارته في يومي درسه الاثنين والخميس، وأسمع منه، فكان الشيخ يحل الغوامض والمعضلات حق حلها، فبينما أنا على هذا الحال إذ بليت بالحمى فبقيت محموماً زماناً طويلاً، ثم عافاني الله تعالى من ذلك. وإذا بالشيخ قد عزم على السفر فسرت إلى حضرته وودعته وكان ذلك يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة١٢٢٨هـ، فتلطف بي وعطف عليَّ فقرأت عليه غالب المسلسلات، ثم أجازني بجميع ما له من المرويات، وكتب لي كتاب الإجازة بيده الشريفة، وأعطاني ثبته (إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر) وأشار إليّ بنقله»[1].

وقد تأثر الشيخ عبد الحق بن فضل الله البنارسي -رحمه الله- بالإمام الشوكاني -رحمه الله- فكان «لا يتقيد بمذهب، ولا يقلد أحداً في شيء من أمور دينه، بل يعمل بنصوص الكتاب والسنة، ويجتهد برأيه، ولذلك جرت بينه وبين الأحناف[2] مباحثات كثيرة في الاجتهاد والتقليد»[3].

ويعد الشيخ عبد الحق -رحمه الله- تلميذاً مباشراً للإمام الشوكاني -رحمه الله- وله أثره في بلاد الهند وأبرز دليل على ذلك أنه شيخ للسيد صديق حسن القنوجي -رحمه الله- فقد أعطاه إجازة كما سيتبين ذلك -بإذن الله- عند الحديث عن تأثر الشيخ صديق حسن -رحمه الله- بدعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله-.

---

(١) انظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام-عبد الحي الحسني ٧/٢٦٦.

(٢) أتباع أبي حنيفة -رحمه الله-.

(٣) المرجع السابق٧/٢٧٢.

ثانياً- السيد صديق حسن القنوجي:

«وهو صديق حسن بن أولاد حسن بن أولاد علي الحسيني البخاري القنوجي، ولد سنة ١٢٤٨هـ، توفي أبوه وعمره ست سنوات، قرأ بعض أجزاء القرآن الكريم، ومختصرات الصرف والنحو والبلاغة، ولقي العلماء والشيوخ، وسافر إلى دهلي سنة ١٢٦٩هـ، وقرأ فيها كتباً كثيرة، ومنح إجازة خاصة وشهادة بالتحصيل، ثم سافر للاسترزاق إلى بهوبال فولاه الوزير جمال الدين الصديقي الدهلوي[١] تعليم أسباطه، فقرأ في تلك الفرصة القليلة نبذة صالحة من كتب الحديث.

توفي سنة١٣٠٧هـ -رحمه الله رحمة واسعة- وله مصنفات شهيرة في التفسير والحديث والفقه والأصول والتاريخ والأدب بلغ عددها ٢٢٢ مؤلفاً، وقد رزقه الله علماً واسعاً وحلماً، وكان محافظاً على شعائر الدين وأخلاقه، محافظاً على وقته رحمه الله»[٢].

وهذا العالم الجليل أثر من آثار جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة إلى الله تعالى، وقد تأثر بشيخه الشوكاني تأثراً واضحاً، وهو يعد من تلاميذ الإمام الشوكاني -رحمه الله- بالواسطة، حيث أخذ عن القاضي حسين بن محسن السبيعي[٣]، وأخيه

---

(١) مدير شؤون مملكة بهوفال. انظر: السيد صديق حسن القنوجي آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف- د. أختر جمال لقمان ٤٤، ط١، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(٢) انظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام-عبد الحي الحسني٨/٢٠٢-٢١٠.

(٣) حسين بن محسن بن محمد الأنصاري اليماني، ولد عام ١٢٢٥هـ، قاض من المشتغلين بالحديث، من أهل الحديدة، تولى القضاء ببندر اللحية مدة. ورحل إلى الهند، فصحب محمد صديق حسن خان، وتردد بين الهند واليمن، يجلب نفائس المخطوطات إلى الأولى، ومات في بومبي سنة ١٣٢٧هـ. انظر: الأعلام - الزركلي ٢/٢٥٣.

الشيخ زين العابدين[١] تلميذي الشيخ محمد بن ناصر الحازمي الشريف[٢] الآخذ عن العلامة الشوكاني، وكذلك أخذ عن الشيخ المعمر عبد الحق الهندي المجاز عن الإمام الشوكاني -رحمه الله-[٣] «وقرأ كتب السنة على محدثي اليمن وأخذ منهم الإجازة في الحديث»[٤].

وقد برزت آثار جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة إلى الله على السيد صديق حسن -رحمه الله- من خلال المعالم التالية:

١- شراؤه لبعض كتب شيخه الشوكاني -رحمه الله- وذلك أثناء سفره إلى اليمن عام ١٢٥٨هـ، وكان مما اشتراه: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، وفتح القدير في فني الرواية والدراية

---

(١) الشيخ العالم العلامة زين العابدين بن محسن بن محمد الأنصاري اليماني، أحد العلماء المشهورين في أرض الهند، ولد ونشأ ببلدة حديدة، وقرأ العلم على أخويه: الشيخ حسين، والشيخ محمد، ولم يزل مكباً على المطالعة ليله ونهاره ليس همته إلا ذلك حتى برع ونجب وصار علماً من العلماء الثابتين المتمكنين، ولي القضاء في بهوبال، وقرأ عليه القنوجي الصحاح الست، توفي -رحمه الله- سنة١٢٩٧هـ. انظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام- عبد الحي الحسني٧/٢١٢، ٢١٣.

(٢) محمد بن ناصر الحازمي الحسني التهامي الضمدي: محدث، من أهل ضمد، له رسالة في إثبات الصفات، ومن آثاره أيضاً: فتح المنان في ترجيح الراجح وتزييف الزائف من صلح الإخوان، والفواكه العذاب. انظر: الأعلام-الزركلي ٧/١٢٢، ومعجم المؤلفين- عمر حكالة١٢/٧٢.

(٣) انظر: التاج المكلل -صديق حسن القوجي ٥٤٧.

(٤) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام -عبد الحي الحسني ٨/٢٠٤.

من علم التفسير[(١)].

٢- طبعه لكتاب نيل الأوطار، وذلك في جملة كتب طبعها ووزعها مجاناً لتعم الفائدة طلاب العلم والمعرفة والباحثين[(٢)].

يقول الشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله- في بيان ذلك: «إن السيد صديق حسن خان ملك بهوبال -رحمه الله- هو الذي أحيا كتاب نيل الأوطار، وطبعه في المطبعة الأميرية من عدة سنين، فكان من وراء طبعه، وانتشاره في أيدي طلاب العلم فتح ديني عظيم»[(٣)].

٣- اعتماده في تصانيفه على كتب السلف ومنهم الإمام الشوكاني -رحمه الله-؛ لأنهم يمتازون بالأمانة العلمية، والصدق، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل، في ضوء الكتاب والسنة[(٤)]، و«كان كثير النقل عن القاضي الشوكاني، وابن القيم، وشيخه ابن تيمية الحراني، وأمثالهم -رحمهم الله- شديد التمسك بمختاراتهم»[(٥)].

٤- دعوته إلى التمسك بالكتاب والسنة، والاجتهاد ونبذ التقليد، وهذه القضية أبرز القضايا التي دعا إليها الإمام الشوكاني -رحمه الله- وقد ذكر السيد صديق حسن -رحمه الله- أنه اجتهد رأيه في العمل بالدليل، وترك التقليد، وقال -رحمه

---

(١) انظر: السيد صديق حسن القنوجي: آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف-د.أختر جمال لقمان ٤٤، ٤٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٥٧.

(٣) المنتقى من أخبار المصطفى ﷺ - مجد الدين ابن تيمية ١/ت،ث مقدمة المعلق.

(٤) انظر: السيد صديق حسن القنوجي: آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف- د. أختر جمال لقمان٨٢.

(٥) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام -عبد الحي الحسني ٨/٢٠٧.

الله-: «وغالب نظمي في التحريض على اتباع الكتاب والسنة؛ لأنهما يكشفان عن كل مدلهمة[١] ودجنة[٢] وفي ذم التقليد الشؤوم، والابتداع المذموم»[٣].

٥- إعجابه بالإمام الشوكاني -رحمه الله- ومحبته له، وهذا يظهر واضحاً في ثنائه عليه، وإظهار محبته له، حيث صرح بأنه قد غلب عليه محبة شيخه العلامة الشوكاني -رحمه الله-[٤].

ويقول في وصفه: «شيخنا .... وإمام الأئمة الهداية بقية السلف، وذخيرة الخلف محمد بن علي الشوكاني»[٥].

وأثنى على شيخه ثناء عاطراً بقوله: «ولقد منح رب العالمين سبحانه من بحر فضل كرمه الواسع هذا القاضي الإمام بثلاثة أمور، لا أعلم أنها في هذا الزمان الأخير جمعت لغيره:

الأول- سعة التبحر في العلوم على اختلاف أجناسها وأنواعها وأصنافها.

الثاني- سعة التلاميذ المحققين والنبلاء المدققين.

الثالث- سعة التصانيف المحررة، والرسائل والجوابات المحبرة التي تسامي في كثرتها الجهابذة الفحول، وبلغ من تنقيحها وتحقيقها كل غاية وسول»[٦].

والسيد صديق حسن -رحمه الله- أبرز شخصية في الهند تأثرت بالإمام

---

(١) ادلهم الظلام: كشف. القاموس المحيط-الفيروز أبادي مادة (ادلهم)١٤٣١.

(٢) الدجنة: الظلمة والغيم المطبق الريان المظلم لا مطر فيه. المرجع السابق مادة (دجن)١٥٤٢.

(٣) التاج المكلل- صديق حسن القنوجي ٥٥٢.

(٤) انظر: التاج المكلل- صديق حسن القنوجي ٤٥٠.

(٥) انظر: المرجع السابق ٤٥٢.

(٦) انظر: المرجع السابق ٤٦٠.

الشوكاني -رحمه الله- وكان هذا التأثر بفضل الله تعالى، ثم بمكانة هذا الرجل حيث كان ملكاً في بهوبال، فتمكن من شراء وقراءة كتب هذا الإمام، ثم نشر دعوته ومنهجه وتوزيع كتبه واستطاع بتوفيق الله نشر مذهب السلف الصالح في الأصول والفروع في بلاد الهند، بل حتى في خارجها «ومن حسناته أنه قرر لغير واحد من العلماء والدعاة العاكفين على التأليف والدعوة والإرشاد رواتب شهرية تشجيعاً لهم، وتنويهاً بأعمالهم؛ فنشطت حركة التأليف والنشر في مواضيع العقيدة والسنة والدفاع عنهما.... ومن حسناته أنه دعا أسرة سلفية كريمة من اليمن، وجهود المحدث حسين بن محسن الأنصاري في نشر السنة ليست مخفية على أحد»(١).

٦- تأليفه لكتاب الروضة الندية شرح الدرر البهية: وهذا دليل على إعجابه بشيخه وبمنهجه الذي سار عليه خصوصاً في تأليف هذا المتن.

---

(١) جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة -د. عبد الرحمن الفريوائي٩٨.

المطلب الثاني

آثار جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الاحتساب

١- تعميم المرسوم المنصوري بمنع الضرائب:

«لم يجد المنصور علي[١] وإدارته من حلول سريعة لمواجهة الضائقة المالية، والأزمة الاقتصادية التي تفاقمت بسبب فساد الإدارة والحرب مع الشريف حمود[٢] في تهامة سواء الاستمرار في تغيير العملة والتلاعب بقيمتها وزيادة الضرائب، أو إحداث مكوس[٣] وضرائب جديدة، وكان لذلك أسوأ الأثر في أرزاق الناس، وإثقال كواهلهم، ولم يكن العلماء ليقروا شيئاً غير أخذ الزكاة وجباية ما يوجبه الشرع الحنيف.

وكان صوت الإمام الشوكاني أعلى الأصوات وأعظمها شأناً، فإذا به يصوغ نقده اللاذع الشديد، ونقمته على الحالة التي وصل إليها في منظومة ذائعة مطلعها»[٤]:

---

(١) سبقت ترجمته في ص٢٢ من الرسالة.

(٢)حمود بن محمد بن أحمد الحسني التهامي،أمير من أشراف تهامة اليمن ولد سنة ١١٧٠هـ. وفي أيامه استولت جيوش نجد على البلاد المجاورة له، فقاتلهم فهزموه، فانضوى إلى لوائهم، ثم انقلب عليهم ونشبت بينه وبين أنصارهم في اليمن حروب انتهت باستقراره أميراً على بلاد تهامة مستقلاً، وهو أول من استقل بالمخلاف السليماني عن أئمة صنعاء، توفي في الملاحة (من بلاد بني مالك بالسراة) سنة١٢٣٣هـ. انظر: الأعلام- الزركلي٢/٢٨١،٢٨٢.

(٣) سبق التعريف بها في ص١٤١ من الرسالة.

(٤) الإمام الشوكاني رائد عصره- د. حسين العمري١١٨.

رعايا اليمن الميمو ن أضحوا ما لهم راع
فلا العدل يرجون ولا الردع لطماع[١]

وكان من أثر هذه القصيدة استجابة المنصور لنصيحة الإمام الشوكاني -رحمه الله- وقبول ما كان يكرره عليه، حيث ذكر الإمام الشوكاني -رحمه الله- ذلك بقوله: «لم يمض بعد إنشائي هذه الأبيات السابقة إلا نحو شهرين أو ثلاثة فأعان الله وله الحمد بقبول ما كان يكرره[٢] على الإمام المنصور علي بن العباس من النصيحة بالعدل في الرعية، ورفع المظالم، وبرزت مراسيم بخطي إلى جميع الرعايا بأنه ليس عليهم إلا ما أوجبه الله، وليس عليهم شيء غير ذلك من المظالم، وهدمت دكاكين الجبائين في صنعاء فالحمد لله رب العالمين»[٣].

٢- قيام المنصور باتخاذ إجراءات إصلاحية:

كان من آثار جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الاحتساب «أنه نتيجة لنصائح الإمام الشوكاني أقدم المنصور بعد مرسومه على اتخاذ إجراءات إصلاحية عادلة وحازمة، فهدم خانات المكوس، التي كانت تجمع الضرائب، وحرم التعامل

---

(١) انظر: ديوان الشوكاني ٢٣٣، ٢٣٤.

(٢) هنا أسلوب التفات. ومعناه في مصطلح علماء البلاغة: العدول عن أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول. وحكي عن الزمخشري قول في الوجه الذي لأجله دخل الالتفات في الكلام وحاصل مقالته هو: أن ورود الالتفات في الكلام إنما يكون إيقاظاً للسامع عن الغفلة، وتطريباً له بنقله من خطاب إلى خطاب آخر. انظر: كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز -يحيى بن حمزة العلوي اليمني ٢/١٣٢، ١٣٣، ط مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م ب.ط. دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) انظر: ديوان الشوكاني ٢٣٤، ٢٣٥.

بالربا، وألغى ضرائب المرجوعات، ومنع القبالات[1]، ومنع ما عرف بضمناء الأسواق الذي يظهر أنهم كانوا يقومون بنوع من الضمانات مقابل ضرائب كانوا يأخذونها، كما قام المنصور بإرسال المعلمين إلى مختلف جهات البلاد، وأمر الحراس والعسس بتتبع البغايا وزجرهن، وما هو أكثر من ذلك نفي قواديهن»[2].

وهذا يفيد قوة الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الاحتساب ومدى الأثر الذي نتج عن احتسابه على السلطان، ثم يفيد فائدة أخرى مهمة، وهي منزلة عالم الشريعة المصلح في نفوس الحكام فضلاً عن العامة، والذي يحتسب يحتاج إلى التسلح بالعلم الشرعي ولا شك إذ لا احتساب إلا بعلم.

والذي يعد نفسه للقيام بواجب الاحتساب يجب عليه أن يعد نفسه علمياً حتى يكون موفقاً في احتسابه ناجحاً في أمره ونهيه -بإذن ربه-.

٣- إيقاع الخليفة عقاباً بالمخربين في إحدى الفتن نتيجة لنصح الإمام الشوكاني -رحمه الله-.

وقع في عصر الإمام الشوكاني -رحمه الله- فتنة من بعض الرافضة[3] المتظاهرين بالعلم من قراءة في كتب فضائل علي -رضي الله عنه- ويشوبون المناقب بذكر مثالب بعض الصحابة -رضي الله عنهم-، فلما تفاقم شر أولئك المدرسين منع إمام العصر في ذلك الوقت -وهو الإمام المنصور علي بن العباس-

---

(١) القَبَلَة: خرزة ونحوها كانت العامة تحملها لدفع العين أو جلب المحبة. المعجم الوسيط- إبراهيم أنيس وآخرون. مادة (قبل) ٧١٣/٢، أو المقصود: القُبلة بالضم: ما تتخذه الساحرة لتقبل به وجه الإنسان على صاحبه. انظر: القاموس المحيط- الفروزآبادي مادة (قبل) ١٣٥٠.

(٢) الإمام الشوكاني رائد عصره- د. حسين العمري١٢٦.

(٣) سبق التعريف بهذه الفرقة في ص٣٩، ٤٠ من الرسالة.

منع صاحب الكرسي من الإملاء في الجامع، وأمره بالعودة إلى المسجد الذي كان يملي فيه، ولما لم يحضر شيخهم ثاروا ثورة شيطانية، ووقع منهم فتنة وأذى، فأشار الإمام الشوكاني -رحمه الله- على الخليفة بأن يحبس أولئك المدرسين.

وكان من أثر هذا الاحتساب من الإمام الشوكاني -رحمه الله- على الإمام المنصور -رحمه الله- أن يحبس أولئك المدرسين الذين أثاروا الفتنة وفي هذا يقول : «فأشرت عليه بأن يحبس أولئك المدرسين الذين أثاروا الفتنة في الجامع؛ بسبب ما يصدر منهم من نكاية القلوب وإثارة العوام، وفعلوا تلك الأفاعيل، ومن وجدوه حبسوه، ويأمر بتتبع جماعة من شياطين الفقهاء، المثيرين للفتنة من الفقهاء فجيء بهم من الحبس إليه، و ضربهم بالعصيّ تحت داره وهو ينظر، ثم أرسل في اليوم الآخر جماعة من شياطين الجمع في سلاسل، وأرسل بهم إلى جزائر البحر على هيئة منكرة، فسكنت الفتنة سكوناً تاماً»[(١)].

وهكذا بحمد الله تعالى ظهر أثر احتساب الإمام الشوكاني -رحمه الله- على الإمام المنصور -رحمه الله- حيث حصل المقصود وقُمِعَت الفتنة وقُطِع دابر الشر والفساد. وهذا من توفيق الله تعالى للإمام الشوكاني -رحمه الله- وأثر من آثار جهوده -رحمه الله- في الاحتساب.

والملاحظ أن هذا الأثر والأثرين اللذين سبقاه لم تكن محصورة في الإمام المنصور بل إنها تعدت إلى العامة، وصار خيرها ونفعها للجميع، حيث أزيلت كثير من المنكرات في المجتمع، وحصل الأمن والسلامة لأفراده فالحمد لله رب العالمين.

٤- استجابة أحد أولاد الخليفة لنصيحة الإمام الشوكاني -رحمه الله- له في شأن مثيري الفتنة:

حيث إن الإمام الشوكاني -رحمه الله- ما زال بعض أولاد الخليفة يردد عليه

---

(١) انظر: أدب الطلب- الشوكاني ٩١-٩٣.

أمر الفتنة ويرغبه في الرجوع عن الشور الذي أشار به على الخليفة[١]، يقول -رحمه الله-: «فما زلت أعرفه بالصواب، وأذكر له أن هذه الفتنة لو لم تحسم يومنا هذا بحبس المثيرين لها لهلك غالب الناس في الليلة الواصلة، ونهبت الأموال جهاراً، وأنه يصل الأمر إلى الخليفة وأولاده، فضلاً عن غيرهم، وعرَّفته أنه ما سيثور بسببه أجناد ولا غيرهم، فإن هذا تسكين للفتنة، لا إثارة لها، ولقد حمدوا هذه المشورة بعد حين، وعرفوا أنها صواب، وأن بها كان سكون تلك الفتنة التي غلت مراجلها، وكادت تعم جميع أهل صنعاء، ثم تسري بعد ذلك إلى سائر الديار اليمنية»[٢].

فتبين من خلال هذا النص الأثر الذي ترتب على احتساب الإمام الشوكاني -رحمه الله- على أحد أولاد الخليفة حيث حمدوا هذه المشورة وعرفوا أنها صواب وهو مما يدل على نصح الإمام الشوكاني -رحمه الله- وجرأته في قول الحق مهما كان المنصوح والمحتسب عليه.

وينبغي للداعية والمحتسب أن يقول الحق ويجهر به وينصح من وقع في الخطأ بالأسلوب الشرعي وسيجد الثمرة بإذن الله تعالى. ولو لم يحصل إلا رضا الله تعالى وتحقيق أمره سبحانه في قوله تعالى: ﴿قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون﴾[٣]

---

(١) انظر: أدب الطلب- الشوكاني٩٣، ٩٤.

(٢) المرجع السابق ٩٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية:١٦٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فأحمد الله تعالى وأشكره إذ وفقني لإعداد هذه الرسالة والانتهاء من كتابتها عن هذا العالم الجليل الإمام الشوكاني -رحمه الله- وجهوده في الدعوة والاحتساب وقد خرجت -بحمد الله- من هذا البحث بنتائج أهمها:

١- إن الإمام الشوكاني -رحمه الله- عاش في عصر تعددت فيه الدول الإسلامية، وكانت تعاني من تسلط المستعمرين فضلاً عن المشكلات الداخلية، وقد كان -رحمه الله- إيجابياً في التعامل مع هذه الأحداث، ومتأثراً بما يحصل لأمته من الويلات، والمصائب، ومن أبرز الأمثلة على ذلك: تأثره باستيلاء الفرنسيين على مصر، ووصولهم إلى القاهرة، ووصفه لذلك بالرزية العظمى كما أنه عاصر الدولة السعودية الأولى، ودعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، وقد أعجب بالدولة السعودية وأئمتها وبدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- ورثاه بقصيدة طويلة.

٢- إن الإمام الشوكاني -رحمه الله- عاصر أربعة أئمة من أئمة اليمن، وتولى القضاء العام في عهد الإمام المنصور، والإمام المتوكل، والإمام المهدي.

٣- انتشرت في عصر الإمام الشوكاني وفي بلده اليمن عدة فرق من أهمها: الزيدية، والرافضة، والصوفية، وكانت له مواقف شجاعة في الرد عليهم، ومناقشتهم وبيان ما عندهم من انحراف.

٤- كان المذهب السائد في عصر الإمام الشوكاني -رحمه الله- هو المذهب الزيدي، وقد تفقه عليه إلا أنه بعد ذلك استقل برأيه، وترك التقليد وصار من المجتهدين.

٥- كانت الحالة الاجتماعية في عصر الإمام الشوكاني -رحمه الله- متدهورة في الغالب، فكان هناك مجاعات وجهل، وخارجون عن أوامر الدولة، وقد صور -رحمه الله- واقع مجتمعه، وما فيه من فساد اجتماعي لم يسلم منه حتى بعض القضاة والعلماء.

٦- إن سيرة الإمام الشوكاني -رحمه الله- حافلة بالجد والمثابرة، والعمل الدؤوب، فقد بدأ في طلب العلم بداية قوية، ونشأ في بيت علم، إذ كان والده عالماً وقاضياً في صنعاء، وتلقى الإمام الشوكاني -رحمه الله- العلم على عدد من العلماء الراسخين في العلم من أهل اليمن، كما أنه مارس أعمالاً مهمة أهمها التدريس، والإفتاء، والقضاء العام في اليمن، وكانت له آثار علمية كثيرة أبرزها المؤلفات والتلاميذ، كما كانت له مكانة في نفوس كثير من المسلمين خصوصاً أهل العلم، وأثر عليه كثير منهم.

٧- اعتنى الإمام الشوكاني -رحمه الله- بدعوة أصناف من المجتمع أبرزهم: الأئمة، والعلماء، وطلبة العلم.

٨- إن الإمام الشوكاني -رحمه الله- اعتنى بقضايا دعوية مهمة، وأكد عليها ومن أهمها: الدعوة إلى التوحيد والتحذير من ضده، والدعوة إلى تقويم السلوك، والدعوة إلى جلب المصالح ودرء المفاسد، والدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد.

٩- كان للإمام الشوكاني -رحمه الله- جهود كبيرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في جوانب العقيدة، والشريعة، والأخلاق والسلوك.

١٠- برزت عوامل عديدة كانت سبباً في نجاح جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب من أهمها: نشأته الصالحة، وعنايته بعلم السنة النبوية، وترفعه عن حظوظ الدنيا، وتوليه القضاء العام في اليمن، وعلاقته الجيدة بالحكام، وتأثره ببعض الأئمة الأعلام.

١١- كان لجهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب آثار ظاهرة، فمما يتعلق بآثارها في الدعوة: خروج كفايات من العلماء الأكفاء، وانتشار مؤلفاته النافعة، وانتشار الدعوة السلفية، وتأثر أهل الحديث في الهند بدعوته. أما ما يتعلق بآثارها في الاحتساب، فمنها: تعميم المرسوم المنصوري بمنع الضرائب، وقيام المنصور باتخاذ إجراءات إصلاحية، وإيقاع الخليفة عقاباً بالمخربين في إحدى الفتن، نتيجة لنصح الإمام الشوكاني -رحمه الله- له، واستجابة أحد أولاد الخليفة لنصح الإمام الشوكاني -رحمه الله- في شأن مثيري الفتن.

هذه أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الرسالة.

أما أهم التوصيات التي أوصي بها فهي:

١- العناية بدراسة الأئمة الأعلام من علماء السلف الصالح -رحمهم الله- خصوصاً المتقدمين منهم، والتعرف على جهودهم في الدعوة والاحتساب، فإن ذلك مفيد ونافع لطلبة العلم والدعاة إلى الله؛ لكون أولئك المتقدمين أتقى وأعلم وأبعد عن الأهواء ، كما أن الحي لا تؤمن عليه الفتنة.

٢- دراسة منهج الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب، وتتبع هذا المنهج من خلال كتبه -رحمه الله- فإن معرفة الجهود في الدعوة والاحتساب تمهيد وتوطئة للتعرف على المنهج.

هذه أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله ويبارك فيه، وأن يجعله علماً ينتفع به، وأن يغفر لي ولوالدي ولمشايخي ولجميع المسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

★ فهرس الآيات القرآنية.
★ فهرس الأحاديث النبوية.
★ فهرس الأعلام.
★ فهرس المصادر والمراجع.
★ فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــة	رقمها	الصفــحــة
سورة الفاتحة		
﴿غير المغضوب عليهم...﴾	٧	٨٦
سورة البقرة		
﴿...فالله يحكم بينهم...﴾	١١٣	١٠٤
﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾	١٦٣	١٢٢
﴿...وكلوا واشربوا حتى يتبين....﴾	١٨٧	١٢٩
﴿...فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه...﴾	٢٥٩	٧٢، ٧٣
سورة آل عمران		
﴿قل إن كنتم تحبون الله...﴾	٣١	٢٣٠
﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته...﴾	١٠٢	١
﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير...﴾	١٠٤	٨-١٦٤
﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين ...﴾	١٨٧	٩٨-١٠٠
سورة النساء		
﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم...﴾	١	١
﴿...وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾	٥	١٩٠
﴿...وعاشروهن بالمعروف...﴾	١٩	١٨٨
﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً...﴾	٣٦	١١٨
﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات...﴾	٥٨	١٧٨، ١٧٩
﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله...﴾	٥٩	١٧١
﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين...﴾	٩٥	١٢٩
﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم...﴾	٩٧-٩٩	١٧٤

الآيــــــة	رقمها	الصفـــحـــة
﴿لا يحب الله الجهر بالسوء...﴾	١٤٨	١٤٢
سورة المائدة		
﴿...اليوم أكملت لكم دينكم...﴾	٣	١٥٧
﴿...ومن أحياها...﴾	٣٢	١٤٩
﴿إنما وليكم الله ورسوله...﴾	٥٥	٨٥
﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم...﴾	١٠٥	١٦٤، ١٦٥
سورة الأعراف		
﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً...﴾	٢٦	١٨٤
﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا...﴾	٢٨	١٥٨
﴿...وجدنا عليها آباءنا...﴾	٢٨	١٥٨، ١٥٩
﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده..﴾	٣٢	١٨٤
﴿...ياقوم اعبدوا الله...﴾	٥٩	١٢١
﴿...قالوا معذرة إلى ربكم...﴾	١٦٤	٢٦٣
سورة الأنفال		
﴿...والذين آووا ونصروا...﴾	٧٤	١٢٨
سورة التوبة		
﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم...﴾	٣١	١٥٩
﴿...والذين لا يجدون إلا جهدهم...﴾	٧٩	٣
سورة هود		
﴿ألا تعبدوا إلا الله...﴾	٢	١٢١
﴿ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً...﴾	٢٩	٢٢٦

الآيـــــة	رقمها	الصفـــحـــة
﴿يا قوم لا أسألكم عليه أجراً...﴾	٥١	٢٢٦
سورة يوسف		
﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة...﴾	١٠٨	١١٣
سورة إبراهيم		
﴿...أفي الله شك...﴾	١٠	١٢١
سورة النحل		
﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم...﴾	٣٨	٣
﴿...وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر...﴾	٨١	١٨٤
﴿إن الله يأمر بالعدل...﴾	٩٠	١٧٨
﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى...﴾	٩٧	١٣٣
﴿...ولكن من شرح بالكفر صدراً...﴾	١٠٦	١٤٨
﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة...﴾	١٢٥	٩١
سورة الإسراء		
﴿...رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾	٢٤	٢١، ٢٢
سورة الكهف		
﴿...لقدجئت شيئاً نكراً﴾	٧٤	١٩٥
﴿...فمن كان يرجو لقاء ربه...﴾	١١٠	١١٠
سورة طه		
﴿...فقولا له قولاً ليناً...﴾	٤٤	٩٣، ٩٤
﴿...ولا يحيطون به علماً﴾	١١٠	١١٩
سورة الأنبياء		
﴿...فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾	٧	١٦٠

الآيـــــة	رقمها	الصفحـــة
سورة الحج		
﴿...ولينصرن الله من ينصره...﴾	٤٠	٩٩
سورة النور		
﴿...وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون...﴾	٣١	١٨١
سورة الشعراء		
﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾	٢١٤	٢٠٤
سورة النمل		
﴿...رب أوزعني أن أشكر نعمتك...﴾	١٩	٢١
﴿إن ربك يقضي بينهم...﴾	٧٨	١٠٤
سورة الروم		
﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم...﴾	٢١	١٨٨
سورة لقمان		
﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث...﴾	٦	٢١٤
﴿...أن اشكر لي ولوالديك...﴾	١٤	٢١
سورة الأحزاب		
﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة...﴾	٢١	٢٣٠
﴿...من يأت منكن بفاحشة مبينة...﴾	٣٠	٢٠٤
﴿...إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس...﴾	٣٣	٢٠١
﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا...﴾	٧٠-٧١	١
سورة سبأ		
﴿...وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه..﴾	٣٩	١٣٦

الآيـــــة	رقمها	الصفـحـة
سورة فاطر		
﴿...هل من خالق غير الله...﴾	٣	١٢١
سورة ص		
﴿قل ما أسألكم عليه من أجر...﴾	٨٦	٢٢٧-٧١
سورة الزمر		
﴿...ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى...﴾	٣	١٢٢
﴿...ألا لله الدين الخالص...﴾	٣	١٢٣
﴿...قل هل يستوي الذين يعلمون...﴾	٩	١٠٣
﴿...إنما يوفى الصابرون أجرهم...﴾	١٠	١٩١-١٩٠
﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً...﴾	١٢-١١	٧٢
سورة غافر		
﴿...والله يقضي بالحق...﴾	٢٠	١٠٤
سورة الشورى		
﴿...ليس كمثله شيء...﴾	١١	١١٩
سورة الزخرف		
﴿وتلك الجنة التي أورثتموها...﴾	٧٢	١٣٨
﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله...﴾	٨٧	١٢١
سورة محمد		
﴿...إن تنصروا الله ينصركم...﴾	٧	٩٩
﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله...﴾	١٩	٥٥
سورة الحجرات		
﴿...ولا تنابزوا بالألقاب...﴾	١١	١٤٦

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
سورة المجادلة		
﴿...يرفع الله الذين آمنوا منكم...﴾	١١	٩٨-١٠٣
سورة الحشر		
﴿...وما آتاكم الرسول فخذوه...﴾	٧	٢٣٠
﴿...ويؤثرون على أنفسهم...﴾	٩	١٩٢
سورة الصف		
﴿ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون...﴾	١، ٢	١٩٣
سورة المنافقون		
﴿سواء عليهم أستغفرت لهم...﴾	٦	١٢٧
سورة الملك		
﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً...﴾	١٥	١٨٥
﴿...فامشوا في مناكبها...﴾	١٥	١٨٧
سورة نوح		
﴿قال نوح رب إنهم عصوني...﴾	٢١	١١٩
سورة الجن		
﴿...فلا تدعوا مع الله أحداً﴾	١٨	١٢١
سورة الليل		
﴿فأما من أعطى واتقى...﴾	٥-١٠	١٣٧
سورة الضحى		
﴿ووجدك عائلاً فأغنى﴾	٨	١٨٧
سورة البينة		
﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين...﴾	٥	١١١-١١٨

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة
(أ)	
«إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم....»	١٣٤، ١٣٥
«إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث....»	٢٢٠
«ازهد في الدنيا يحبك الله....»	٢٢٥
«أعطى رسول الله ﷺ أباسفيان بن حرب...»	١٢٨
«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً....»	١٨٨
«ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم....»	٢٠٠
«ألا تدع تمثالاً إلا طمسته....»	١٢٠
«اللهم إني أسألك الهدى....»	١٨٧
«أما في بيتك شيء....»	١٨٦
«إن الرقى والتمائم....»	١٢٣، ١٢٤
«إنك تقدم على قوم أهل كتاب....»	١٢٥
«إنما الأعمال بالنيات....»	١٧٠
«إن من كان قبلكم كانوا يتخنون قبور أنبيائهم....»	١٩٨، ١٩٩
«أن النبي ﷺ مر بقوم...»	١٢٩
(ب)	
«البر حسن الخلق....»	١٨٣
(خ)	
«خيركم خيركم لأهله....»	١٨٩
(د)	
«الدين النصيحة....»	٩٧-١٧٣

طرف الحديث	الصفحة
(ذ)	
«ذكرك أخاك بما يكره....»	١٣٨، ١٣٩
(س)	
«سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟...»	١٣٨
«ساقي القوم آخرهم شرباً....»	١٩٢
«سبعة يظلهم الله في ظله....»	١٧٨
(ص)	
«صلاة الليل مثنى....»	١٣٦
«الصوم لي وأنا أجزي به....»	١٣٧
(ف)	
«فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً....»	٢٢٨
(ق)	
«قالت الأنصار يوم فتح مكة...»	١٢٨
(ل)	
«لا ترجعوا بعدي كفاراً....»	١٤٩
«لا طاعة في معصية الله....»	١٧١
«لأن أشيع غازياً فأكفيه في رحله....»	١٩٢
«لا يتحدث الناس بأن محمداً يقتل أصحابه....»	١٢٦، ١٢٧
«لا يفرك مؤمن مؤمنة....»	١٨٨
(م)	
«ما من يوم يصبح العباد فيه....»	١٣٧
«من أراد أن ينصح لسلطان بأمر....»	٩٣

طـــرف الـحــــديث	الصـفـحـــة
«من حلف فقال: إني بريء من الإسلام!...»	٢٠١
«من حلف فقال: في حلفه باللات والعزى....»	٢٠١
«من دعا رجلاً بالكفر....»	١٤٨
«من رأى منكم منكراً....»	١٧٦
«من عادى لي ولياً....»	١٣٣، ١٣٤
«من قال لأخيه يا كافر....»	١٤٨
«من لبس ثوب شهرة....»	٢١٣
(و)	
«وإذا استنصحك فانصحه....»	١٤٥
«وأنا تارك فيكم ثقلين....»	٢٠٣
(ي)	
«يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً....»	٢٠٥

فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
(أ)	
أحمد بن حسين بن رسلان	٢١٣
أحمد بن عبد الله الضمدي	٢٤١
أحمد بن محمد الطحاوي	١٧١
إسماعيل بن عمر بن كثير	١٧٤
إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي	٢٥١
الأقرع بن حابس	١٢٧
(ت)	
تركي بن عبد الله بن سعود	٢٩
(ج)	
جمال الدين الصديقي	٢٥٤
جندب بن عبد الله البجلي	١٩٨
(ح)	
الحسن بن أبي الحسن البصري	٢٢٦
الحسن بن علي بن أبي طالب	٩٢
الحسين بن علي بن أبي طالب	٢٠٢
الحسين بن القاسم	٣٨
حسين بن محسن الأنصاري	٢٥٤
حمود بن محمد التهامي	٢٥٩
حيان بن حصين	١٢٠

العلم	الصفحة
(ز)	
زيد بن علي بن الحسين	٣٧
زين العابدين بن محسن الأنصاري	٢٥٥
(س)	
سعود بن عبد العزيز بن محمد	٣٣
سرور بن مساعد بن سعيد	٣٢
(ص)	
صخر بن حرب	١٢٧
(ع)	
عبد الرحمن بن أحمد بن رجب	٢٢٥
عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي	١٧٥
عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني	٢٢١
عبد العزيز بن محمد بن سعود	٢٨
عبد الله بن عامر الحوثي	٢٤٢
علي بن أبي علي الآمدي	١٥٣
علي بن أحمد بن حزم	٢٣٤
علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني	٥٥
عيينة بن حصن	١٢٨
(غ)	
غالب بن مساعد بن سعيد	٣٣
(م)	
محمد بن أحمد القرطبي	٢٠٢

العلم	الصفحة
محمد حامد الفقي	٢٥١
محمد عابد بن علي السندي	٤٥
محمد علي باشا	٢٤
محمد بن ناصر الحازمي	٢٥٥
مساعد بن سعيد الحسني	٣٢
معاذ بن جبل	١٢٤
(ن)	
نذير حسين الدهلوي	٢٥٠
النواس بن سمعان الأنصاري	١٨٣
(هـ)	
هشام بن عبد الملك بن مروان	٣٩
هند بنت عتبة بن ربيعة	١٤٠
(ي)	
يحيى بن شرف النووي	١٣٩

فهرس المصادر والمراجع

• الكتب المطبوعة:

١- الأجوبة الشوكانية عن الأسئلة الحفظية- محمد بن علي الشوكاني، حققه وخرج أحاديثه: عبد الآخر الغنيمي، ط١، دار الأخلاء للنشر والتوزيع، الدمام ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٢- الأحكام السلطانية- أبو يعلى الحنبلي، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، ط، دار الوطن، الرياض ب.ت.ط.

٣- الأحكام السلطانية والولايات الدينية-أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، خرج أحاديثه وعلق عليه: خالد بن عبد اللطيف السبع العلمي، ط، دار الكتاب العربي ب.ت.ط.

٤- الإحكام في أصول الأحكام - علي بن أبي علي الآمدي، ط دار الحديث، مصر ب.ت.ط.

٥- أدب الطلب ومنتهى الأرب -محمد بن علي الشوكاني، علق عليه وخرج أحاديثه: محمد صبحي حسن حلاق، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ توزيع دار المعراج الدولية للنشر والتوزيع، الرياض.

٦- إرشاد السائل إلى دلائل المسائل - محمد بن علي الشوكاني، خرج أحاديثه وعلق عليه: خالد بن عبد اللطيف السبع العلمي، ضمن الرسائل السلفية، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان١٤١١هـ-١٩٩١م.

٧- إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي ﷺ - محمد بن علي الشوكاني، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسن بن سلمان، ط١، دار المنار، الرياض١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٨- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول- محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أبي مصعب محمد سعيد البدري، ط٤، مؤسسة الكتب الثقافية،

بيروت–لبنان١٤١٤هـ١٩٩٣م.

٩- أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة –د. حمد بن ناصر العمار، ط١، مركز الدراسات والإعلام/دار إشبيليا، الرياض ١٤١٦هـ–١٩٩٦م.

١٠- الاستيعاب في معرفة الأصحاب – أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: د. طه محمد الزيني، ط. مكتبة ابن تيمية، القاهرة ١٤١١هـ–١٩٩١م. مطبوع مع الإصابة في تمييز الصحابة.

١١- أسد الغابة في معرفة الصحابة– علي بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم البنا وآخران، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان ب.ت.ط.

١٢- أسس الدعوة وآداب الدعاة – محمد السيد الوكيل، ط الناشر: دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، .ب. ت. ط.

١٣- الإصابة في تمييز الصحابة – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيني، ط مكتبة ابن تيمية، القاهرة١٤١١هـ–١٩٩١م ب.ط.

١٤- أصول الحسبة في الإسلام، دراسة تأصيلية مقارنة– د. محمد كمال الدين إمام، ط١، دار الهدى، مصر ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

١٥- الأعلام – خير الدين الزركلي ،ط١٠، دار العلم للملايين ١٩٩٢م.

١٦- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) –عبد الحي بن فخر الدين الحسني، ط مكتبة دار عرفان، دارة الشيخ علم الله، رائي بريلي (الهند) ١٤١٣هـ–١٩٩٣م. ب.ط.

١٧- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة –حافظ بن أحمد الحكمي، دراسة وتحقيق: أحمد علي علوش مدخلي، مكتبة الرشد، الرياض١٤١٦هـ–١٩٩٦م.

١٨- الإمام الشوكاني حياته وفكره– د. عبد الغني قاسم الشرجي، ط١، مؤسسة

الرسالة، بيروت، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٩- الإمام الشوكاني رائد عصره دراسة في فقهه وفكره - د. حسين بن عبد الله العمري، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، دار الفكر، دمشق-سورية١٤١١هـ-١٩٩١م.

٢٠- الإمام الشوكاني مفسراً -د. محمد بن حسن الغماري، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٢١- الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير- مشهور حسن محمود سلمان، ط١، دار القلم، دمشق١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- أبو حامد الغزالي، تحقيق: سيد إبراهيم ط، دار الحديث، القاهرة ب.ت.ط.

٢٣- أمناء الشريعة - محمد بن علي الشوكاني، تحقيق وتقديم: د. إبراهيم إبراهيم هلال، ط دار النهضة العربية، القاهرة ب.ت.ط.

٢٤- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك- أبو محمد ابن هشام الأنصاري، ومعه كتاب : عدة السالك إلى تحقيق أو ضح المسالك- محمد محيي الدين عبدالحميد، ط، المكتبة العصرية، بيروت ب.ت.ط.

٢٥- البحث العلمي في العلوم السلوكية- د. فاخر عاقل، ط١، دار العلم للملايين ١٩٧٩م.

٢٦- البداية والنهاية - أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دقق أصوله وحققه: د. أحمد أبو ملحم وآخرون، ط دار الكتب العلمية ، بيروت -لبنان ب.ت.ط.

٢٧- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع -محمد بن علي الشوكاني،ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ب.ت.ط

٢٨- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان - أبو الفضل عباس بن منصور السكسكي الحنبلي، تحقيق: الدكتور بسام علي سلامة العموش، ط١، مكتبة

المنار، الزرقاء-الأردن ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م

٢٩- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول -صديق حسن خان القنوجي، ط١، مكتبة دار السلام، الرياض١٤١٦هـ -١٩٩٥م.

٣٠- تاريخ اليمن المسمى (فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن)- عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليماني، ط، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٦هـ ب.ط.

٣١- التحف في مذاهب السلف -محمد بن علي الشوكاني، حققه وعلق عليه: شريف محمد فؤاد هزاع، ط١، دار فجر للتراث، شبين الكوم، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٣٢- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي -محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٣٣- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ﷺ - محمد ابن علي الشوكاني، ط دار الكتاب العربي ب.ت.ط.

٣٤- تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -عبد الله بن صالح القصير، ط١، دار العاصمة، الرياض١٤١١هـ.

٣٥- تذكرة الحفاظ - محمد بن أحمد الذهبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ب.ت.ط.

٣٦- تسهيل المنطق -عبد الكريم بن مراد الأثري، ط مطابع سجل العرب، ب.ت.ط.

٣٧- التعريفات - علي بن محمد الجرجاني، حققه وقدم له ووضع فهارسه: إبراهيم الأبياري، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت -لبنان ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٣٨- تفسير القرآن العظيم- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، كتب هوامشه وضبطه: حسين بن إبراهم زهران، ط دار الفكر، بيرت-لبنان ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. ب.ط.

٣٩- تقريب التهذيب- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دراسة وتحقيق: مصطفى

عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٤٠- تلبيس إبليس -أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٤١- تهذيب الأسماء واللغات -يحيى بن شرف النووي، ط دار ابن تيمية، القاهرة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م. ب.ط.

٤٢- تهذيب التهذيب -أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة١٤١٤هـ-١٩٩٣م

٤٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان-عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط٢، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، المملكة العربية السعودية ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٤٤- ثلاثة الأصول والقواعد الأربع - الإمام محمد بن عبد الوهاب، راجعه وقابله على أصوله: مجموعة من الأساتذة، ط إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٣هـ-١٩٩٢م. ب.ط.

٤٥- جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ -محمد بن الأثير الجزري، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد القادر الأرنؤوط، ط مكتبة الحلواني، مطبعة ملاح، مكتبة دار البيان ١٣٩٨هـ-١٩٦٩م. ب.ط.

٤٦- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم -أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣هـ-١٩٩٣٠م.

٤٧- الجامع لأحكام القرآن- محمد بن أحمد القرطبي، ط دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان١٤١٣هـ-١٩٩٣م. ب.ط.

٤٨- جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة- د. عبد الرحمن بن عبد الجبار

الفريوائي، ط٢، إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية، بنارس، الهند١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٤٩- حركة التجديد والإصلاح في نجد في العصر الحديث - د. عبد الله بن محمد العجلان، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٥٠- الحسبة تعريفها، ومشروعيتها، ووجوبها- د. فضل إلهي، ط٢، إدارة ترجمان الإسلام، باكستان ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٥١- الحسبة في الإسلام - شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: سيد بن محمد بن أبي سعدة، ط١، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٥٢- حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأركانه ومجالاته -د. حمد بن ناصر العمار، ط١، مركز الدراسات والإعلام دار إشبيليا، الرياض ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٥٣- حلية طالب العلم - بكر بن عبد الله أبو زيد، ط٥، دار العاصمة، الرياض ١٤١٥هـ.

٥٤- الحوادث والبدع- أبو بكر الطرطوشي، ضبط نصه وعلق عليه: علي بن حسن ابن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، ط١، دار ابن الجوزي، الدمام-المملكة العربية السعودية١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٥٥- خطبة الحاجة- محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٣٩٧هـ.

٥٦- الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام ، مناهجهم وأصولهم وسماتهم قديماً وحديثاً وموقف السلف منهم - د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ط١، دار الوطن، الرياض١٤١٦هـ.

٥٧- الداعي إلى الله (تكوينه-مسؤوليته)- د. زيد بن عبد الكريم الزيد، ط١، دار

العاصمة، الرياض ١٤١٥هـ.

٥٨- الدراري المضيئة شرح الدرر البهية- محمد بن علي الشوكاني، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٥٩- الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية -عبد الحميد بن باديس، ضبط وتعليق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، ط، دار المنار، الرياض ب.ت.ط.

٦٠- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد -محمد بن علي الشوكاني، علق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبد الله الحلبي، ط١، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع ١٤١٤هـ.

٦١- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها- د. أحمد أحمد غلوش، ط٢، الناشرون: دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٦٢- الدعوة إلى الإصلاح على ضوء الكتاب والسنة وعبر تاريخ الأمة -محمد الخضر حسين، حققها وعلق عليها: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، ط١، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض١٤١٧هـ

٦٣- الدواء العاجل في دفع العدو الصائل - محمد بن علي الشوكاني، خرج أحاديثه وعلق عليه: خالد بن عبد اللطيف السبع العلمي، ضمن الرسائل السلفية، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٦٤- ديوان الشوكاني (أسلاك الجوهر) والحياة الفكرية والسياسية في عصره- تحقيق ودراسة: د. حسين بن عبد الله العمري، ط٢، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، سورية-دمشق ١٤٠٦هـ-١٩٨٦.

٦٥- ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي- شمس الدين محمد بن علي الحسين الدمشقي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.ط.

٦٦- ذيل طبقات الحفاظ للذهبي- جلال الدين السيوطي، ط دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ب.ت.ط.

٦٧- الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية -د. عمر بن عبد العزيز المترك، اعتنى بإخراجه وترجم لمؤلفه: د. بكر بن عبد الله أبو زيد، ط٢، دار العاصمة، الرياض ١٤١٧هـ.

٦٨- رسالة في القواعد الفقهية -عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلَّفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط٢، مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، المملكة العربية السعودية ١٤١٢هـ.

٦٩- رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين- محمد بن علي الشوكاني، دراسة وتحقيق: د. حسن محمد الظاهر محمد، ط١، دار ابن حزم، بيروت، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء -الجمهورية اليمنية ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٧٠- رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة -محمد بن علي الشوكاني، حققها وخرج أحاديثها وقدم لها: محمد إبراهيم الشيباني، ط٣، مكتبة ابن تيمية، الكويت ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٧١- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء - أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوَّض، ط٢، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة- الرياض ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٧٢- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل- أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، قدم له وحققه وعلق عليه: د. عبد الكريم بن علي النملة، ط٥، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١٧هـ -١٩٩٧م

٧٣- رياض الصالحين- يحيى بن شرف النووي، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، ط٢٣، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٧هـ-١٩٩٦م

٧٤- زاد المعاد في هدي خير العباد- ابن قيم الجوزية، حقق نصوصه وخرج

أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، ط٢٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٧٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها- محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٧٦- سنن ابن ماجه- محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، حققه وصنع فهارسه بالكمبيوتر: محمد مصطفى الأعظمي، ط١، شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة، الرياض ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٧٧- السيد صديق حسن القنوجي آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف - د.أختر جمال لقمان ،ط١، دار الهجرة للنشر والتوزيع ،الرياض ١٤١٧هـ -١٩٩٦م.

٧٨- سير أعلام النبلاء- محمد بن أحمد الذهبي، ط١١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٧٩- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار - محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ب.ت.ط.

٨٠- شرح الصدور في تحريم رفع القبور -محمد بن علي الشوكاني، تحقيق وتخريج: محمد صبحي حسن حلاق، ط١، دار الهجرة للنشر والتوزيع، صنعاء١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٨١- شرح العقيدة الطحاوية -ابن أبي العز الحنفي، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرنؤوط، ط٦، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٨٢- شرح مختصر الروضة - نجم الدين الطوفي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت١٤١٠هـ-١٩٩٠.

٨٣- الشعوب الإسلامية - د. عبد العزيز نوار، ط، دار النهضة العربية ١٩٧٣م ب.ط.

٨٤- صحيح الأدب المفرد- محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، دار الصديق، الجبيل،- المملكة العربية السعودية ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٨٥- صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري، ط١، دار الفكر ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٨٦- صحيح سنن ابن ماجه -محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، توزيع: المكتب الإسلامي، بيروت.

٨٧- صحيح سنن أبي داود-محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت.

٨٨- صحيح سنن الترمذي-محمد ناصر الدين الألباني، ط١، مكتبةالتربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٤٠٨هـ، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت.

٨٩- صحيح سنن النسائي- محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ط١، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت.

٩٠- صحيح مسلم بشرح النووي -يحيى بن شرف النووي، ط١، مؤسسة قرطبة ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٩١- صحيح مسلم-مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ب.ت.ط.

٩٢- صفحات من حياة علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي- د. عبد الله بن محمد الطيار، ط١، دار ابن الجوزي، السعودية١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٩٣- صلة الأخلاق بالعقيدة والإيمان - د. سليمان بن صالح الغصن، ط١، دار

العاصمة، الرياض ١٤١٥هـ.

٩٤- ضعيف سنن ابن ماجه -محمد ناصر الدين الألباني، ط١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، توزيع: المكتب الإسلامي، بيروت.

٩٥- ضعيف سنن أبي داود- محمد ناصر الدين الألباني، ط١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٤١٢هـ-١٩٩١م، توزيع: المكتب الإسلامي، بيروت.

٩٦- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال- عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط٣، دار القلم ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٩٧- طبقات الشافعية الكبرى- تاج الدين السبكي، ط٢، دار المعرفة، بيروت-لبنان ب.ت.

٩٨- الطبقات الكبرى-محمد بن سعد الزهري، أعد فهارسها: رياض عبد الله عبد الهادي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٩٩- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين - ابن قيم الجوزية، مراجعة وضبط وتعليق: محمد علي قطب، ط١، دار القلم، بيروت-لبنان ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٠٠- عذب الغدير في بيان التأويلات في كتاب فتح القدير -د. محمد بن عبد الرحمن الخميس، ط١، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١٤هـ.

١٠١- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة - عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط٢، مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٠٢- غياث الأمم في التياث الظلم- أبو المعالي الجويني، تحقيق ودراسة: د. مصطفى حكمي، ود. فؤاد عبد المنعم أحمد، ط دار الدعوة، مصر ب.ت.ط.

١٠٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري -أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٠٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير -محمد بن علي

الشوكاني، ط دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ب.ط.

١٠٥- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد- عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، راجع حواشيه وصححه وعلق عليه: سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط١، دار الخير، بيروت١٤١٢هـ-١٩٩١م.

١٠٦- الفرق بين الفرق -عبد القاهر البغدادي، اعتنى بها وعلق عليها الشيخ : إبراهيم رمضان، ط١، دار المعرفة، بيروت ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

١٠٧- فقه السياسة الشرعية في ضوء القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة- خالد بن علي العنبري، ط١، ١٤١٨هـ.

١٠٨- فقه النوازل- بكر بن عبد الله أبو زيد، ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٠٩- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة -محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت١٣٩٢هـ.

١١٠- القاموس المحيط -الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١١١- القضاء في عهد عمر بن الخطاب- د. ناصر بن عقيل الطريفي، ط١، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١١٢- قطر الولي على حديث الولي - محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د. إبراهيم هلال، ط، دار الكتب الحديثة ب.ت.ط.

١١٣- القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، ط١، مكتبة السلام، الرياض١٤١٢هـ.

١١٤- القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد -محمد بن علي الشوكاني،دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، ط، مكتبة القرآن، القاهرة ب.ت.ط.

١١٥- كتاب التوحيد -الإمام محمد بن عبد الوهاب، حققه وعلق عليه: فضيلة الشيخ عبد القادر الأرنؤوط، ط دار السلام، الرياض ١٤١٣هـ ب. ط.

١١٦- كتاب الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز - يحي بن حمزة العلوي اليمني، ط دار الكتب العلمية ،بيروت ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م ب. ط. توزيع مكتبة المعارف، الرياض .

١١٧- كشف الشبهات عن المشتبهات -محمد بن علي الشوكاني، خرج أحاديثه وعلق عليه: خالد بن عبد اللطيف السبع العلمي ، ضمن الرسائل السلفية ، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١١هـ-١٩٩١م.

١١٨- لسان العرب- ابن منظور، اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١١٩- متن العقيدة الطحاوية -أحمد بن محمد الطحاوي، ط١، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٢٠- المجددون في الإسلام - عبد المتعال الصعيدي، ط مكتبة الآداب ب.ت.ط.

١٢١- مجمع الأمثال- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم٣٣٨، ط٢، دار الجيل، بيروت-لبنان ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٢٢-مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية -جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، ط، مكتبة المعارف، الرباط- المغرب، أشرف على الطباعة والإخراج: المكتب التعليمي السعودي بالمغرب، ب.ت.ط.

١٢٣- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين- جمع وترتيب: فهد بن ناصر السلمان، ط٢، دار الوطن، الرياض١٤١٣هـ.

١٢٤- محاضرات وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية -د. عبد الله الصالح العثيمين، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

١٢٥- مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر الرازي، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٣م.

١٢٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين-ابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٢٧- المدخل إلى علم الدعوة - محمد أبو الفتح البيانوني، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

١٢٨- مسائل الجاهلية التي خالف رسول الله ﷺ ما عليه أهل الجاهلية- الإمام محمد بن عبد الوهاب، أعده وضبطه وعلق عليه: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط١، مكتبة طبرية ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٢٩- المسند للإمام أحمد بن حنبل -شرحه وصنع فهارسه: أحمد شاكر، وحمزة الزين، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

١٣٠- مسؤولية طالب العلم- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط١، دار القاسم للنشر والتوزيع١٤١٨هـ.

١٣١- مشاهير علماء نجد وغيرهم- عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ط٢، بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر١٣٩٢هـ.

١٣٢- مصادر الفكر الإسلامي في اليمن - عبد الله بن محمد الحبشي، ط. المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م. ب.ط.

١٣٣- مصطلح الحديث -محمد بن صالح العثيمين، ط٣، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٣٤- معارج القبول بشرح سلم الوصول- حافظ الحكمي، ضبطه وعلق عليه وخرج أحاديثه: عمر بن محمد أبو محمود، ط١، دار ابن القيم، الدمام١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٣٥- معالم القربة في أحكام الحسبة- ابن الأخوة القرشي، تحقيق: د. محمد محمود شعبان، وصديق أحمد المطيعي، ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م.

١٣٦- معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة- عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، ط٤، دار السلف، الرياض١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

١٣٧- معجم البدع - رائد بن صبري بن أبي علفة، ط١، دار العاصمة، الرياض ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٣٨- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، د. جميل صليبا، ط دار الكتاب اللبناني، بيروت، ودار الكتاب المصري، القاهرة ب.ت.ط.

١٣٩- معجم مقاييس اللغة -ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، مصر١٤٠٢هـ-١٩٨١م.

١٤٠- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية -عمر رضا كحالة، ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان ب. .ت. ط.

١٤١- المعجم الوسيط- إبراهيم مصطفى وآخرون، ط المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا. ب.ت.ط.

١٤٢- المفردات في غريب القرآن- الراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، ط، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ب.ت.ط.

١٤٣- مقالات الإسلاميين - الإمام أبو الحسن الأشعري، عني بتصحيحه: هلموت ريتر، ط١، ب.ت.

١٤٤- مقدمة ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تصحيح وفهرسة أبي عبد الله السعد المندوه، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت-لبنان، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز، مكة الكرمة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١٤٥- الملل والنحل - محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط، دار المعرفة، بيروت-لبنان ب.ت.ط.

١٤٦- مناقب الإمام أحمد بن حنبل - أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
١٤٧- المنتقى من أخبار المصطفى ﷺ - مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن تيمية، وقف على تصحيحه وتعليق هوامشه: محمد حامد الفقي، ط دار المعرفة، بيروت- لبنان، ب.ت.ط.
١٤٨- من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- أحمد عز الدين البيانوني، ط٢، دار السلام، القاهرة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
١٤٩- منهج الإمام الشوكاني في العقيدة - د.عبد الله نومسوك، ط١، مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٥٠- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط٣، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
١٥١- موطأ الإمام مالك، رواية يحيى بن يحيى الليثي -إعداد: أحمد راتب عرموش، ط٦، دار النفائس، بيروت ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية.
١٥٢- نصوص الدعوة في القرآن الكريم دراسة تأصيلية- د. حمد بن ناصر العمار، ط١، مركز الدراسات والإعلام/ دار إشبيليا ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٥٣- نهاية الرتبة في طلب الحسبة- عبد الرحمن بن نصر الشيرزي، تحقيق: د.السيد الباز العريني، ط٢، دار الثقافة، بيروت ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
١٥٤- النهاية في غريب الحديث والأثر- أبو السعادات ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي، ط، المكتبة العلمية، بيروت-لبنان، ب.ت.ط.
١٥٥- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار -محمد بن علي الشوكاني، ط دار الجيل، بيروت- لبنان١٩٧٣م. ب.ط.
١٥٦- نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر -محمد بن

محمد زبارة، ط، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٥٠هـ ب.ط.

١٥٧- الهجرة في ضوء الكتاب والسنة دراسة دعوية- عبد الله بن إبراهيم الشويمان، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلام، الرياض١٤١٧هـ. (غير منشور)

١٥٨- هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة- علي بن محفوظ، ط٥، دار الاعتصام ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م.

١٥٩- وبل الغمام على شفاء الأوام -محمد بن علي الشوكاني، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: محمد صبحي حسن حلاق، ط١، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة١٤١٦هـ توزيع مكتبة العلم بجدة.

١٦٠- الوحدة الإسلامية -محمد أبو زهرة، ط، دار الفكر العربي، ب.ت.ط.

- **المخطوطات**:

١٦١- التقصار في جيد زمن علامة الأقاليم والأمصار- محمد بن حسن الشجني، محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض، قسم المخطوطات، ٢٦٢ ،H مجموعة برينستون (جاريت).

١٦٢- درر نحور العين لسيرة الإمام المنصور وأعلام دولته الميامين- لطف الله جحاف، جامعة الملك سعود في الرياض، المكتبة المركزية، قسم المخطوطات، ف رقم٧٠٣، نسخة مصورة عن الأصل المحفوظ في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء تحت رقم٨٦.

١٦٣- نفحات العنبر بفضلاء اليمن الذين في القرن الثاني عشر- إبراهيم بن عبدالله الحوثي، جامعة الملك سعود في الرياض، المكتبة المركزية، قسم المخطوطات، رقم٧٩٤١، ع ب، الجزء الأول.

* **الدوريات والمجلات والبحوث:**

١٦٤- الإمام محمد بن علي الشوكاني أديباً شاعراً -بقلم: أحمد بن حافظ الحكمي، مستلة من مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، العدد السابع ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

١٦٥- تأثر الدعوات الإصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب- الدكتور وهبة الزحيلي، ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مركز البحوث، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٦٦- حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأثرها في العالم الإسلامي- د.محمد بن عبد الله السلمان، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، العدد٢١، جمادى الآخرة ١٤٠٨هـ.

١٦٧-القصيدة اللامية في رثاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب للقاضي محمد بن علي الشوكاني، تحقيق وتقديم: د. عبد الله بن محمد أبو داهش، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الرابع، رجب ١٤١١هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١-٢٢
تعريف الجهود	٢
التعريف بالإمام الشوكاني	٣
أولاً- نسبه ومولده	٣
ثانياً- وفاته	٤
ثالثاً- مؤلفاته	٤
تعريف الدعوة	٥
تعريف الاحتساب	٨
أهمية الموضوع	١١
أسباب اختيار الموضوع	١٢
الدراسات السابقة	١٣
مشكلة البحث	١٧
تساؤلات البحث	١٧
منهج البحث	١٧
تقسيم الدراسة	٢٠
الشكر والعرفان	٢١
الفصل التمهيدي	٢٣-٨٩
المبحث الأول: الأحوال السائدة في عصر الإمام الشوكاني -رحمه الله-	٢٣
المطلب الأول: الحالة السياسية	٢٤
١- الدول التي تتزعم العالم الإسلامي في القرن الثالث عشر	٢٤

٢- الحملة الفرنسية على الديار المصرية وموقف
الإمام الشوكاني -رحمه الله- منها ٢٦
٣- حالة نجد في عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- ٢٦
٤- أئمة اليمن في عصر الإمام الشوكاني -رحمه الله- ٢٩
٥- علاقة اليمن مع دولة الأشراف في مكة ٣٢
٦- علاقة اليمن مع دولة آل سعود ٣٣
المطلب الثاني: الحالة الدينية ٣٧
١- الزيدية ٣٧
٢- الرافضة ٣٩
٣- الصوفية ٤٢
المطلب الثالث: الحالة العلمية ٤٤
المطلب الرابع: الحالة الاجتماعية ٤٧
المبحث الثاني: سيرة الإمام الشوكاني -رحمه الله- ٥١
المطلب الأول: نسبه ونشأته ٥٢
المطلب الثاني: طلبه للعلم ٥٥
مشايخه ٥٦
١- الحسن بن إسماعيل المغربي ٥٨
٢- أحمد بن محمد الحرازي ٦٠
٣- عبد القادر الكوكباني ٦١
المطلب الثالث: أعماله ٦٦
١- التدريس ٦٦
٢- الإفتاء ٦٧
٣- القضاء العام ٦٨

المطلب الرابع: آثاره العلمية ٧١
* الجانب الأول: المؤلفات ٧١
* الجانب الثاني: التلاميذ ٧٦
١- أخوه يحيى بن علي ٧٧
٢- عبد الرحمن بن أحمد الضمدي ٧٨
٣- محمد بن أحمد السودي ٧٨
المطلب الخامس: وفاته ومكانته ٨٠
* أولاً- وفاته ٨٠
* ثانياً- مكانته ٨٠
المطلب السادس: عقيدته ومذهبه الفقهي ٨٢
أولاً- عقيدته ٨٢
ثانياً- مذهبه الفقهي ٨٦
الفصل الأول
جهود الإمام الشوكاني رحمه الله- في الدعوة إلى الله ٩٠-١٦١
المبحث الأول: أصناف المدعوين في دعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله- ٩٠
المطلب الأول: دعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله- للحكام والولاة ٩١
١- دعوته الحكام لتفقد أحوال الرعية ٩٤
٢- دعوته إمام المسلمين إلى انتخاب العمال والقضاة ومحاسبتهم ٩٤
٣- إشارته على الإمام بحبس أصحاب الفتنة ٩٥
٤- إشارته على أحد أولاد الخليفة ٩٦

المطلب الثاني: دعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله- للعلماء ٩٨
١- دعوته العالم إلى القيام بواجب الإرشاد ٩٨
٢- دعوته العالم لسلوك الحكمة في التعامل مع المتعصبين ١٠١
٣- دعوته العلماء للتأليف النافع ١٠١
٤- تحذيره العالم من الغفلة عما يقع بين المتقاربين في الفضائل ١٠٢
٥- دعوته العالم المجتهد إلى البحث عن مواقع الألفاظ العربية فيما كان راجعاً إلى العربية من أصول الفقه ١٠٢
٦- بيانه للعالم قيمة العلم الذي يحمله ١٠٣
٧- تحذيره العلماء (القضاة) من قبول الرشوة ١٠٤
٨- دعوته -رحمه الله- العالم إلى احترام العلوم التي يجهلها والسكوت عن الخوض فيها ١٠٦
٩- دعوته -رحمه الله- أهل العلم إلى بذل العلم في أهله ١٠٦
١٠- دعوته أهل العلم إلى تولي المناصب الدينية ١٠٧
١١- بيانه -رحمه الله- للعالم ما ينبغي أن يكون عليه عند تعليمه للعباد ١٠٨
المطلب الثالث: دعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله- لطلاب العلم ١١٠
١- دعوته طالب العلم إلى إصلاح النية في الطلب ١١٠
٢- حضه طالب العلم على الهمة العالية في طلب العلم ١١١
٣- دعوته طالب العلم إلى التمسك بالدليل وترك التعصب ١١٣
٤- دعوته طالب العلم إلى النظر في كتب العلماء المشهورين بالإنصاف ١١٣

٥- تحذيره -رحمه الله- طالب العلم من الاغترار بمن يشنع
على المجتهد بكونه خالف المذهب ١١٤
٦- تحذيره طالب العلم من الاغترار بحيل الفقهاء ١١٤
٧- تحذير الإمام الشوكاني -رحمه الله- طالب العلم من الاغترار
بالرافضة ١١٥
المبحث الثاني: قضايا الدعوة عند الإمام الشوكاني
-رحمه الله- ١١٧
المطلب الأول: الدعوة إلى التوحيد والتحذير من ضده ١١٨
المطلب الثاني: الدعوة إلى جلب المصالح ودفع المفاسد ١٢٦
المطلب الثالث: الدعوة إلى تقويم السلوك ١٣٣
١- دعوته إلى القيام بالفرائض وتكميلها بالنوافل ١٣٣
٢- موقفه من آفة الغيبة ١٣٨
٣- موقفه من قضية التكفير ١٤٧
المطلب الرابع: دعوته إلى الاجتهاد ونبذ التقليد ١٥٣
الفصل الثاني
جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله- في الاحتساب ١٦٢-٢١٦
* تمهيد ١٦٣
المبحث الأول: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله-
في الأمر بالمعروف ١٦٦
* تمهيد ١٦٧
معنى المعروف في اللغة ١٦٧
معنى المعروف في الاصطلاح ١٦٧

المطلب الأول: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله-

في الأمر بالمعروف في جانب العقيدة ١٦٩

١- أمره بالإخلاص ١٦٩

٢- وجوب طاعة ولي الأمر ١٧١

٣- تقرير وجوب الهجرة ١٧٤

المطلب الثاني: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله-

في الأمر بالمعروف في جانب الشريعة ١٧٨

١- أمره الإمام بالعدل في الرعية ١٧٨

٢- مشروعية الشورى ١٧٩

٣- مسؤولية الإمام والرعية في إصلاح الطرق وتأمين السبل ١٧٩

٤- تعليم الناس معالم دينهم ١٨٠

٥- وجوب التوبة إلى الله ١٨١

المطلب الثالث: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله-

في الأمر بالمعروف في جانب الأخلاق والسلوك ١٨٣

١- أمره أهل الصلاح والغنى بالاهتمام باللباس ١٨٣

٢- أمره بالتكسب ١٨٥

٣- الإرشاد إلى ملاطفة النساء وحسن الخلق مع الأهل والأولاد ١٨٨

٤- الحث على التحلي بخلق الصبر ١٩٠

٥- أمره ببعض الآداب الشرعية ١٩١

أ/ الترغيب في تشييع الغازي ١٩١

ب/ إيثار المسلم لإخوانه وتقديم الأصلح لهم ١٩٢

المبحث الثاني: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله-
في النهي عن المنكر ١٩٤
* تمهيد ١٩٥
تعريف المنكر في اللغة ١٩٥
تعريف المنكر في الاصطلاح ١٩٥
المطلب الأول: جهود الإمام الشوكاني- رحمه الله- في النهي
عن المنكر في جانب العقيدة ١٩٧
١- إنكاره النذور والوصايا والأوقاف على قبور الأموات ١٩٧
٢- إنكاره اتخاذ القبور مساجد ١٩٨
٣- إنكاره الحلف بغير الله ١٩٩
٤- إنكاره دعوى أن أهل البيت لا يعاقبون على ما يرتكبون
من الذنوب ٢٠١
المطلب الثاني: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله-
في النهي عن المنكر في جانب الشريعة ٢٠٧
١- إنكاره عدم توريث المرأة ٢٠٧
٢- إنكاره على العمال أخذ أموال الناس بغير حق ٢٠٧
٣- إنكاره قياس بيت المقدس على الكعبة ٢٠٩
٤- إنكاره على من يرى الاستحسان من أدلة الشريعة ٢١٠
المطلب الثالث: جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله-
في النهي عن المنكر في جانب الأخلاق والسلوك ٢١٣
١- إنكاره لبس ثوب الشهرة ٢١٣
٢- إنكاره الأغاني والملاهي ٢١٤
٣- إنكاره على بعض العلماء لبس الكم الواسع ٢١٤

٤- المنع من حضور الوليمة التي فيها منكر لمن لا ينكره ٢١٥

الفصل الثالث

عوامل نجاح جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله-

في الدعوة والاحتساب وآثارها ٢١٧-٢٦٣

المبحث الأول: عوامل نجاح جهود الإمام الشوكاني

-رحمه الله- في الدعوة والاحتساب ٢١٨

المطلب الأول: نشأته الصالحة -رحمه الله- ٢١٩

المطلب الثاني: عنايته -رحمه الله- بعلم السنة النبوية ٢٢١

* أولاً- نيل الأوطار ٢٢١

* ثانياً- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ٢٢٢

* ثالثاً- در السحابة في مناقب القرابة والصحابة ٢٢٣

المطلب الثالث: ترفع الإمام الشوكاني -رحمه الله-

عن حظوظ الدنيا ٢٢٥

المطلب الرابع: توليه -رحمه الله- منصب القضاء العام

في اليمن ٢٢٩

المطلب الخامس: علاقته الجيدة -رحمه الله- بالحكام ٢٣١

المطلب السادس: تأثره -رحمه الله- بالأئمة الأعلام ٢٣٤

* أولاً- تأثره بشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- ٢٣٤

* ثانياً- تأثره بشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- ٢٣٦

المبحث الثاني: آثار جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله-

في الدعوة والاحتساب ٢٣٩

المطلب الأول: آثار جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله-

في الدعوة ٢٤٠

١- خروج كفايات من العلماء الأكفاء ٢٤٠

٢- انتشار مؤلفاته النافعة ٢٤٢

٣- انتشار الدعوة السلفية ٢٤٨

٤- أثر دعوة الإمام الشوكاني -رحمه الله- على (أهل الحديث)
في الهند ٢٥٠

* أولاً- الشيخ العلامة عبد الحق البنارسي ٢٥٢

* ثانياً- السيد صديق حسن القنوجي ٢٥٤

المطلب الثاني: آثار جهود الإمام الشوكاني -رحمه الله-
في الاحتساب ٢٥٩

١- تعميم المرسوم المنصوري بمنع الضرائب ٢٥٩

٢- قيام المنصور باتخاذ إجراءات إصلاحيه ٢٦٠

٣- إيقاع الخليفة عقاباً بالمخربين في إحدى الفتن نتيجة
لنصح الإمام الشوكاني -رحمه الله- ٢٦١

٤- استجابة أحد أولاد الخليفة لنصيحة الإمام الشوكاني
-رحمه الله- له في شأن مثيري الفتنة ٢٦٢

الخاتمة ٢٦٤

الفهارس ٢٦٧-٣٠٦

فهرس الآيات القرآنية ٢٦٨

فهرس الأحاديث النبوية ٢٧٤

فهرس الأعلام ٢٧٧

فهرس المصادر والمراجع ٢٨٠

فهرس الموضوعات ٢٩٨